

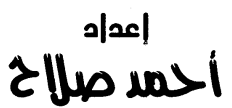
دليل البرامج التربوية

للعمل الطلابي الثانوي

الجزء الأول

* الكلمات الكاملة للقاء. * مواقف تربوية.
* أناشيد مختارة. * مسابقات.

إعداد



بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

صلاح، أحمد.
دليل البرامج التربوية للعمل الطلابي الثانوي الجزء الأول: موضوعات كاملة – مواقف تربوية – أناشيد مختارة – مسابقات –/ إعداد أحمد صلاح – ط١. القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٧.
٣١٣ص، ٢٤ سم.
تدمك ٦ ١٩٨ ٣١٦ ٩٧٧
١ – التعليم – برامج – أدلة
أ- العنوان ٣٧٠,٧٧٧٠٢٥

تاريخ الإصدار: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧هـ
حقوق الطبع: محفوظة للناشر
الناشر: دار النشر للجامعات
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٨٩٩
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977 - 316 - 198 - 6
الكود: ٢/١٩١

دار النشر للجامعات - مصر
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون: ٦٣٤٧٩٧٦ - تليفاكس: ٦٤٤٠٠٩٤
darannshr@link.net

دليل البرامج التربوية

للعمل الطلابي الثانوي

الجزء الأول

* الكلمات الكاملة للقاء. * مواقف تربوية
* أناشيد مختارة. * مسابقات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

[آل عمران: ١٣٣]

قال رسول الله ﷺ:

«من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجره وأجر من عمل بها...» صدق رسول الله ﷺ

إهداء

يا ترى.. ما هذه الابتسامة التي تذهب الهم وتجلب الأمل..

إلى صاحبة الابتسامة..

إلى ابنتي..

أهدي هذا الكتاب

شكر خاص

كل الحب والتقدير لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل



انطلاقة

رغم الاعتقاد السائد -والصحيح- بأن مرحلة الطفولة هي مرحلة البناء التربوي للفرد ومرحلة التأسيس الدعوى السليم للحركة التربوية، وأن المرحلة الجامعية هي مرحلة النضج والاستقلالية وحرية اتخاذ القرار والقدرة على التأثير، إلا أن مرحلة المراهقة -وهى مرحلة تشغل طبقا للدراسات- مساحة عمرية من ٧-١٠سنوات من عمر المراهق، ودعويا ثلاث سنوات -هي عمر المرحلة الثانوية- تمثل عنق الزجاجة سواء لتنشئة الفرد أو لمستقبل الدعوة. فهي مرحلة التشكيل النهائي لكل الأفكار والقيم المكتسبة خلال مرحلة الطفولة، بعد تفاعلها مع الواقع وصراعها معه لتتخذ الشخصية قرارها شبه النهائي بكيفية الاستمرار في الحياة وفلسفة التعامل مع المستقبل.

والواقع يشهد بأن نتيجة هذه الصراعات لا تصب بحال في مصلحة الدعوة، إذا استندنا إحصائيا إلى كم الجهد المبذول في مرحلة الطفولة مقارنة بالناتج النهائي من المرحلة الثانوية - تجاوزاً أو مرحلة المراهقة تحديداً.

فعلى أفضل تقدير أن ٢٥٪ من القاعدة هم الذين قد نجحنا في جعلهم يتخذون القرار بالاستمرار في الاتجاه المنشود، فإن ٧٥٪ من هذه القاعدة يكون قد انفلت من تحت أيدينا ليستقبل بعدها ثقافة المجتمع السائدة بالهزيمة والسلبية وما يتبع ذلك من سلوكيات تشكل عبئاً على عملنا التربوي فيما بعد.

وربما كان من الصعب علينا أن نتصور أن عدداً ليس قليلاً من الذين لم نستطع أن نقنعهم أو يقنعونا بالاستمرار واستكمال الطريق، سيمثل عامل دعوة سلبي ولكن في الاتجاه المضاد.

ما سبق يعنى أن مسئولي العملية التربوية في مرحلة المراهقة هم المسئولون مسئولية مباشرة عن دخول أفراد جدد للحركة التربوية، لأنهم ببساطة مسئولون عن مرحلة اتخاذ القرار.

ولا نريد بهذا الكلام أن نحمل مسئولي المرحلة مالا يطيقون، فهم أحد عوامل التربية بجانب الأسرة والمدرسة والشارع والإعلام. إننا نقصد من هذا الطرح أن نثبت أهمية الأمر وخطورته سواء على مستوى تربية الفرد أو على المستوى الدعوي.

وإذا كنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة، أرى أنه من واجبنا أن نطرح على أنفسنا سؤالاً مهماً:

هل تم الاهتمام بهذه المرحلة المهمة والخطيرة من ناحية إعداد المناهج الخاصة بها والبرامج الواضحة التي تتناسب مع روح العصر وتطور الأفكار وتغير العالم من حولنا؟

ومع الاعتراف بالجهد المبذول في مضمار إعداد المناهج وبرامج العمل التنفيذي في هذه المرحلة، إلا أنها لا تخرج عن كونها محاولات للوقوف على بوابتها دون الدخول بعمق في تفاصيلها الدقيقة بمتغيراتها والمطلوب منها.

ونحن في هذا الدليل لا ندعى أننا وفينا هذا الجانب، فهو عمل يحتاج إلى كتيبة من المحترفين تعمل بجد وإخلاص لسنوات لتفي بكل متطلبات المرحلة، إلا إننا بهذا العمل نفتح الطريق للبحث والتنقيب بصورة تمكن المشرف التربوي من إتمام عمله بدقة وإتقان، وتقرب المسافات بينه وبين الأفراد المنوطين بالدعوة، وتحمل عنه عبء التفكير والبحث في أعمال ليست من صميم عمله التنفيذي.

إن هذا الدليل يمثل انطلاقة لكل المجتهدين لاستكمال ما احتاجه العمل من سنوات طوال،ويمثل نقطة بداية قوية لمن كان لديه الرغبة القوية في بدء مثل هذا العمل، ولكن عاقته الظروف ولم تقف بجانبه الأسباب.

فليكن هذا العمل فاتحة خير لأعمال أكبر وأفضل.

١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م



الباب الأول

رؤية فيما يجري الآن

يدفعنا الطموح دومًا إلى ترقب الأفضل، وهو ما يدفعنا بدوره إلى محاورة النفس ونقد الذات، وهذا ما سنحاول أن نقوم به في الأسلوب التربوي الذي يسير به العمل في مرحلة المراهقة، وهي بالقطع ليست آراء نهائية قاطعة، إنما هي مجرد نظرات تحتمل الصواب والخطأ وتدعو إلى التفكير أملاً في الوصول إلى عمل أرقى وإنجاز أفضل.

١ - مرحلة المراهقة ليست ٣ سنوات

علميا.. تبلغ فترة المراهقة من ٧ إلى ١٠ سنوات، وهى الفترة التي تحدث فيها تغيرات نفسية وعقلية وجسدية للمراهق، وهى تبدأ في مصر مثلا من سن ١٢ سنة للذكور، و١١ سنة للإناث، أي حسب نظام التعليم المصري، فهي تبدأ من بداية المرحلة الإعدادية تقريبا.

والسؤال..

إذا كانت مرحلة المراهقة تبدأ من المرحلة الإعدادية، فلماذا تنصب كل برامج مرحلة المراهقة على مرحلة التعليم الثانوي فقط؟ صحيح أنها تشتد وتصبح عنيفة في هذه المرحلة من سن ١٥ إلى سن ١٨ سنة، ولكن هل من الحكمة أن ندخل غمار المعركة وهى في عنفوانها دون تمهيد مسبق لها، وإذا أضفنا إلى ذلك نظام التعليم المصري الذي يطبق نظام الثانوية العامة على عامين، تصبح فرصة المشرف للتعامل مع المراهقين حسب منهج علمي يحتاج إلى زمن ليس قصيراً -هي سنة واحدة فقط- فإن لم ينجح معه تتضاءل فرصة النجاح بل والتعامل معه في العامين القادمين.

وفى برامج الأشبال، لا يتم التعامل في المرحلة الإعدادية على أنها بداية مرحلة المراهقة، وفى أحيان يتم التعامل معها على أنها مرحلة الطفولة وهو ما يعنى التعامل مع مرحلة بمنهج مرحلة أخرى.

وربما تمت الإشارة من بعيد على أن المرحلة الإعدادية تمثل بالفعل بداية مرحلة المراهقة، إلا أن برامج الأشبال لا تتناول هذا الأمر بجدية تشعر معها أنها بداية مرحلة خطيرة ومهمة في الدعوة، وهو سبب قوى جدا يجعل الطلبة تتسرب من بين أيدي المشرفين في المرحلة الإعدادية، وما يتبقى منهم يصل إلى مشرفي ثانوي مهلهلاً غير معد لمرحلة جديدة من المفترض أنها الأعنف في تاريخ الطالب أو المراهق، ليجد المشرف نفسه مضطراً لأن يبدأ من جديد في فترة زمنية غاية في الضيق والحرج، والنتيجة جهد كبير ونتيجة ضعيفة.

أرى أنه يجب تعديل النظرة إلى فترة مرحلة المراهقة لتشمل معها المرحلة الإعدادية، على أن يعي مشرف الإعدادي ذلك جيداً،ويفهم أنه مسئول عن تسليم المراهق إلى مشرف ثانوي وقد تخطى مرحلة معينة لتتكامل الأدوار ولا يضيع الجهد هباء منثوراً.

أو أن تنضم المرحلة الإعدادية للمرحلة الثانوية وتصبح مرحلة واحدة بلجنة واحدة تسمى لجنة المراهقة (افتراضاً).

أو أن تنضم السنة الأخيرة على الأقل من التعليم الإعدادي إلى مشرف ثانوي ليتسع له الوقت قليلاً للتعامل مع هذه المرحلة في أعنف فتراتها.

٢- التدريب

الهدف الأساسي للتدريب هو رفع المهارات الأساسية للمشرفين بما يخدم أهداف العمل، وهى عملية لا غنى عنها لأي مؤسسة تهدف إلى النجاح واستمراره.وعملية التدريب موجودة بالفعل للمشرفين في هذه المرحلة، إلا إنها لا تؤتي ثمارها المرجوة، مع الاعتراف بوجود نشاط فعلى في إعداد عدد لا بأس به من الدورات اللازمة لسير العمل.

إلا أن الطبيعي والمنطقي أنه إذا تمت عملية التدريب بصورة صحيحة، أن ينعكس هذا على أداء المشرف فيصبح أكثر معرفة وأكثر خبرة وأكثر كفاءة في الأداء،وهو ما ينعكس على العمل ككل.

إلا أن هذا لا يحدث..

فتطور أداء المشرف قياساً لما يتم تدريسه من دورات.. طفيف جدا بصورة تمكننا من القول بأن عملية التدريب لم تصل بعد إلى مستوى النجاح المنشود. وأن المسألة أصبحت نوعًا من إرضاء النفس وتسديد الخانات والاكتفاء بالكم لا بالكيف.

وأرى أن السببين اللذين يرجع إليهما هذا الخلل هما:

أولاً- الاهتمام بالتدريب النظري دون العملي، فلا يكفى أن يتلقى المشرف دورة لمدة ساعتين أو ثلاث لنقتنع أنه قد تلقى دورة في مفهوم ما، بل لا بد أن يتبع هذه الدورة تطبيق عملي للدورة أثناء عمله، في تنفيذ الخطة المكلف بها عن طريق متابعة مسئوله المباشر في العمل في منطقته، حيث يقيم مدى استيعاب المشرف عمليا للدورة عن طريق إسقاطها على واقع العمل التنفيذي بدرجات متفق عليها، إذا تحقق ذلك نستطيع أن نقول إن الدورة قد آتت ثمارها، وإن جهدنا لم يضع هباء منثوراً ،وتصبح كل دورة للمشرف إضافة فعلية له وللعمل وللدعوة.

ومن العجب أن يحذر المشرفون في بعض الأحيان من كتابة ما يتلقونه من دورات، والنصح بتحصيل الفائدة منها عن طريق الاستماع فقط، ثم يطلب بعد ذلك من المشرف أن يطبقها.. كيف ؟! وماذا سيتذكر من دورة استمرت ساعتين أو أكثر بعد يومين أو أسبوع أو شهر.

لماذا نضيع جهدنا بهذه الطريقة ؟!

ثانياً- نحن نكتب الدورة مرة واحدة كل فترة طويلة، وكأنها قانون ثابت لا يتغير، فأصبح ما نتحدث عنه اليوم كان يحتاجه المشرف منذ ٥ سنوات، واليوم هو لديه مشاكل أخرى ويحتاج إلى مهارات أخرى ومعلومات أخرى، لابد من التطوير المستمر للدورات تبعاً لمتغيرات العصر وتغير الأفكار وتطور المجتمع.

٣- العجز الدعوى خارج المسجد

يمثل المسجد حجر الزاوية في الدعوة إلى الله، واستغلال المسجد في الدعوة كان أمراً يتم دون مشاكل تقريبا لفترة غير قصيرة من الزمن، إلا أن التغيرات السياسية الأخيرة ضيقت الخناق على المسجد، وجعلت التفكير في كيفية الدعوة خارجه أمراً ضرورياً لا فرار منه. ورغم كثرة الحديث عن هذا الموضوع، وظهور نظرية (الانفتاح على المجتمع) التي تنادى بالانطلاق خارج حدود المسجد والدعوة في النوادي ومراكز الشباب والمدارس، إلا أن النظرية لم تخرج إلى الإطار العملي حتى الآن. ويجد الجميع صعوبة بالغة في تطبيق الدعوة خارج حدود المسجد، ولم يخل الأمر من محاولات جادة من بعض المشرفين، إلا أنهم لم يلبسوا بعد فترة أن يستديروا متجهين مرة أخرى إلى المسجد حيث الحدود الضيقة جداً للدعوة.

إن مسألة الانفتاح واكتشاف أساليب جديدة للدعوة خارج المسجد عملية أكبر من محاضرة أو دورة تدرس للمشرفين، ثم يترك الأمر بعدها للاجتهاد الشخصي، بل هي مسألة صعبة تحتاج إلى دراسة وبحث كبيرين لشرح كيفية الانفتاح بدقة، كما أنه يتطلب تغييراً لأفكار المشرفين وتدريبهم على مهارات من نوع آخر مختلفة عن مهارات العمل المسجدي المحدود، ثم يتبع ذلك خطة محكمة يلتزم بها الجميع.

هكذا تتحقق النظريات الجديدة في عمل مؤسسي منظم، أما أن يتم الموضوع عن طريق طرح أفكار ثم يترك الأمر بعدها يسير كما يسير فهو حلقة أخرى في سلسلة إهدار الوقت والجهد.

٤- المناهج

أخيراً تم التفكير بجد في إعداد منهج واضح للتربية في مرحلة المراهقة، بعد سنوات ترك فيها منهج التدريس للمرحلة سواء في العمل العام أو الخاص لاجتهاد المشرفين، ولأي مشرفين سواء كانوا مبتدئين أو ذوى خبرة، فكان طبيعيا أن نجد مستوى رديئاً من المواد التي لا تخلو من ضعف في الفكر أو خطأ في التوجيه أو بعد عن أهداف العمل، وكأن مسألة المنهج مسألة بسيطة وسهلة من الممكن أن يقوم بها أي فرد دون مشكلة، وكأنها مسألة بديهية لا تحتاج إلى بحث أو دراسة أو تطوير.

ورغم أن خطورة الموضوع واضحة لا تحتاج إلى نقاش (من وجهة نظري)، إلا أنني أعتقد أن ما أخرها هو عدم وجود من يتصدى لها بجدية، لأن إعداد المناهج عملية صعبة وتحتاج إلى وقت طويل في البحث والتفكير.

ورغم أن خطوة وضع المناهج خطوة جيدة بالفعل وتمثل طفرة نوعية للعمل التربوي في مرحلة المراهقة، إلا أنه لا يزال يعتمد بدرجة أساسية على التلقين وحشد المعلومات دون التركيز على تغيير السلوك.

صحيح أن المعلومات النظرية تدفع إلى تغيير السلوك وتحسين الأخلاق، إلا أن التربية لا تكتمل بالشق النظري فقط، ولا يكفى أن يستمع الطالب إلى محاضرات عظيمة في حسن الخلق والسلوك الاجتماعي في الإسلام، ثم ينسى كل ذلك بمجرد أن يخرج إلى حيز التطبيق، والنتيجة.. حشد هائل للمعلومات النظرية دون أن يفرغ ذلك عمليا في الحياة اليومية، وتخرج لنا أجيال تتحدث ولا تعمل، وهو ما لا يتفق مع مبادئ الإسلام أو أهداف الدعوة.

إن شكوى الآباء تتزايد من سلوك أبنائهم داخل المنزل رغم حضورهم وانتظامهم في

حلقات المسجد وربما العمل الخاص، مما يجعلنا نسأل أنفسنا، إذا كنا لم ننجح في تغيير سلوك الطالب داخل أسرته وفى المدرسة وفى الشارع.. فماذا نفعل إذن ؟!

إن المناهج التربوية لا بد أن تتجه اتجاها قويا نحو تغيير السلوك عن طريق برامج عملية واضحة ومتدرجة ثم متابعة دقيقة من المربى المسئول، وعلى هذا الأساس يقيم النجاح لا على أي شيء أخر.

٥- الدعوة الفردية ونظرية المؤثرات

لا يمكن أن يحقق فرد ما أي نوع من أنواع التغير الحقيقي (تغير الأفكار والسلوك) بحيث يستمر هذا التغير، إلا عن طريق ما يسمى بالدعوة الفردية: سواء تمت هذه العملية باتفاق بين الطرفين، الداعي والمدعو أو بصورة غير متفق عليها عن طريق انغماس المدعو في بيئة تدفعه إلى التغير بطريق القدوة.

ولقد كتبت العديد من الدراسات في الدعوة الفردية لخطورتها وأهميتها في مجال الدعوة إلى الله، حتى إن إحدى الدراسات توصلت بحسبة رياضية بسيطة إلى أنه إذا قام فرد ما بدعوة فرد آخر ونجح في دعوته بعد عام، ثم قام الشخصان بدعوة فردين آخرين، فإذا قدر لهما النجاح بعد عام أصبحا أربعة ثم الأربعة يصبحون ثمانية وهكذا..

وتوصلت الدراسة النظرية (العددية) إلى أنه بعد ٣٠ عاماً سيصبح عدد الأشخاص المدعوين فرديا إلى مليار فرد.

لقد قرأت هذه الدراسة منذ ما يقرب من عشر سنوات ومنذ أن قرأتها ، وأنا أتساءل إلى الآن لماذا لا تسير هذه المتوالية (المعجزة) سيراً طبيعياً يحقق آمال المسلمين كلها بعد ثلاثين عاما فقط وهو رقم زهيد في عمر الدعوات.

وتوصلت إلى أن هناك عدة عوامل مهمة نغفلها تعوق تحقيق حلم الدعوة الفردية وهي:

١- صعوبة الدعوة الفردية وزمنها تجعل معظم المشرفين ينصرفون عنها إلى أعمال أكثر سهولة نسبيا، والتي تعنى بعقد اللقاءات والكلمات وربما المسيرات والمؤتمرات.

٢- عدم توافر مؤهلات ممارسة الدعوة الفردية للمشرف، وأولها على الإطلاق: دراسة الدعوة الفردية دراسة نظرية كافية قبل الإقدام على الممارسة العملية. يضاف إلى ذلك الصفات الشخصية من الصبر والذكاء والحماس والثقافة الدينية وعلم النفس، مما يعرض الداعي للفشل في أول الطريق، ويعوقه عن المحاولة مرة أخرى، فينصرف عنها إلى أعمال أخرى يستنفد فيها طاقته.

٣- عدم الالتفات لنظرية مهمة جدا في التربية، وهى نظرية المؤثرات بمعنى أن المدعو يكون تحت تأثير عدة قوى مؤثرة داخل المجتمع مثل الأسرة، الأصدقاء، الإعلام، والداعية نفسه...والنجاح والفشل مع المدعو يكون في اتجاه محصلة القوى المؤثرة على المدعو. ونحن نتصور دائماً أن المدعو يقع تحت قوة التأثير التي نصنعها نحن فقط، ونتعجب بعد ذلك من عدم استجابته لنا، إلا أن الواقع يقول إن قوة تأثيرنا تعد أضعف القوى المؤثرة على الإطلاق.

إن أخذ هذا العامل في الاعتبار يدعونا إلى أن نحاول أن ندخل المدعو في بيئة مختلفة تزيد قوة التأثير الإيجابية في اتجاهنا وتقلل قوى التأثير السلبية في أي اتجاه آخر عن طريق إشغال وقت المدعو بصورة إيجابية سواء كان المدعو معنا أو بعيدا عنا، وهو ما يعرف بـ (المساحة المشتركة)..وهى المساحة التي يقف عليها الداعي والمدعو والتي تمكن الداعي من الاتصال بالمدعو أطول فترة ممكنة.

٤- عدم الصبر والتوقف عند مرحلة معينة دون إكمال بقية المراحل مما يعد إهداراً للجهد والوقت والمال أيضاً.

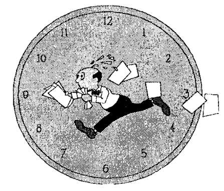
٥- نتيجة لظروف خارجة عن إرادة المشرف.. لا يستطيع أن يتحكم فيها، لظروف سفر المدعو أو ضغط الأسرة بسبب الدراسة أو الخوف عليه....إلخ.

٦- عدم الاهتمام - بصورة بحثية جادة - بتطوير دراسات الدعوة الفردية فتظل المشاكل كما هي دون حل.

٧- الاستهانة بالدعوة الفردية وسط كم الأعمال الكبير الذي يستغرق المشرفين والطلبة مما يجعل الدعوة الفردية في بند متأخر في جدول الأعمال بالرغم من أهميته البالغة.

٨- يضاف إلى ذلك أن مشكلة الدعوة الفردية في مجال الثانوي تعتمد على طلاب غير مكتملي التربية والخبرة مما يقلل من فرص نجاح الدعوة الفردية، ويجعلنا في حاجة إلى برامج أخرى غير تقليدية لتحقيق تلك المعادلة الصعبة.

٦- الوقت المطلوب لدعوة الطالب



يظن البعض أنه لا ينبغي أن نثقل بالأعمال الدعوية على طالب ثانوي، حتى لا نضغط عليه من ناحية وحتى لا نشغله عن المذاكرة من ناحية أخرى، وأرى أن هذا التصور غير صحيح لسببين:

الأول- إننا إذا تصورنا أننا نشكل ضغطاً على الطالب المراهق بالأعمال الدعوية، فهذا يعنى ببساطة أننا غير ناجحين في الدعوة معه، فالطالب لا يمكن أن يستقبل دعوتنا بسلام وبهدوء ويتفاعل معها إلا إذا أشعرناه بالرغبة في أعمالنا والاستمتاع بها والفائدة منها (نظرياً وعملياً)، فلا يمكن أن نقنع شخصا بالتغيير وهو يريد في كل لحظة أن يهرب منا.

الثاني- إن معظم الطلبة لا يذاكرون، ولكنهم يتعللون بذلك لكل الناس للهروب من المواقف، يقولون ذلك لآبائهم ولمدرسيهم ولمشرفيهم التربويين، لدرجة تتصور معها أنهم لا يشاهدون التلفاز ولا يتحدثون في التليفون ولا يتسامرون مع أصدقائهم!!، إن الطالب يضيع وقتا كبيراً فيما لا طائل منه خارج إطار المذاكرة، وعلينا أن نستفيد بهذا الوقت في صالح الدعوة.

إننا نريد أن ندعو الطالب طيلة اليوم بما يتوافق مع ظروفه ومتطلباته، نريد أن نذهب نحن إليه أكثر مما يأتي هو إلينا، بمعنى أن نفهم ماذا يريد أن يفعل ثم نرتب العمل الذي يجعلنا نؤديه معه فنتعايش معه ونؤثر فيه.

إن الدعوة يجب أن تكون مستمرة لا تتوقف حتى في أوقات الامتحانات، والمشرف النابه هو الذي يفهم كيف يتعامل مع الطالب ويؤثر فيه في مختلف الظروف وفى كل الأحوال.

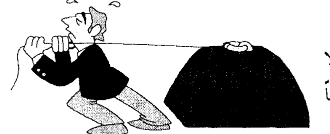
٧- التعايش

لا يمكن أن تتم عملية التربية بالتحكم عن بعد- أي عن طريق إصدار الأوامر والتوجيهات - أو حتى إلقاء المحاضرات، فتغيير السلوك لابد أن يتم عن طريق التعايش بين المشرف والمدعو، وليس المقصود بالتعايش أن يترك المشرف أعماله ويجلس مع المدعو ليل نهار، ولكن المطلوب أن يعامل من يدعوه بروح المربى الذي يحرص بصدق على تغييره، ويراقب تصرفاته بحساسية بالغة سواء كان معه أم لم يكن، وأن تتسم العلاقة بينهما بالصداقة والمحبة والاحترام مع المحافظة على قدرته على التوجيه والتأثير.

وربما يجتمع المشرف والمدعو في مكان واحد.. لكن جدارا عازلاً بينهما يمنع كلاهما من أن يصل للآخر.

فالتعايش مفهوم معنوي قبل أن يكون مفهوما مادياً، والمشرف الناجح هو الذي يشعر الطالب أنه معه بحديثه وأفكاره وتوجيهاته حتى دون أن يجمعهما مكان واحد.

٨ - أزمة الابتكار



لماذا نخرج دائماً أجيالاً لا تبتكر.. ولا تريد أن تبتكر؟!!، بل وتعتبر الابتكار عيباً وخطيئة ! لأنهم يرون أن الابتكار يعنى تعديل ما قاله آخرون.. وهؤلاء الآخرون هم المربون الكبار أحياناً أو المسئولون أحيانا أخرى، والنتيجة جيل من المقلدين ينظرون وراءهم دائماً ودائمو السؤال عن التعليمات الجديدة والأفكار الجديدة والآراء الجديدة.

إننا نريد مشرفاً لديه قدرة على نقد الواقع والتفكير الذاتي وإنتاج الجديد والنظر للأمور من زوايا جديدة، ولا يتم ذلك إلا بالتشجيع على الابتكار بوضع المكافآت والسماح بالخطأ وتشجيع الحوار والمناقشات للأفكار الجديدة حتى وإن كانت غريبة.

إن الابتكار والإبداع يؤدى إلى النشاط والحماس والتطوير، والتقليد يؤدى حتما إلى الكسل والجمود.

لماذا هذا الدليل؟

يعاني المشرفون من عدم وجود برامج واضحة ودقيقة لأعمال تربوية دورية، مثل اللقاء متعدد الفقرات واللقاء الرياضي والاعتكاف... إلخ، رغم عدد مرات تكرار مثل هذه الأعمال في العام بل في الشهر الواحد بالنسبة لبعضها، إلا إنه لم تصدر لها ورقات عمل رصينة تراعى أهداف العمل وتضع منهجه وتقيم نتائجه، وهو ما أدى إلى اجتهاد المشرفين كل على قدر خبرته وحماسته وثقافته، وفى النهاية لا يوجد برنامج ثابت وواضح ومدروس.

أدى هذا بالضرورة إلى قلة كفاءة الأعمال خصوصاً من المشرفين المبتدئين، وعندما لا يكون هناك منهج ثابت يسير عليه الجميع تصبح الفرصة متاحة أكبر للخطأ سواء في التوجيه أو في صحة المعلومات.

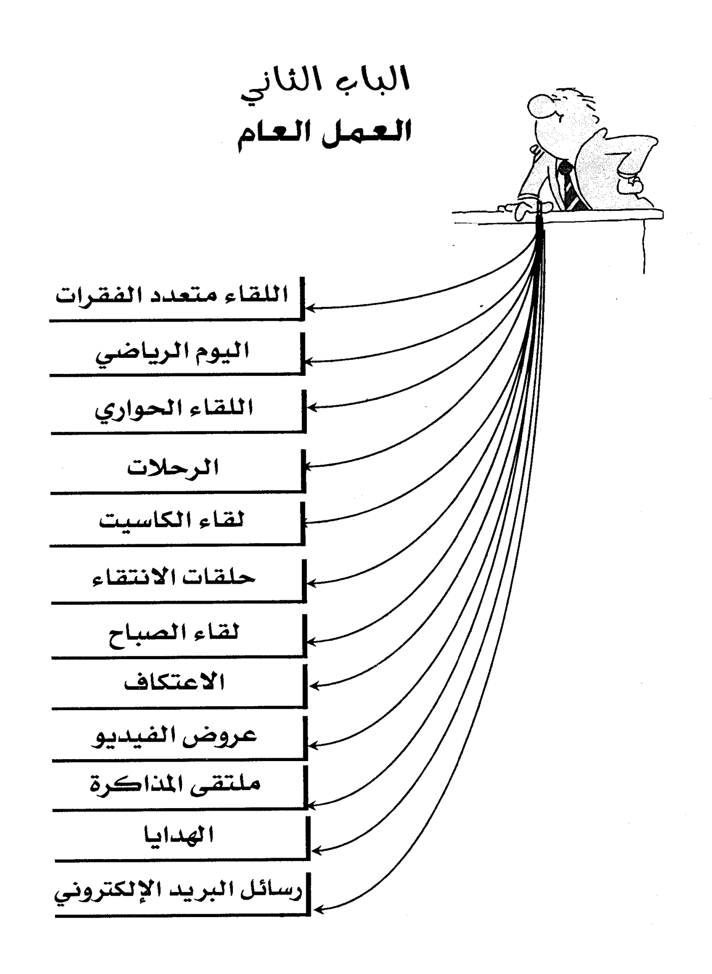
هذا بالإضافة إلى أن المشرف الذي سيقوم بعملية إعداد البرامج سواء كان مبتدئاً أو خبيراً، سيتكلف وقتاً وجهداً في التفكير والبحث والتحضير بما سيشغله عن عمله التنفيذي المكلف به أصلاً.

من هنا نشأت فكرة أن يوضع دليل للعمل التربوي في مرحلة المراهقة،حاولنا فيه أن يحتوى على كل التفاصيل المطلوبة لإتمام عمل ناجح ذى كفاءة، من أهداف ومواد مكتوبة وشرح لأسلوب العمل ونهاية بالتقييم، وهو دليل طيع الاستخدام للمشرف سواء كان مشرفاً مبتدئاً أو من ذوى الخبرة.

وهذا الدليل ليس نهائياً، إنما هو في حاجة إلى تطوير مستمر واستحداث وسائل ونظريات جديدة للعمل.

إننا نكرر أن الدليل مجرد بداية، في حاجة إلى استكمال اليوم وتطوير في الغد، وهذا لن يحدث إلا إذا وضع كل مستخدمي الدليل ما يستخدمونه من برامج تحت مجهرهم الدعوى الدقيق، فيؤيدون النافع المفيد وينتقدون غير الصالح للعمل ويقترحون له الجديد.

الباب الثاني
العمل العام



الفصل الأول

اللقاء متعدد الفقرات

تعريفه:

هو لقاء يهدف إلى جمع شريحة معينة من الأفراد المطلوب دعوتهم بغض النظر عن مستوياتهم التربوية أو العلمية.

أهدافه:

١- التعريف بجوانب الإسلام المختلفة من عقيدة وعبادة وخلق وترفيه... إلخ بأسلوب سهل وبسيط يقنع الطالب نظرياً بشمولية الإسلام.

٢- ترغيب الطالب في الحلقات المسجدية وإزالة الشبهات عنها حيث إنها حلقات ثقيلة وصعبة على النفس.

٣- جذب أفراد جدد والتعرف عليهم ومتابعتهم.

أفضل موعد:

يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة.

ملاحظات:

١- ليس الغرض من اللقاء العام تدريس العلوم الدينية بصورة منهجية مسلسلة، بل الأخذ من هذه العلوم ما يفيد الأهداف السابقة فقط.

٢- يستطيع المشرف حذف أو تعديل فقرة أو أكثر من الجدول المقترح بما يناسب ظروف العمل حسب رؤيته.

الأهداف: (تذكر للطالب قبل بداية الفقرة)

الموقف التربوي:

١- إسقاط الموضوعات النظرية على مواقف عملية يتعرض أو ربما يتعرض لها الطالب في حياته اليومية.

٢- استثارة ذهن الطالب عن طريق التفكير في حل المشكلة حلاً يتوافق مع الإسلام.

٣- تعليم الطالب أن الإسلام دين عملي ندرس تعاليمه لنطبقها في حياتنا اليومية.

السيرة والشخصيات:

١- إبراز المواقف التي تركز على المعاني الأخلاقية والفكرية المطلوبة لخدمة المرحلة.

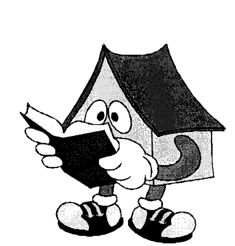
٢- إبراز نماذج يقتدي بها الطالب لمحاولة تقليدها.

الكلمة الثقافية:

١- تصحيح أفكار قديمة خاطئة مثل (الإسلام لا يصلح للحياة الآن).

٢- حسم الأفكار المشوشة وتوضيحها مثل (الاختلاط).

٣- إكساب الطالب أفكارًا جديدة مثل: (الغزو الفكري).



الكلمة الإيمانية

١- إشعار الطالب بأحوال الآخرة.

٢- ترقيق القلب بمعنى:

أولاً- عدم التجرؤ بالاستهزاء بكلام الله والرسول.

ثانيًا- استجابته السريعة لكلام الله والرسول ﷺ.

الكلمة الأخلاقية:

١- الترهيب من الأخلاق الأكثر خطورة التي تعرف عن طلبة ثانوي مثل (عقوق الوالدين والشتائم والحسد) والتعريف بأهم الأخلاق الحسنة الأكثر أهمية التي يحتاجونها مثل (العفة).

٢- شرح الوسائل العملية التي تعين الطالب لترك خلق ذميم واكتساب خلق حميد.

الكلمة التعبدية:

١- الترغيب في العبادة.

٢- مناقشة أسباب التقصير فيها.

٣- شرح الوسائل العملية التي تعين الطالب على إتمام العبادة.

كلمة المشكلة السنية:

١- التعريف بطبيعة المرحلة وأهميتها وخطورتها ليس من أجل التخويف منها ولكن من أجل التعامل معها.

٢- توضيح طبيعة المرحلة من خلال مواقف عملية يمارسها الطالب يوميًا في بيته ومدرسته (يُراعى عدم الإكثار من النظريات العلمية القوية).

٣- تعريف الطالب بميزات مرحلة المراهقة.

٤- شرح الوسائل العملية لتعامل الطالب مع هذه المرحلة بما يمكنه من تحقيق الهدف منها من تكوين شخص ناضج من كافة الجوانب.

الكلمة الاجتماعية:

١- استنكار الأخلاق الاجتماعية السيئة.

٢- توضيح السلوك الاجتماعي السليم بصورة عملية بسيطة واقعية.

كلمة العقيدة:

١- تبسيط مفهوم العقيدة وتوضيح أهميته.

٢- ربط مفاهيم العقيدة بالواقع العملي لسلوك الطلبة.

الفقه:

١- التركيز على الجانب التعبدي المستخدم حسب الأهداف العامة للعمل.

٢- ربط الأحكام الفقهية بالواقع العملي للطلبة عن طريق أمثلة في المدرسة والمنزل والدرس الخاص... إلخ.

الأناشيد:

١- توصيل الأفكار المستهدفة عن طريق وسيلة شيقة وجذابة.

٢- كسر حدة الملل خلال اللقاء.

ملحوظة:

في حالة عدم وجود منشد يتم إلقاء النشيد عن طريق تشغيل شريط به النشيد داخل المسجد بشرط ألا يصاحب اللحن موسيقى.

فقرة مجموعة (مسابقة المجموعات) سيتم شرحها في الصفحة القادمة بإذن الله.

١- استخدام طاقات الطلبة عن طريق إشراكهم في عمل جماعي مفيد.

٢- زيادة الترابط بين أفراد اللقاء العام ومشرف المجموعة.

٣- اكتشاف المواهب.

٤- إشعار الطلبة بقدرتهم على إنجاز شيء مفيد.

٥- تنشيط اللقاء عن طريق فقرة عملية أنتجها الطلبة أنفسهم.

٦- إشعار الطلبة بأنهم جزء فاعل في اللقاء وليسوا مجرد مستمعين.

نصائح مكتوبة:

تحريك وجدان الطالب عن طريق إرسال رسائل تبدو وكأنها شخصية له وحده.

مسابقة المجموعات وكيفيتها:

يتم تقسيم أفراد اللقاء العام إلى مجموعات.

يكون مسئولاً عن كل مجموعة مشرف وربما يكون المشرف مسئولاً عن أكثر من مجموعة ويتم عمل مسابقة بين المجموعات بنودها كالتالي:

* حضور اللقاء العام (درجة المجموعة خمس درجات نصيب الفرد منها خمس درجات مقسوماً على عدد المجموعة... الحضور بعد مرور ٢٠ دقيقة من اللقاء يعتبر لاغياً).

* حضور الحلقة الصغيرة (التفاصيل موجودة في نظام الحلقات الصغيرة في برنامج الانتقاء). بحيث يتبع فيها ما يلي:

* درجة المجموعة خمس درجات نصيب الفرد منها خمس درجات مقسوما على عدد المجموعة... الحضور بعد مرور ٢٠ دقيقة من اللقاء يعتبر لاغياً).

* فقرة المجموعة وهي (درجاتها خمس درجات تعطى حسب تقدير المشرفين)

* تجمع درجات كل مجموعة في نهاية كل شهر ميلادي (بعد أربع أسابيع).

* تعطي جوائز عينية للمجموعة الفائزة بواقع ٣ جنيهات للفرد (انظر ملف الجوائز).

أهدافها:

* تحفيز الطلبة على الحضور بانتظام وفي مواعيد محددة مما يرفع من حماسة اللقاء.
* حث الطلبة على احترام مواعيد الحلقات المسجدية.

الأخبار:

* متابعة القضايا والأحداث ذات الطابع الإسلامي أو الاجتماعي.
* ربط الأحداث بالمؤامرات التي تدبر ضد الإسلام.

ملاحظة مهمة:

عدم التعرض لنقد السياسات الداخلية أو طرح أخبار السياسة الداخلية.

التقييم:

- إنجاز الفقرة: ثلاث درجات لكل فقرة ودرجة للفقرة الأخيرة. وهي (إحصاء – ترتيب – تنبيه) راجع معاني الرموز ص٣٣.
- كفاءة إنجاز الفقرة: ثلاث درجات لكل فقرة ولا شيء للفقرة الأخيرة.
- الالتزام بتوقيت الفقرات: درجة لكل فقرة.
- البدء في الموعد المحدد للقاء: ثلاث درجات.
- العدد الموجود عند لحظة البدء: أقل من أو يساوي ٣٥٪ من الهدف لا شيء، أكثر من ٣٥٪ من الهدف وأقل من ٦٥٪ من الهدف ٣ درجات أكثر من ٦٥ ٪ من الهدف وأقل من ١٠٠٪ ٥ درجات، أكثر من ١٠٠٪ ٧ درجات.
- الانتهاء في الموعد المحدد للقاء درجتان.
- عدد الجدد في اللقاء: درجة لكل وافد جديد.
- عدد الجدد الذين حضروا ٣ مرات في خلال الشهر:

ملاحظة: إذا حضر الطالب ٣ مرات خلال شهر واحد لا يعتبر جديدا ويستحق ضمه إلى حلقة انتقاء لإتمام شروط تصعيده إلى لقاء خاص (انظر حلقات الانتقاء).

- ٣ درجات لكل فرد تم ضمه لحلقة انتقاء (تسجل لحساب مشرف المجموعة والمجموعة نفسها التي نجحت في ضم الفرد الجديد لتدخل في سباق المجموعات).

- ملحوظة: تواريخ الجداول المدرجة في هذا الدليل حسب نظام التعليم المصري

اللقاء متعدد الفقرات ٢٠٠٤ -٢٠٠٥ (الجمعة افتراضًا)

	التاريخ	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	المناسبة
١	٦/١١	مسابقة	وصف الجنة	الطلبة والأجازة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢	٦/١٨	مصعب بن عمير١	حكم تارك الصلاة	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣	٦/٢٥	مسابقة	القبر	غض البصر	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٤	٧/٢	أهمية الصلاة	المدرس والصلاة (موقف تربوي)	أقسام المياه	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٥	٧/٩	مسابقة	التغيرات النفسية عند المراهق (حلقة ١)	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٦	٧/١٦	مصعب بن عمير٢	عدم القدرة على غض البصر(موقف تربوي.. مشاهدة التليفزيون)	السؤر	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٧	٧/٢٣	مسابقة	آداب المجالس	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	ثورة يوليو
٨	٧/٣٠	العلاج بالتمائم والرقى (عقيدة)	الدعوة إلى فرح غير إسلامي (موقف)	النجاسة ١	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٩	٨/٦	مسابقة	لماذا نعيش	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٠	٨/١٣	سلمان الفارسي١	قراءة القرآن	النجاسة ٢	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١١	٨/٢٠	مسابقة	عقوق الوالدين	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٢	٨/٢٧	الإسلام والجنس	شراء كمبيوتر (موقف تربوي)	الغسل	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٣	٩/٣	مسابقة	التغيرات النفسية عند المراهق (حلقة ٢)	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٤	٩/١٠	سلمان الفارسي٢	اختيار الأصدقاء	الوضوء	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٥	٩/١٧	مسابقة	آداب الحديث مع الغير	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٦	٩/٢٤	حول القضاء والقدر (عقيدة)	موقف (الدخول في مجموعة دراسية بها بنات	التيمم	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٧	١٠/١	مسابقة	شمولية الإسلام	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
١٨	١٠/٨	سلمان الفارسي٢	الإخلاص	المسح على الجبيرة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	٦ أكتوبر
١٩	١٠/١٥	مسابقة	آداب الطريق	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	أول رمضان
٢٠	١٠/٢٢	مشاجرة في الطريق (موقف تربوي)	الذكر	حكم تارك الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢١	١٠/٢٩	مسابقة	العلاقة بالجنس الآخر	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢٢	١١/٥	حذيفة بن اليمان١	ارتباط عاطفي (موقف تربوي)	شروط الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢٣	١١/١٢	رمضان فرصة للتغيير	الصوم	فقه الصيام	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	عيد الفطر
٢٤	١١/١٩	مسابقة	الحسد	فقه الصيام	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢٥	١١/٢٦	حذيفة بن اليمان٢	الحسد (موقف تربوي)	العشر الأواخر	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢٦	١٢/٣	مسابقة	مشيئة الرب والعبد	صلاة العيدين	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٢٧	١٠/١٢	مسابقة	الشتائم والسخرية	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
•	١٢/١٧ إلى ١٢/٣١		فترة توقف بسبب امتحانات نصف العام						
•	٢٠٠٤/١/٧ إلى ١/١٤		أقرب موعد للامتحانات						عيد الأقباط

تابع اللقاء متعدد الفقرات ٢٠٠٤ -٢٠٠٥ (الجمعة افتراضًا)

	التاريخ	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	الفقرة	المناسبة
٢٨	١/٢١	التوبة	لماذا نتعلم (موقف تربوي)	ما يباح في الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	العشر من
٢٩	١/٢٨	مسابقة	كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي١	أخبار١	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	ذي الحجة
٣٠	٢/٤	أبو عبيدة بن الجراح	الحلقة المسجدية والمذاكرة (موقف تربوي)	مكروهات الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	وقفة عيد الأضحى
٣١	٢/١١	مسابقة	الحقد	أخبار ٦	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٢	٢/١٨	العدالة الإلهية والتفاضل في الأرزاق(عقيدة)	خلاف شخصي (موقف تربوي)	مبطلات الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٣	٢/٢٥	مسابقة	المؤامرة على الشباب المسلم	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	رأس السنة الهجرية
٣٤	٣/٤	أبوعبيدة بن الجراح٢	الاختلاط	قضاء الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٥	٣/١١	مسابقة	آداب الاستئذان (الحلقة ١)	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٦	٣/١٨	تحضير الأرواح (عقيدة)	المنزل يرفض حضور الحلقة المسجدية (موقف تربوي)	صلاة القصر	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٧	٣/٢٥	مسابقة	كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي(٢) (رعاية العقل)	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٨	٤/١	قيس بن سعد	غض البصر٢ (موقف تربوي) (التعامل مع متبرجة في وسيلة مواصلات)	الجمع في الصلاة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٣٩	٤/٨	مسابقة	كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي (تنمية المواهب)(٣)	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٤٠	٤/١٥	الموت	كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي (٤) تربية النفس على الإيثار والتضحية	أنواع من الصلوات	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	
٤١	٤/٢٢	مسابقة	الغزو الفكري	أخبار	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	عيد تحرير سيناء ٢٥/ ٤
٤٢	٤/٢٩	كيف يراعى المراهق النمو الانفعالي (٥) (الثقة بالنفس والفكاهة والمرح)	علامات الساعة الكبرى	سنن الفطرة	فقرة مجموعة	نشيد	نصيحة شفوية	ح-ت-ب	شم النسيم٢٨/ ٤
•	٥/٦								عيد العمال١/ ٥
•	٥/١٣								
•	٥/٢٠			فترة توقف بسبب الامتحانات					المولد النبوي ٢/ ٥
•	٥/٢٧			أقرب موعد للامتحانات					
•	٦/٣								

مصادر الفقرات

الفقه	فقه السنة	الشيخ السيد سابق
العقيدة	تبسيط العقائد	الشيخ السيد سابق
الأخبار	بعض مواقع الإنترنت (حسب ما يتفق عليه). أو حسب ما يتفق عليه من الصحف	

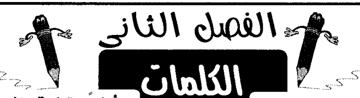
معاني الرموز

ح	إحصاء	حصر كل مجموعة من المجموعات
ت	ترتيب	إعلان ترتيب المجموعات في مسابقة المجموعات حتى آخر أسبوع
ب	تنبيه	تنبيهات بمواعيد اللقاءات خلال الأسبوع الجاري

زمن الفقرات

المسابقة	١٣	دقيقة
الكلمة	١٣	دقيقة
النشيد	٥	دقيقة
فقرة المجموعة	١٠	دقيقة
أخبار	١٣	دقيقة
موقف تربوي	١٣	دقيقة
نصائح شفوية	٣	دقيقة
إحصاءات وتنبيهات	٣	دقيقة
زمن اللقاء	٧٣	دقيقة

الفصل الثاني



الكلمات

أولاً – في حب الصحابة

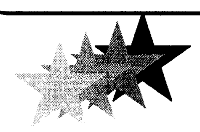
مصعب بن عمير.. فاتح المدينة
تحليل ودروس
سلمان الفارسي.. المغامر
تحليل ودروس
حذيفة بن اليمان.. الخبير
تحليل ودروس
أبو عبيدة بن الجراح.. أمين أمة محمد
تحليل ودروس
سعد بن أبي وقاص.. القناص
تحليل ودروس
قيس بن سعد.. الداهية
تحليل ودروس

ثانياً – تزكية النفس والرقائق

أحلام الجنة.. أرض المؤمنين
حي على الصلاة
القرآن.. يغير
محاكمة القبر
الإخلاص
الآن نتوب
الموت
اذكر الله
دروس من الصيام
الحقد
الحسد

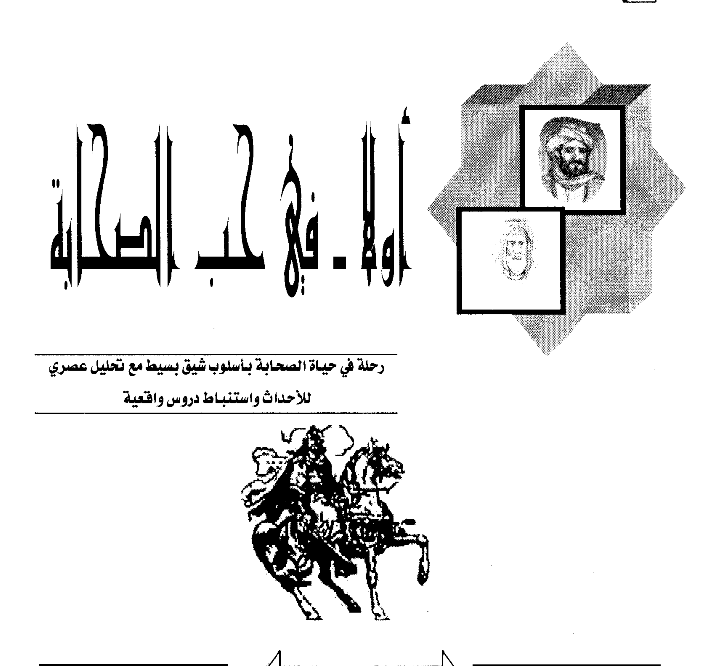
ثالثاً – الأخلاق

آداب الاستئذان
آداب الحديث مع الغير
آداب الطريق
آداب المجالس
اختيار الأصدقاء
الشتائم والسخرية
بر الوالدين
غض البصر
تربية النفس على الإيثار والتضحية



رابعاً – موضوعات فكرية

لماذا نعيش؟
الطلبة والأجازة
رمضان فرصة للتغيير
شمولية الإسلام
الاختلاط
الإسلام والجنس
المؤامرة على الشباب المسلم
الغزو الفكري
العلاقة بالجنس بالآخر
التغيرات النفسية للمراهق
كيف يراعى المراهق النمو الانفعالي
تربية النفس على الإيثار والتضحية
رعاية العقل وتنمية المواهب
الثقة بالنفس والفكاهة والمرح
الرسول والممازحة (مقال من الإنترنت)



مصعب بن عمير | أبو عبيدة بن الجراح

سلمان الفارسى | سعد بن أبى وقاص

حذيفة بن اليمان | قيس بن سعد

فاتح المدينة
عن قصة
مصعب بن عمير

(هل لديك الجديد من العطور؟)

نطق بها الشاب الأنيق بابتسامة تملأ وجهه كله أمام صاحب أفخر محال العطور في مكة.. الذي ما لبث أن رحب به بحفاوة بالغة قائلاً وهو يشد على يديه بابتسامة عريضة لا تخرج إلا لكبار العملاء:

دائماً لدينا الجديد يا سيدى..ولدينا فقط.

ثم أشار إلى أحد عماله الذي هرول إليه قائلاً:

اذهب وأحضر مجموعة العطور الفارسية والرومية التي وردت لنا بالأمس.. بسرعة.

قال العامل وهو ينحني انحناءة استجابة للأمر:

أمرك سيدي.

التفت التاجر للشاب وقد أكسبه عمله بالتجارة فراسة نادرة وهو يقول:

أنا أوليك عناية خاصة، ولكنى هذه الأيام بالذات أوليك عناية مضاعفة.

قال الشاب متسائلاً بعد أن تملكته ثوان من التفكير:

هذه الأيام بالذات؟!.. ولماذا هذه الأيام بالذات؟!.

قال التاجر:

كل عميل لدى له سمته الخاص الذي أعرفه جيداً..وأي تغير عليه لابد أن ألاحظه.

قال الشاب ولا تزال تسيطر عليه حالة من التفكير:

وما الذي طرأ على مجدداً يا ترى..

- (العطور سيدى)

نطق بها العامل وهو يضعها أمام التاجر الذي ما لبث يعرضها على الشاب في حرفية بالغة جعلته ينجح في أن يبيع له ثلاثاً من أغلى أنواع العطور، دفع ثمنها دون تردد شاكراً التاجر منصرفاً بعدها بطريقة بدا وكأنه يريد التخلص بها من هذا الموقف.

وسار الشاب في الطريق إلى منزله وهو يشعر أن التاجر يلاحقه بنظراته، وقد تملكته حالة من الحيرة والتفكير جعلته لا يشعر بالطريق.

ماذا كان يقصد هذا التاجر بهذه الأيام بالذات، وما هو التغير الذي طرأ على ليلاحظه التاجر بهذه السهولة.

يا الله..أيكون قد سمع شيئاً عما حدث.. أيكون قد انكشف سري.. وبهذه السرعة، رغم كل ما اتخذته من إجراءات احتياطية..أم أن ما قاله الرجل كان شيئاً عابراً لا يستحق كل هذا الاهتمام وهذه الحيرة.

نعم..إنها مجرد جملة حاول بها التاجر أن يشعرني باهتمامه كحيلة كل التجار لجذب عملائهم إليهم..

ثم أخذ نفساً عميقاً وكأنه قد فك قيداً كان على رقبته قائلاً:

نعم هكذا الأمر ولا شيء غيره.. على أن أنسى الموقف تماماً ولا أهتز بهذه الصورة أمام كلمة من هذا أو تلميح من ذاك، واحذر أن يظهر عليك شيء أمام أمك فمكة كلها لا يهمك أمرها مثلها.

وما إن كاد ينهي الشاب حواره مع نفسه ويرسم ملامح مطمئنة على وجهه حتى وصل إلى باب منزله الفاخر حيث طرقه قبل أن يسمع صوت الخادمة:

- من بالباب؟

- مصعب

دخل مصعب ليجد مشهداً غريبا لم يعتده إلا في أوقات الشدائد والأزمات،فقد وجد في حجرة الاستقبال أعمامه وأخواله ينظرون إليه نظرة ملؤها الدهشة واللوم،إلا أن نظراتهم جميعاً لم تكن لتخيفه مثلما أخافته نظرة أمه (خناس بنت مالك)

فلقد كانت نظرة حادة وقاسية.. فهم منها مصعب أن أمره قد انكشف..لا محالة.

لقد بدأت رحلة الصراع..الذي حاول مصعب أن يتفاداه..

إلا أنه بدا رغماً عنه.

وبلا رجعة.

*****

(أين كنت يا مصعب؟)

نطقت بها أم مصعب في عصبية بالغة يكاد يتطاير معها الشرر من عينيها التي أخذت تحدق في عيني مصعب وقد فاجأه السؤال بصورة جعلته يجيب في تردد:

أي شيء حدث يا أماه، كنت أشترى بعض زجاجات العطر كعادتي..وها هي في يدي.. ألا ترينها؟

قالت الأم بخبث:

أراها بالطبع، ولكنى أرى أن الوقت الذي استغرقته بالخارج كان أكبر بكثير من مجرد شراء بعض زجاجات العطر.

ابتسم مصعب وهو يحاول أن يدفع عن نفسه تهمة لم يتهمه بها أحد بعد قائلاً:

بالفعل يا أماه... فلقد كنت أجلس مع أصدقائي كما اعتدت ولقد أخذنا الحديث بعض الوقت.

قالت الأم في سخرية:

أعتقد أن محمداً أكبر منك سناً بكثير كي يكون من أصدقائك.. أليس كذلك.

اضطرب مصعب وهو يقول:

محمد.. من محمد؟

قالت الأم في تحد:

محمد الذي جعلك تكذب على أمك.. وهو ما لم تفعله في حياتك.

ازداد اضطراب مصعب وهو يقول:

أنا لم أكذب عليك يا أماه...أنا بالفعل كنت...

قاطعته أمه وقد ارتفع صوتها فجأة وهى تقذف بالكلمات في وجه مصعب قائلة:

كنت مع محمد ورجاله ممن اتبعوه في دار الأرقم،جاءني عثمان بن طلحة بالأمس وأخبرني أنه رآك وأنت ترتاد ذلك المكان لتحضر اجتماعات محمد، ليس هذا فقط بل رآك وأنت تصلى صلاة محمد...

عندها هب أحد أعمامه ثائراً في وجهه: أي جنون أصابك يا ولد..

واندفع بعدها خاله يلومه ويوبخه..

واندفع الجميع يحاصروه ويضغطون عليه ضغطاً هائلاً لم يعتده أبداً في حياته وهو الشاب المرفه المدلل المنعم المطاع الذي طالما عاش حياة هانئة هادئة مستكينة مطمئنة...

و..

كفى..

انفجر بها مصعب في تحد واضح ليضع نهاية لهذا الموقف السخيف وتابع:

نعم أسلمت..آمنت بمحمد، سمعت ما قال وفكرت واقتنعت،وأجد نفسي سعيداً بما فعلت مرتاحاً لما أقدمت عليه من قرار أدرك تماماً مدى صعوبته وخطورته،ولست متعجباً من موقفكم الآن، لأنكم لم تسمعوا ما سمعت من محمد ولم تشعروا بما شعرت و....

وبدأ مصعب يتلو بعض آيات من القرآن الكريم، لعل القلوب ترق أو تفهم العقول أو تصمت الألسنة...

وكان ما تلاه مصعب-بلا شك- شيئا جديدا مؤثراً بل مبهراً، ولربما تأثر به البعض، ولكن..

إنها أمه.. ذات الشخصية القوية المهابة.. لم تتأثر..ولم يرق قلبها حتى على ابنها،

بل وأصرت على معاقبته وأذاه..

نعم.. أذاه.. ستحرمه من النعيم الذي اعتاد عليه طوال حياته..

ستمنع عنه رفاهية طالما حسدها عليه كل أهل مكة..

ستحبسه في غرفة في أقصى الدار..وستضع عليه حراسة مشددة..لا شك أنه لن يتحمل فمن ذاق النعيم طيلة حياته، من الصعب عليه بل من المستحيل أن يتحمل أسبوعاً من التقشف، دع محمد ينفعه..

هكذا قالت أمه لنفسها..وهكذا راهنت على قدرة مصعب (المدلل) على تحمل شظف العيش..

بالتأكيد أخطأت أم مصعب في تقديراتها..

ولها العذر في ذلك، فهي لم تعرف الإسلام من قبل ولم تذق طعم الإيمان قط..

إنها لم تعرف ماذا يفعل الإيمان بالنفوس وكيف يغير الطباع ويقوى الإرادة ويشحذ العزيمة وينمى الإصرار ويصنع التحدي..

لها العذر في ذلك، فهي لم تعرف الحقيقة التي أدركها مصعب ورفاقه، حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وحقيقة الحياة..

لكنها مع الوقت بدأت تدرك..

لم يستسلم مصعب كما توقعت ولم ينهار كما راهنت، بل اشتد عوده وقويت شكيمته وتطلع إلى تحد أكبر وأكبر..

إنها الهجرة...

نعم.. الهجرة إلى الحبشة..

*****

في العام الخامس من البعثة، نجح أحد الصحابة أن يخبر مصعباً بأن الرسول ﷺ، قد أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد الإيذاء بصورة لا تحتمل، وأنه قد اختار مصعباً من بين اثنى عشر رجلاً سيهاجرون إلى الحبشة.

ولم يكن لمصعب (الجديد) أن يتأخر أو يتوانى عن أمر رسول الله...

ولكن..كيف له أن يفلت من هذا الحصار الرهيب..كيف يغافل الحراس ويتسلل خارج المنزل ليلحق بالمهاجرين؟

فكر مصعب كثيراً ودعا الله أن يهديه لخير حيلة..

وهداه الله للحيلة وغافل حارسيه ونجح في التسلل خارج المنزل والتقى بأصحابه الذين كانوا على موعد مع الهجرة إلى الحبشة حيث النجاشي العادل.

وكم كانت الرحلة طويلة وشاقة..

وكم كان الأمر لا يخلو من الخطورة والمغامرة

في كل لحظة كان مصعب مهدداً بالقبض عليه..

لكن مصعباً كان محتاطاً لذلك.. كما كان مصمماً على إتمام الرحلة الشاقة، حتى ولو كانت سفراً طويلاً من قارة آسيا إلى جنوب قارة أفريقيا.

لم يشغل باله عظم الجهد والمشقة..كان الذي يشغله أمراً واحداً فقط..كيف ينفذ أمر حبيبه رسول الله..كيف ينجح في المهمة ليرضى رسول الله.

وعن طريق البحر الأحمر،وبسفينتين سخرهما الله له ولأصحابه، وصلوا سالمين قبل أن ترصدهم عيون قريش.

لكن شائعة انتشرت بينهم وهم على أرض الحبشة جعلتهم يقررون العودة..

(لقد أسلمت قريش)

ياه..أسلمت قريش.. كان الخبر مفرحاً إلى الدرجة التي لم تجعلهم ينتظرون أمر الرسول بالهجرة..

فعادوا دون تفكير ودون أمر.

وعاد مصعب وأصحابه إلى مكة..ففوجئوا بذهول الصحابة..وتيقنوا أن الخبر لم يكن صحيحاً..

وعاد مصعب إلى الحبشة مرة أخرى..

هجرة مرة أخرى..ومشقة مرة أخرى..وجهاد مرة أخرى.

وكيف لا..

وهو مصعب الجديد الذي غيره الإيمان فجعل رفاهيته أن يتحمل المشقة في سبيل الله، وجعل راحته أن يبذل الجهد في سبيل الله وجعل عزه في أن ينفذ أمر رسول الله.

لقد تغير مصعب كثيراً..تغيراً أذهل الصحابة عندما دخل عليهم وهم يجلسون حول رسول الله في إحدى دروس العلم في دار الأرقم،وهو يرتدى جلبابا بالياً مرقعاً، فما أن رأوه حتى حني البعض رأسه وغض البعض الآخر بصره، وزاد التأثر بآخرين..

فبكوا.. وذرفت الدموع من عيونهم..ودارت الأفكار في رؤوسهم.

أهذا هو مصعب الذي كان يرتدى أفخر الثياب وآخر موديلاتها .. أهذا هو مصعب الذي كان يغير ثوبه في اليوم مرتين أو ثلاث..

يا الله ..لقد تنازل مصعب عن نعيم الدنيا من أجل الآخرة..تنازلاً لا رجعة فيه..واختار اختياراً لا بديل عنه..الآخرة خير وأبقى.

وبنفس الإصرار الذي واجه به ثورة أمه في الماضي، واجهها مرة أخرى حين دعته ثانية لترك دينه وإلا عاودت حبسه مرة أخرى.فأظهر إصراراً وتحدياً فاجأ به أمه إلى حد التهديد بقتل كل من ستستعين بهم على حبسه.

ورغم كل القسوة التي واجهته بها أمه..كان هو حانياً عليها رحيماً بها.وظل يدعوها قبل أن يغادرها إلى دين الله..

(يا أماه..إني لك ناصح وعليك مشفق)

ولكن قسوة أمه كانت أشد من رحمة ابنها وخوفه عليها..

وودعها باكيا..وودعته باكية..في لحظات ظلت شاهدة على موقفين متناقضين..

إصرار على الكفر..وإصرار على الإيمان.

وإلى جانب شخصية مصعب المضحى المجاهد،كانت قد أثرت تربية والديه فيه فأصبح ذا ذكاء ولباقة وحسن خلق، وهو ما شجع الرسول ﷺ لكي يختاره داعية للإسلام في المدينة بعد بيعة العقبة الأولى، وفضله بذلك على من هم أكبر منه سناً وأكثر وجاهة.

وهناك أثبت مصعب كفاءته وقدرته وعبقريته الدعوية.

*****

(ما جاء بكما إلى حينا تسفهان ضعفاءنا..اعتزلانا إن كنتما لا تريدان الخروج من الحياة)

صرخ بها (أسيد بن حضير) سيد قبيلة بني عبد الأشهل في المدينة، في غضب وثورة وهو يشهر حربته في وجه مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة الذي نزل في ضيافته،عندما كانا يقفان مع أناس يدعوهم مصعب إلى الإسلام.

وما إن رأى الناس الموقف حتى فزعوا وشعروا أن معركة ستحدث حتماً.

وعلى عكس المتوقع تماماً، قابل مصعب ثورة أسيد بهدوء شديد وابتسامة واثقة وحكمة بالغة قائلاً لأسيد:

(أو تجلس فتستمع؟ فإن رضيت أمرنا قبلته..وإن كرهته كففنا عنك ما تكره).

لا شك أن مصعب كان على دراية بشخصية أسيد بن حضير وطريقة تفكيره كيف وهو الذي دخل كل بيت من بيوت المدينة وهو ما هيأه ليحدث كل شخص حسب تفكيره وثقافته ومكانته بين أهله.

كان الرد حكيماً إلى أبعد حد..وفيه مغامرة إلى أبعد حد..

حكيما لأنه عرض عرضاً لا يرفضه عاقل كأسيد، فما الضرر أن يستمع فإن اقتنع تركه وإن لم يقتنع ترك مصعب الحي والعشيرة إلى حي آخر وعشيرة أخرى.

ومغامرة لأن عدم اقتناع أسيد بدعوة مصعب وهو- احتمال وارد بالطبع – سيجعله يخسر دعوته في حي كامل.

ولربما يأخذ الخبث أسيداً فيصر على عدم اقتناعه بما يقول مصعب حتى وإن اقتنع، ويصبح لزاماً عليه الرحيل.

إلا إنه يبدو الإخلاص والحكمة وفن العرض والحوار،انتصر لمصعب..ولدعوة مصعب.

فما انتهى مصعب من حديثه حتى قال له أسيد:

ما أحسن هذا القول وأصدقه..كيف يصنع من يدخل في هذا الدين ؟

قال له مصعب:

يطهر ثوبه وبدنه، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وبلغت الحماسة بأسيد أن جعلته غاب عنهم دقائق ثم عاد إلى مصعب ومن معه يقطر الماء من شعر رأسه ويعلن أمام الجميع أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أرأيت كم كان الرسول موفقاً في اختياره..لقد كسب مصعب الجولة ثم تبعتها جولات..

فما إن سرى الخبر في المدينة بإسلام أسيد حتى أسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة..بعدها أقبل أهل المدينة يتساءلون: إذا كان أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة أسلموا..فلما لا نسلم إذن؟!

هيا بنا إلى مصعب...

لقد نجح السفير نجاحاً منقطع النظير..نجاحاً يستحقه مصعب ويستحقه الإسلام ويستحقه أهل المدينة.

وتمر الأيام.. ونجاح مصعب يزداد يوماً بعد يوم، وتزداد معه أعداد المسلمين..

ويهاجر الرسول وصحبه إلى المدينة، وتغلي قريش حقداً وضغينة، وتقوم غزوة بدر، وينتصر المسلمون في ميدان الحرب كما انتصروا من قبل في ميدان الدعوة.

وتأتي أحد..

ويأتي معها المشهد الأخير لسفير الإسلام مصعب بن عمير.

(أنت الذي ستحمل الراية يا مصعب)

نعم لقد اختار الرسول ﷺ مصعبا لحمل راية الإسلام داعية له في المدينة، واليوم يختاره لحمل راية الإسلام محارباً في أحد..

وتشتد المعركة..

وينتصر المسلمون في بادئ الأمر، ويغرى النصر جيش الرماة فيتركوا أماكنهم على جبل أحد ليحصدوا الغنائم..وينكشف ظهر المسلمين.

ويفاجأ المسلمون بجيش الداهية خالد بن الوليد ينزل عليهم من أعلى الجبل فيثير الذعر والفوضى بين صفوفهم.

وينظر مصعب فيجد الأمور قد انقلبت انقلابا رهيباً لا يصدقه عقل.

الهجوم شرس وقوى، والذعر ضرب النفوس في مقتل،وأصحابه وأصحاب رسول الله يتساقطون أمام عينيه..

والخطر يقترب ويقترب إلى أعز الناس وأحب الناس إلى قلبه..

إلى الرسول..

لقد أصبح الرسول مهدداً..فالكل يبحث عنه ليقتله..

وأدرك مصعب الموقف، فحمل الراية عالية وأخذ يزأر كالأسد بالتكبير ليرفع الروح المعنوية للمسلمين وأخذ يقاتل وحده بشراسة كأنه جيش كل همه أن يصرف النظر عن رسول الله... كان هدفه أن يخرج الرسول سالماً حتى لو أصابه ما أصابه..

ولقد أصاب مصعب الكثير والكثير..

لقد اتجه إليه أبو قميئة على فرسه فضرب يده اليمنى بسيفه فقطعت، فحمل الراية بيسراه فضربها فقطعت فحمل الراية بعضديه..فضربه قميئة برمحه..فوقع

وقع مصعب بن عمير..ووقعت الراية..

وتوقفت آخر كلماته..

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ظل يرددها مع كل ضربة يتلقاها وظل المسلمون يرددونها وسيظلون إلى قيام الساعة..

فلقد نزل بها الوحي وأكملها قرآنا يتلى إلى يوم الدين.

وانتهت المعركة.. ليقف رسول الله ﷺ على جثة مصعب وقد غطى وجهه الجميل التراب وكأنه خاف أن يرى الرسول وقد أصابه سوء وهو جثة هامدة..

أو أنه قد خجل أنه قد قتل قبل أن يطمئن على رسول الله.

وقف الرسول على جثة مصعب..

ولقد كان الوحيد الذي وقف على جثته..

وقد استشهد سبعون من الصحابة في هذا اليوم منهم عمه حمزة..

وذرفت الدموع من عين الحبيب وهو يقول: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

ثم ألقى نظرة على بردته التي كفن بها وقد كانت قصيرة لا تستر جسده كله وقال:

لقد رأيتك بمكة، وما بها أرق حلة، ولا أحسن لمّة منك. ثم هاأنت أشعث الرأس في بردة..؟!

بعده نظر الرسول الكريم نظرة واسعة حانية إلى أرض المعركة قائلاً:

إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة. ثم أقبل على أصحابه الأحياء حوله وقال: أيها الناس زوروهم، وأتوهم، وسلموا عليهم، فو الذي نفسي بيده، لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة، إلا ردوا عليه السلام..

تعالوا نسلم على حبيبنا مصعب ليرد علينا السلام..

السلام عليك يا مصعب..

السلام عليك يا سفير الإسلام.. يا شهيد أحد..

يا فاتح المدينة..

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

تحليل ودروس

١- الصراع بين الملتزم ومن حوله

في بداية الالتزام..عادة ما ينشأ صراع بين الملتزم ومن حوله نتيجة لتغير الأفكار والعادات لدى الشخص الملتزم، وهذه الدوائر تبدأ بالأسرة ثم الأصدقاء ثم تتسع الدائرة لتصل إلى المجتمع ككل، وسبب هذا الصراع يختلف من حالة إلى أخرى كالتالي:

أ- قد يكون نتيجة لقيام الشخص الملتزم بأفعال مستفزة حتى وإن كانت صحيحة مثل إغلاق التليفزيون على فيلم يراه غير مستحسن مشاهدته، أو تعنيف أخ له نتيجة لعدم صلاته في المسجد،أو نقد الأب نتيجة لارتكاب خطأ في صلاته أو تدخينه السجائر، ونحن لا نعترض على الدعوة من أجل التغيير داخل المنزل، ولكن التغيير المفاجئ دون تمهيد مدروس هو الذي يسبب الصدام والفشل.

ب- قد تمرر الأسرة الموقف ولكنها تبدأ في الاعتراض نتيجة لملاحظة ظهور سلبيات على الشخص الملتزم بعد التزامه، مثل التأخر الدراسي أو الانعزال عن الأسرة والأقارب والجيران أو اتهام الناس بتهم صادمة مثل الفسوق والكفر أو الانغماس في العبادة بصورة يهمل معها مصالحه ومصالح أسرته.

ج- الحديث في الأمور السياسية كثيراً بالمنزل، مما يزرع الخوف في قلب الأب والأم ويشعران باستمرار أن الابن أصبح معرضا دائماً للخطر.

د- غالبا ما يواجه التزام الشخص بالسخرية من أصدقائه، وكلما شعروا بالضعف من ناحيته زادوا في الأمر، ولا حل لهذه المشكلة إلا بقوة شخصية الملتزم أمام أصدقائه وثقته في نفسه ودفاعه عن تدينه بعزة ولطف دون صدام.

٢- الأغنياء يلتزمون أيضاً

ليس صحيحا أن الأغنياء والمترفين فرصتهم في الالتزام ضعيفة، وأن الفقراء هم الأقرب للالتزام بحكم أن وسائل المعصية ميسرة لهم أكثر من غيرهم، فالتربية وصفات المدعو والاستعداد النفسي والأسلوب الذي يدعو به هو الفيصل ولا شيء آخر.. و ليس صحيحاً أن من كان يدخل الإسلام فقراء. ..فالكثير من أوائل المسلمين كانوا أغنياء مثل أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان ومصعب بن عمير وسلمان الفارسي و غيرهم.

٣- الثبات على المبدأ والدفاع عن التدين

في بداية الالتزام -وعلى عكس المتوقع- تواجه الملتزم حديثاً صعوبات شتى تضايقه

وتقلقه وربما تسبب له آلاماً نفسية، وهذا أمر طبيعي لأن الملتزم حديثاً كمن يولد من جديد يبدأ في النظر إلى من حوله برؤية مختلفة ، ويبدأ المجتمع من حوله يرونه بصورة جديدة، ولابد من فترة انتقالية يجب أن يديرها الملتزم بحكمة وعقلانية حتى يتقبل هو الصورة الجديدة للآخرين ويقتنع الآخرون بالتزامه، وإلى أن يحدث ذلك ستحدث مشاكل ويواجه الملتزم صعوبات عليه أن يتحملها بصبر وشجاعة واستعانة بالله ولا ينهزم أمام رياح النقد والسخرية.

٤- قدرة الإيمان على تغيير النفوس وتحمل المشاق

الإيمان له قدرة غريبة على تغيير النفوس، مهما تصورنا بشاعة صاحبها ومهما اعتقدنا أن صاحبها أبعد ما يكون عن الالتزام، ولكن التاريخ يشهد أن الإيمان خيب كل الظنون وأفسد كل التوقعات بشأن أناس كانوا آخر من يتوقع إسلامهم أو التزامهم، ففي عهد الرسول كان عمر بن الخطاب له باع في اللهو والعربدة وإيذاء المسلمين قبل إسلامه، ومصعب بن عمير وسلمان الفارسي حين تحولا برضا نفس من الترف والرفاهية إلى حياة الزهد والمشقة، وحديثاً .. يدهشنا كل يوم فنانة من هنا أو فنانة من هناك وهم آخر من تصورهم الناس ملتزمين...

والسر في ذلك..أن الإيمان طاقة ربانية ليس لقوتها حدود.. قادرة على تغيير النفوس وفك كل شفراتها لتحولها من النقيض إلى النقيض.. ولو وعى كل منا هذا الدرس لاستطاع بالإيمان أن يغير ما بداخله أياً كانت صعوبته باستخدام طاقة الإيمان الربانية الجبارة.

٥- الصادق في إيمانه لا يعدم الحيلة

إذا كان الملتزم صادقاً في التزامه غير متردد فيه مقتنع بطريقة مصر على استكماله، فلن يعدم الحيلة للتغلب على ما يواجهه من صعوبات، والمؤمن الصادق لا يظهر إلا في المواقف الصعبة، وما يحدث للملتزم من مشاكل ما هي إلا اختبارات يرسلها الله له ليختبر إيمانه وصلابته وإرادته، فإذا وجد منه صدقاً وعزيمة أعانه وهداه إلى التفكير السليم وثبته وزاده إيماناً ورفعه عنده درجات ودرجات. وإن خارت إرادته واستسلم بسهولة.. فلن يرى بقية الطريق.. بل سيبدأ رحلة التراجع خطوة خطوة.

٦- الالتزام قرين التضحية

لا التزام بدون تضحية وجهاد نفس.. والذي يظن غير ذلك مخطئا في فهم دينه، وإلا..فما هو الدليل الذي ستبرهن به على حبك لله وللرسول والتزامك بالإسلام إن لم تترك شيئاً عزيزاً عليك.. نجد مصعبا قد ضحى براحته وجاهه وعيشته اليسيرة المرفهة ليرتدى ثياباً بسيطة ويأكل أرخص الأطعمة ويتحمل مشقة السفر والحر من أجل دينه وفي

سبيل الله.. والطالب أو الشاب قد يضحي بماله أو وقته أو راحة جسده، أو هدوئه النفسي أو سكينته في أسرته أو مرحه وسط أصدقائه في سبيل الله ومن أجل رضاه والفوز بنعيمه وجنته.

٧- الخلاف في وجهات النظر بين الآباء والأبناء لا يخدش المعاملة الكريمة لهما

الخلاف في الرأي بين الآباء والأبناء وارد، وغالباً ما يشتد في مرحلة المراهقة ونادراً ما يصل طرف من الطرفين إلى إقناع الآخر بوجهة نظره، ولذلك فقد علمنا الإسلام أن للتعامل مع الوالدين خصوصية وخطوط حمراء لا يمكن تعديها مهما وصلت درجة الخلاف بين الأبناء والآباء، وقصة مصعب علمتنا أن الخلاف وصل بينه وبين أمه إلى أقصى مدى يمكن تصوره، إنه خلاف على دين وعقيدة ومصير وجنة ونار، ومع ذلك كان مصعب يحدث أمه بأدب ورفق ورحمة ومحبة رغم قسوتها الشديدة عليه وإيذائه بحبسه حتى ينصرف عن دينه، ومع الأم بالتحديد لا بد أن يراعي الابن رقة مشاعرها وشدة عاطفتها وحبها لابنها وخوفها عليه قبل أن يهم بكلمة تضايقها أو تصرف منفعل يغضبها.

٨- الذي يقنع الناس بالالتزام الجوهر لا المظهر

نجح مصعب بن عمير أن يقنع أهل المدينة بالإسلام، وما كان مصعب ليصل إلى هذا الهدف الذي سافر من أجله بأمر الرسول، إلا إذا وجدوا مصعبا رجلاً حسن الخلق باسم الوجه قوى الحجة دون إذلال لمن يناقشه لطيفاً وقوراً نظيفاً يفعل ما يقوله ولا يقول ما لا يفعله..لقد اقتنع أهل المدينة بالإسلام عندما وجدوا نموذجاً عملياً للإسلام أمامهم بأخلاقه وتعاليمه، وللأسف يخطئ بعض الشباب الملتزم في فهمه للالتزام بأنه شكل، كإطلاق لحية ولبس جلباب أبيض قصير.

كما يظن آخرون أن غاية الإسلام منه هو أن يتعبد، فيصبح كل هدفه أن يجتهد في الصلاة والقيام وقراءة القرآن ويكتفي بذلك وقد خفي عليه أن الله إنما جعل العبادة من أجل تغيير النفس من الداخل لإصلاح المجتمع وتغييره إلى الأفضل.إننا لا نعترض على الملابس المحببة للملتزمين أو العبادة ولكن الاعتراض على فهم الغاية والهدف الذي يريده الإسلام منا..إن الإسلام يريد العمل بما جاء فيه..هذه رغبة الله..وبها نصل إلى طاعته وجنته.

٩- البطولة أن تثبت عند الشدائد، وتعطى الأمل لمن حولك عندما يواجههم الإحباط ويطل عليهم شبح اليأس

بعد خطأ الرماة ومخالفتهم لأمر الرسول انكشف المسلمون وبدأوا يتعرضون للهزيمة، وانهارت الحالة المعنوية للمسلمين بعدما وجدوا الهجوم الشرس عليهم من قبل المشركين

خصوصاً بعد شائعة قتل الرسول وربما كان قد أصاب مصعباً جزء من هذا الانهيار النفسي فهو بشر ولكنه لم يستسلم له، بل رأى أن أول خطوة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه هو رفع الروح المعنوية للمسلمين من بعده وهو ما فعله واستطاع بذلك أن يعيد ولو جزءاً من التوازن العسكري في المعركة، وكثيراً ما يتعرض الشخص لصدمات كبرى تهزمه وتهزم من حوله فنجدهم صرعى نفسيين،استقبلوا الهزيمة بصدر رحب وقلب مفتوح واستسلموا لليأس دون مقاومة، فيصبح العدد مهما كثر صفرا على اليسار ليس له قيمة أو وزن، وعندما يظهر من ينهض يقاوم الإحباط ليشد من أزر نفسه أولاً ثم يشجع أصدقاءه بعدها يكون بطلاً بحق، إن من يحيى الأمل في النفوس ويعيد الحياة لأناس ماتوا من سهام اليأس والإحباط في حياته لجدير أن يعد من الأبطال.

الحكيم المغامر

عن قصة (سلمان الفارسي)

"أريدك أن تذهب غداً إلى المزرعة يا سلمان، فأنا مشغول بمتابعة بناء البيت الجديد"

نطق بها الأب بصوت مجهد وقد ظهر عليه الإرهاق من أثر عمل شاق طيلة اليوم وتابع وهو مستلقيا على سريره مستعدا للنوم والراحة:

سيأتي إليك تاجر الموز غداً ليدفع القسط الأخير،لا تعطه طلبية جديدة إلا عندما آتي بعد غد. ولا تسمح للعمال بالانصراف قبل مواعيد العمل الرسمية.

قال سلمان في طاعة:

اطمئن يا أبى.. ستكون الأمور على ما يرام..

وخرج سلمان ليجلس قليلاً في غرفة الاستقبال في خشوع أمام النار المقدسة وأخذ يتضرع إليها في طقوس اعتاد عليها منذ زمن.

كان سلمان شخصية تميل ميلاً إلى التدين ونفسية لا تستقر إلا بوجود إله تناجيه وتطلب منه العون، ولم تستطع حياته الرغدة أن تلهيه عن تلك الحاجة ولم تنجح الإمبراطورية الفارسية بكل سطوتها وجبروتها المادي أن تصنع منه شاباً عابثاً لاهياً لا يفكر إلا في شهواته وإرضائها ورغباته ونزواتها..

كان سلمان مجوسياً..

نعم.. ككل أهل فارس.. مجوس.. يعبدون النار...

هي الإله الذي يأمر وينهى ويستجيب ويرفض ويرضى ويغضب ويبنى ويهدم..

وتفانى سلمان في عبادتها..حتى إن النار لم تكن لتنطفئ في بيته.. تماما كما لم ينطفئ نور بصيرته عن رؤية الطريق و...

"ما هذه الأصوات"

همس بها سلمان وهو في طريقه إلى مزرعة أبيه وقد شده صوت ترانيم تصدر من مكان قريب منه..فالتفت إليه ثم اتجه نحوه وعندما وصل إليه اقترب منه بحذر

يحاول أن يعرف ماذا يجرى بداخله..

كان المكان عبارة عن كنيسة يلتقي فيها النصارى يصلون صلاتهم ويدعون دعاءهم..

كلام مختلف.. وطقوس غريبة. ..

ولم يدع سلمان نفسه نهباً للتساؤلات الحائرة التي تلف رأسه كثيراً..

لقد دخل الكنيسة وتعرف على من فيها وعرف أسقفها وجلس بينهم يسألهم ويجيبون ويحكى لهم ويحكون...

واندمج سلمان في الحديث تماماً، حتى إنه لم يذهب إلى مزرعة أبيه بل تأخر عن موعد رجوعه للمنزل حتى بعث أبوه من يبحث عنه.. ساعات وهو يسأل ويحاور ويفكر في الماضي والحاضر والمستقبل والحق والحقيقة حتى غابت الشمس..

وانطفأت معها نار المجوسية..ليضاء قلبه بدين جديد..

المسيحية..

*****

نعم إنها دين خير من ديننا.. ولماذا لا أدخل في دين اقتنعت أنه الأفضل ؟

قالها سلمان لأبيه الذي وقف مذهولاً مما حدث،وكيف لا يذهل وقد ترك ابنه في الصباح على المجوسية فيأتي إليه في المساء وهو على المسيحية، أكانت تكفى بضع ساعات لكي يغير المرء عقيدته لتخالف عقيدة أبيه الذي رعاه وأحبه كأشد ما يكون الحب..

نعم..كانت تكفى سلمان..ولكنها لم تكف أبيه كي يقتنع بوجهة نظر سلمان، ساعات من الحوار والمجادلة بينه وبين أبيه انتهت بتدخل منطق القوة..

فقد أمر أبوه بقيد رجليه بالسلاسل وحبسه حتى يعود إلى صوابه..

يا إلهي..

أيفعل هذا أب بابنه وقد أحبه حبا لا يعرفه إلا هو وسلمان..

ولكن يبدو أن العقيدة كانت أسمى وأعلى وأقوى وأحب..

وهو نفس السبب الذي جعل سلمان لا يبالى بما فعل به أبوه، ووجد أن الصبر على مثل هذا ثمن زهيد لمعرفة الحقيقة..

كان السؤال الذي يشغل سلمان..ما هى الخطوة القادمة ؟

ولم يكن ذكاء سلمان المعروف لدى الجميع بأن يعجزه عن إجابة السؤال. ولقد بدأ في التنفيذ بالفعل..

فلقد نجح في إرسال رسالة إلى النصارى الموجودين في بلدته (أصفهان) بإيران يبلغهم فيها أنه قد دخل في دينهم، ويطلب منهم أن يبلغوه بأي فوج قادم من بلاد الشام حيث

الموطن الأصلي للمسيحية، وعندها يستطيع أن يدبر هو خطة للهروب واللحاق بالفوج وهو عائد إلى الشام..

ونجحت خطة سلمان..

فلقد وصل إلى المكان الذي يريد.. وهناك استمر في بحثه عن المزيد والمزيد عن الدين الجديد حتى وصل إلى أسقف كنيسة النصارى في مكانه وهناك التقى به وحكى له قصته.

يا له من قرار صعب لشاب في مثل سن سلمان

ويا لها من جرأة أن يقرر أن يهجر بلده وأهله وحده دون معين ودون ترتيب لحاله في مكانه الجديد..

أين يسكن..ومن أين يعيش. وهو وحيد في بلد جديد لا يعرف من أهلها إلا أصحاب السفر..

لكن الأسئلة الصعبة لدينا لم تكن لتمثل أرقاً كبيراً لدى سلمان إزاء ما يسعى إليه من كشف لحقيقة كبيرة وخطيرة..

حقيقة الوجود..

فليكن ما يكون حتى يعرف الحقيقة..

حتى لو عمل..

خادما.. نعم خادماً

تصوروا..!!!

سلمان الفارسي الذي كان يعيش في بيته تحت يديه الخدم عن يمينه يعمل الآن خادما لدى أسقف الكنيسة..

لقد قبل سلمان هذا العمل من أجل أن يظل قريبا من الأسقف فينهل من علمه ما شاء وتنجلي لديه الحقيقة أكثر وأكثر وتسنح له الفرصة في العبادة والصلاة.

وكان سلمان من الذكاء بحيث يحدد هدفه من وجوده مع أسقف الكنيسة.. العلم.. ولذلك ظل ملازما للأسقف رغم اكتشافه لأمر خطير يمس نزاهته وشرفه..

فلقد كان الأسقف لصاً.. نعم..لصاً..

كان الأسقف يدعو رواد الكنيسة إلى التبرع بأموالهم ليخرجها صدقات للفقراء، فإذا به يخدعهم ويأخذها لنفسه..

حقا إنه فعل مشين خاصة أنه جاء من رجل دين..لكن حكمة الشاب سلمان هدته إلى أن تصرف الأسقف لا يشين الدين الذي يدين به بل يشينه هو نفسه..

فليستمر معه إلى أن يظهر جديد..

وظهر الجديد..فلقد مات الأسقف اللص وتولى أمر الكنيسة من بعده رجل عابد زاهد أحبه سلمان كأشد ما يكون الحب،وجلس إليه سلمان يسأله ويحاوره وينهل من علمه ما استطاع ويسأله النصيحة في دينه والوصية من بعده..

وكانت الوصية..أن يذهب إلى رجل عابد زاهد مثله يعيش في الموصل..

وبعد وفاته.. ذهب رحال الحقيقة عاشق التدين إلى الموصل ليلتقي بأسقف جديد في بلد جديد..

وكانت الوصية هذه المرة في عمورية في بلاد الروم،فذهب إلى أسقف عمورية وأقام عنده يعرف منه الجديد عن دينه الجديد ويصلى ويتعبد ويعمل راعيا للغنم.

ألا تتعجبون مما يحدث..

ألا تندهشون مما يفعله سلمان.. رحلة من فارس إلى الشام،ثم أخرى إلى الموصل وثالثة إلى عمورية في بلاد الروم..كل هذا وحده دون رفيق أو معين!!!

" إن سلمان يبحث عن شيء لا يعرفه..

إن نداء بداخله يعلو صوته شيئا فشيئا ولكنه لم يحدد كلماته بعد..ولكن من المؤكد أنه يقترب ويقترب..

فلقد وضعت وصية أسقف عمورية سلمان على أول الطريق..

" يا بني ما أعرف أحدا على مثل ما كنا عليه، آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم حنيفاً.. يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرّتين، فإن استطعت أن تخلص إليه فافعل. وإن له آيات لا تخفى، فهو لا يأكل الصدقة.. ويقبل الهدية. وإن بين كتفيه خاتم النبوة، إذا رأيته عرفته."

يا لها من وصية جديدة وخطيرة..

إن الرجل ينبئ سلمان بأن هناك نبي قد أتى بدين جديد وحدد له علامات المكان الذى يوجد فيه..

وستبدأ رحلة لبلد جديد..ودين جديد

ويبدو أنها ستكون الرحلة الأخيرة..

إنها تستحق أن يضحى سلمان بكل ما يملك من أجلها..ثمناً للحقيقة..

ولقد فعل سلمان..فلقد عرض وبدون تردد كل ما يملك من أبقار وغنم على فوج علم أنهم من جزيرة العرب على أن يأخذوه معهم عند عودتهم..

وبالفعل أخذوه معهم إلى وادي القرى بجزيرة العرب، لكنهم لم يكتفوا بما أعطاهم سلمان من أبقار وغنم دون ثمن، بل باعوه كعبد إلى يهودي بها.

ما هذا الذي يحدث لك يا سلمان..

أنت الذي كنت ملكاً في بلدك تصبح الآن عبداً ليهودي..

أبلغ إصرارك على معرفة الحقيقة إلى هذا الحد..سفر ومشقة وتضحية وذل..

كان من المكن أن تضعف عند أي مرحلة وتكتفي بما اجتهدت فيه وتعود إلى بلدك وبيتك وأبيك ومالك وعزك..

كان من الممكن أن تشفق على نفسك مما يحدث لك في لحظة تخلو بها مع نفسك وتقرر نهاية الرحلة.

لكن غريزة المعرفة عند سلمان كانت أقوى من أي شيء..

لم يفكر سلمان في ما يحدث له وما حدث له وما سيحدث له..كان يفكر فقط في كلمات أسقف عمورية..ووصف المدينة التي بها نبي الدين الجديد

مدينة بها نخل كثير..كانت وادي القرى بها نخل كثير بالفعل ولكن سلمان يرجح أن تكون هي المدينة المقصودة، وظل سلمان عند اليهودي الذي اشتراه حتى أتى إليه رجل من بني قريظة فاشتراه منه وعاد به إلى المدينة، فما أن وصل إليها سلمان ونظر إليها نظرة فاحصة حتى أيقن أنها هي..

المدينة الموعودة..

"قاتل الله بني قيلة .. ليتقاصفون على رجل بقباء، قادم من مكة يزعم أنه نبي.."

هتف بها رجل يهودي وقد تملكه الغضب والغيظ إلى سيده الذي يجلس تحت نخلة من النخل الذي يملكه، في الوقت الذي كان فيه سلمان يتسلق على النخلة ليجمع ثمارها،وما إن سمعه سلمان حتى نزل مسرعا من على النخلة حتى كاد يسقط على صاحبه وما إن استقر على الأرض حتى هتف لصاحب الخبر قائلاً:

ماذا تقول يا رجل.. ؟ ما الخبر..؟

رفع سيده يده في حنق وضربه ضربة شديدة قائلاً في عنف:

مالك وما نتحدث فيه..عد إلى عملك بسرعة.

وبالفعل عاد سلمان إلى العمل..ولكنه ظل يتسمع الحديث فعلم أن النبي قد نزل بمسجد يسمى قباء في المدينة..

وبعد أن انتهى من عمله، جمع بعض مستلزماته ولكن لرحلة قصيرة هذه المرة.. مسجد قباء..

وعندما دخل سلمان المسجد استطاع أن يميز الرسول الكريم ربما لالتفاف بعض الصحابة حوله يتحدثون إليه ويسألونه..فشاركهم سلمان الحوار وعلم بأمر هجرتهم من مكة وبدأ أول اختباراته للتأكد من شخصية الرسول قائلاً:

لدى بعض الطعام كنت قد نذرته كصدقة وأرى أنكم أولى به فأنتم أهل غربة.. تفضلوا معى..

فنزل سلمان إلى أرض المسجد يفترش الطعام ومعه الصحابة متهللين بهذه الوجبة التي جاءت إليهم من السماء وأخذوا يأكلون الطعام وهم يتجاذبون أطراف الحديث مع سلمان الذي تظاهر بأنه معهم وهو في الحقيقة يتابع الرجل الذي بدت عليه أول علامات النبوة..

فالجميع تناولوا الطعام مع سلمان.. إلا الرجل. لقد صدقت أول العلامات.. فالرجل بالفعل لا يأكل الصدقة.

وفى اليوم التالي حضر سلمان إلى المسجد وفى يده جعبة بها طعام وبعد أن دخل المسجد اتجه إلى الرسول فحياه وجلس إليه وقال له وهو يبتسم:

لقد لاحظت أنك لم تأكل معنا بالأمس فأحببت أن أكرمك بهدية فلتقبلها منى.

فقبل الرسول مبتسما ودعا الصحابة معه للطعام وهو يقول:

كلوا باسم الله.

إنها العلامة الثانية.تظهر أمام سلمان..إن الرجل يقبل الهدية.

لقد نجح سلمان في أن يختبر الرسول في العلامة الأولى والثانية دون أن يشعر أحد أنه يبحث عن شيء ما..

لكن الذي لم يشعر به سلمان أن الرسول شعر بما يريد وقرر أن يساعده في الوصول إلى العلامة الثالثة التي لولا مساعدته لأجهد سلمان في التوصل إليها. وهو ما دعا الرسول إلى أن يلقى بردته بعد أن سلم عليه سلمان وهو يسير في جنازة بالبقيع، وبعد أن سلم عليه لاحظ الرسول أن سلمان قد عدل من وضعه لينظر في ظهر الرسول، فألقى الرسول بردته ليرى سلمان خاتم النبوة بين كتفي الرسول ويتأكد سلمان من العلامة الثالثة.. والأخيرة..

"إنه النبي..لا شك في ذلك".

لابد أنه قد هتف بها سلمان في نفسه قبل أن يفقد السيطرة على مشاعره و ينكب على الرسول باكياً يقبل يديه.

ولما شعر الرسول بصدق سلمان طلب منه تأجيل الحديث الآن حتى تنتهي الجنازة ثم دعاه إلى جلسة الدخول في دين جديد..

ظل سلمان يحكى للرسول وشرح الرسول لسلمان..

وأسلم سلمان..

الدين الثالث لسلمان..

ولكنه الأخير...

لقد نجح سلمان في الوصول إلى الحقيقة..

الكاملة..

نسى بها كل ما تكبده من جهد ومشقة في السفر والترحال..

إلا أن شيئاً واحداً لم يستطع ولن يستطع أن ينساه.. إنه العقبة الكئود بينه وبين مشاركة المسلمين وجهاده معهم..

إنه الرق..الذي منعه من الاشتراك في غزوتي بدر وأحد..

وكم كان حزن سلمان لذلك..وفى جلسة بينه وبين الرسول ﷺ، أثيرت المشكلة فدعا الرسول سلمان أن يكاتب سيده يطلب منه العتق، ودعا الرسول أصحابه ليعينوه على ذلك..

وتحرر سلمان بالفعل

وكانت نعم الهدية التي أهداها الإسلام لسلمان...

لقد وصل سلمان إلى الحقيقة وأنهى طريقاً مضنياً صعباً لسنوات، وتنفس نسيم الحرية.. لينطلق سلمان بعدها ليشارك لأول مرة في الجهاد ضد كفار قريش ويهود المدينة في غزوة الخندق.. وفيها..

كان سلمان ينتظره لقاء حاراً.. مع التاريخ.

*****

وكأن الله أراد لسلمان أن يدخل الإسلام وهو على درجة من فهم الحياة ونفوس البشر، ولم لا.. وهو الذي قضى سنوات من عمره في غمار السفر يصارع الأيام ويقهر الصعاب في بلاد لا يعرفها ولا تعرفه..

لقد أكسبت المواقف العديدة والصعبة التي تعرض لها سلمان حكمة نافس بها من سبقوه، بسنوات ولقد كان سلمان مهيأ بقدرته على البحث وحب العلم وجمع المعلومات وتحليلها بصور منطقية وقدرة على اتخاذ قرارات مصيرية وصعبة.. ولهذا امتلك سلمان صفات ندر أن تجدها في العديد من الصحابة..

فلقد أصبح ذا علم وحكمة وذكاء وخبرة بالحياة وحب للمغامرة وشجاعة في اتخاذ القرار..

ألا ترون معي أن سلمان..قد صار رائعاً..؟

وربما كانت هذه هي الأسباب التي جعلت الرسول ﷺ يختار أبا الدرداء أخاً له ضمن مشروع الأخوة الذي بدأ الرسول في تنفيذه منذ العام الثاني للهجرة لإزالة الخلافات المترسبة بين المسلمين من أهل المدينة قبل الإسلام وإذابة الفوارق الاجتماعية بينهم من ناحية وبينهم وبين المهاجرين من ناحية أخرى وتشجيع الأنصار على احتضان المهاجرين في غربتهم.

فلقد كان أبو الدرداء مبالغاً في العبادة إلى الحد الذي أهمل فيه نفسه وزوجته وحياته، حتى أن سلمان عندما رأى زوجة أبى الدرداء في زيارة له في إحدى المرات في حالة رثة، سألها متعجبا:

ما شأنك؟!

أجابت أم الدرداء في استسلام:

إن أخاك ليس في حاجة إلى الدنيا.

وفى مرة ثانية زاره في يوم جمعة فوجده نائماً فلما سأل قالت له زوجته إنه يقوم الليل كله يوم الجمعة ثم يصوم..

هنا شعر سلمان أن الأمر في حاجة إلى التدخل بموجب عقد الأخوة الذي بينهما، إن واجب الأخوة يفرض على سلمان أن ينصح أبا الدرداء بتعديل أسلوبه في الحياة وفكرته عن الإسلام، فاستأذن زوجته أن تصنع طعاماً فلما جلس للطعام قال له أبو الدرداء:

تفضل يا سلمان.. لم تأكل ؟

قال سلمان:

أنتظرك

رد أبو الدرداء:

لا..لا تنتظرني يا أخي فإني صائم..

فأصر سلمان على أن يأكل معه أبو الدرداء وإلا امتنع هو عن الطعام أيضاً ..وأمام إلحاح سلمان قطع أبو الدرداء صيامه على مضض وأكل مع سلمان.

بعدها استمر سلمان في مراقبة تصرفات أبي الدرداء التعبدية ومحاولة إثنائه عن المبالغة فيها بهذا الشكل حتى ضاق أبو الدرداء يوماً وهو يلومه على تخصيص يوم الجمعة بالصيام والقيام فقال له أبو الدرداء معاتباً:

أتمنعني أن أصوم لربى وأصلى له..؟!

فقال سلمان ناصحاً في عطف:

يا أخي.. إن لعينك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقاً، صم وأفطر، وصل ونم.وكان صعباً على أبى الدرداء أن يقتنع بكلام سلمان فلم يجدا بداً من أن يطرحا القضية على رسول الله ﷺ..

وأكرر دون مبالغة..(القضية) ، فعندما يرتبط الأمر بأسلوب الحياة وطريقة التفكير يصبح الأمر قضية..

ولقد حسم الرسول الأمر وهو يربت بيده بحنان على فخذ أبى الدرداء قائلاً:

"عويمر سلمان أعلم منك ـ ثلاث مرات ـ لا تخصن ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصن يوم الجمعة بصيام من بين الأيام"

رائع يا سلمان.. رائع.

وسيزيد من روعتك شهادة الرسول ﷺ لك وهو يقول:

"لقد أشبع سلمان علماً"

فلقد كان الرسول ﷺ معجباً بذكائه وعلمه كثيراً كما كان معجباً بخلقه ودينه..

لقد كان سلمان متفرداً بحق ليس في صفاته وحسب..ولكن في تصنيفه أيضا بين الصحابة..

فلم يكن سلمان مهاجراً ولا أنصارياً..

وهذا التميز والتفرد هو الذى جعل المهاجرين والأنصار يتنازعون عليه يوم الخندق، فيقول المهاجرون: سلمان منا.. ويرد الأنصار: لا بل سلمان منا !!

وللمرة الثانية يحسم الرسول ﷺ أمراً يخص سلمان حسماً لا يجرؤ أن يرد عليه أحد فينادى قائلاً:

"سلمان منا آل البيت"

يا له من شرف أكبر من أن تصفه الكلمات..

ولكن الرسول لم يكن ليعطى فارسياً هذا الشرف إلا إذا كان يستحقه عن جدارة،ولقد أثبت سلمان بالفعل أنه يستحقه في الماضي..وسيثبت أنه يستحقه في المستقبل القريب..والقريب جداً..

في غزوة الخندق..

* * *

تحالف رهيب بين يهود المدينة ومشركي مكة في حرب الفرصة الأخيرة، حرب حاسمة تريد أن تقضى على وجود المسلمين تماما وإلى الأبد..

ولقد كانت الخطط غادرة ماكرة مباغتة مفاجئة..تفقد الطرف الآخر التركيز وتصيبه بالإحباط والشلل..

يهاجم جيش قريش وأشجع وغيرهم المدينة من خارجها، بينما يهاجم يهود بنو قريظة من الداخل، ومن وراء صفوف المسلمين، ليقف المسلمون محاصرين بين اليهود وجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل جاءوا وكلهم عزم على كتابة كلمة النهاية..

كان الموقف على المسلمين أقسى من أن يتوقعه أحد..

وكان وصف القرآن له بليغا دقيقا:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠].

ما العمل.. ما الوسيلة لردع هذا الهجوم الضاري غير المسبوق..

وكان إجراء طبيعياً أن يجمع الرسول مجلس الحرب للتشاور..

وكان الإجماع على الدفاع والقتال أمراً بديهياً لا يحتاج إلى نقاش..

حيرة بين الصحابة وتوتر وقلق ومشكلة كبيرة تبحث عن حل..

ولكن كيف الدفاع؟

هنالك تقدم الرجل الطويل الساقين، الغزير الشعر، الذي كان الرسول يحمل له حباً عظيماً، واحتراماً كبيراً.

تقدّم سلمان الفارسي ونظر من فوق هضبة عالية، نظرة فاحصة على المدينة، فوجدها محصنة بالجبال والصخور المحيطة بها..

إلا فجوة واسعة، ومهيأة، يستطيع الجيش أن يقتحم منها المدينة في يسر.. وهنا هتف سلمان قائلاً: إنه الخندق.. وبسرعة الرياح.. أخذ يشق طريقه إلى الرسول ليعرض عليه الفكرة كانت الفكرة معتادة في بلاد فارس ولكنها كانت جديدة على العرب.. كانت فكرة جديرة بأن تخيف قائداً عادياً ينظر إلى الجنود العاديين بمنطق أن التفكير في آرائهم مضيعة للوقت.. كانت الفكرة تخيف قائداً عادياً يرتبك أمام الأفكار الجديدة وتتوتر أعصابه ويجد رأسه قد ثقلت فلا يستطيع أن يتخيل الأحداث في الوضع الجديد ويفقد الإحساس بالواقع والقدرة على التوقع فيختار حلاً سهلاً بسيطاً يرفض الفكرة فوراً، ولا نقاش.. سننفذ ما نعرفه ولا مجال للفلسفة والاختراعات الآن.. ولكن من قال أن الرسول ﷺ قائداً عادياً.. إنه معلم البشرية.. فكر الرسول في الفكرة.. وجدها قيمة جديرة بالبحث والتنفيذ.

وعلى الفور بدأ الرسول ﷺ يقسم المجموعات لحفر خندق سلمان، بإنجازه في وقت محدد وبمواصفات محددة..

ونجح المسلمون في إنجاز المهمة في الوقت المحدد، وأصيب المشركون بالدوار من هذا الخندق الغريب العجيب الذي لم يكن في الحسبان، واكتسب المسلمون الوقت الكافي للتفكير وتفكيك تحالف الشر بين قريش وحلفائها..

وأخيراً.. وبعد أربعة وعشرين يوماً من الحصار.. أمر أبو سفيان جيوشه بالرحيل..

لقد كان اليوم يوم سلمان بلا شك.. ليس بسبب الخندق فحسب.. بل بسبب واقعة أخرى سجلها له التاريخ..

واقعة الصخرة.. صخرة النبوءة

* * *

كان الرسول ﷺ قد وزع المسلمين مجموعات،كل مجموعة يقومون بحفر رقعة معينة، وفى الرقعة التي كان مسئولا عنها سلمان ومجموعة من أصحابه اعترضتهم صخرة صلبة شديدة الصلابة، لم ينجحوا جميعا في كسرها حتى سلمان رغم عافيته وقوة بنيانه .. فلم يجد سلمان بداً من أن يستأذن الرسول ﷺ في تغيير مسار الحفر لتفادى تلك الصخرة..

وقبل أن يتخذ الرسول القرار، عاد مع سلمان إلى الموقع لدراسة المشكلة على الطبيعة، وعندما رأى الصخرة رأى أن الأمر لا يخلو من محاولة أخيرة، فطلب معولاً وطلب ممن معه من الصحابة أن يبتعدوا قليلاً كي لا تصيبهم الشظايا الناتجة عن الاصطدام.

وسمى الرسول بالله..ورفع يديه الشريفتين وهو يمسك المعول بكل عزم وقوة وهوى بها على الصخرة أحدثت بها فلقا عميقا وخرجت على أثرها شرارة عظيمة أضاءت جوانب المدينة..!!

نعم.. هكذا وصف سلمان بعد أن تملكته الدهشة مما رأى، والتي ما كاد أن يفيق منها حتى تملكته مرة أخرى مما سمعه من رسول الله وهو يهتف قائلاً :

"الله أكبر..أعطيت مفاتيح فارس، ولقد أضاء لي منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وإن أمتي ظاهرة عليها"..

نبوءة نصر في وقت تنبأ معظم المسلمين لأنفسهم الهزيمة..

وموعد ضربة الرسول الثانية كان سلمان على موعد مع الحلقة الأخيرة من مسلسل الدهشة..

"الله أكبر.. أعطيت مفاتيح الروم، ولقد أضاء لي منها قصورها الحمراء، وإن أمتي ظاهرة عليها".

هكذا هتف رسول الله.. وهكذا سمع سلمان والصحابة الذين ارتفعت روحهم المعنوية فجأة وأيقنوا أن النصر آت لا محالة..

واختتم المشهد بتهليل وتكبير المسلمين الذي رج الأرض وصاحوا في إيمان عظيم:

"هذا ما وعدنا رسول الله"

هل يا ترى انتهى المشهد العجيب المبهر أمام سلمان..

لا.. إن المشهد لم ينته بعد.

لقد كان سلمان على موعد مع رؤية النبوءة حقيقة أمام عينيه..

نعم.. لقد أطال الله في عمر سلمان حتى رأى مدائن الفرس والروم ورأى قصور صنعاء وسوريا ومصر والعراق.

مد الله في عمر سلمان فعاصر أبا بكر وعمر وعلياً بن أبى طالب..ورأى بلدان العالم وهى تفتح أذرعها للإسلام.

ليس هذا فحسب.. فلقد أصبح أميراً على المدائن بعد إلحاح شديد من عمر بن الخطاب..

فلقد كان يكره الإمارة ويشعر أنها قيداً عليه لا يستطيع الفكاك منه..

ولكنه قبلها مضطراً.. ولكنه احتاط لنفسه جيداً، فلقد كان يخاف أن تشده الإمارة إلى الدنيا وتبعده عن الآخرة..فظل على زهده وتواضعه و..

ألا تحمل عنى هذا الشيء يا رجل ؟

نطق بها الرجل وقد بدا عليه الإرهاق الشديد من أثر حمل من التمر والتين كان يحمله على ظهره وهو قادم به من بلاد الشام، وما إن نظر إليه الرجل الفقير حتى هب إليه يحمل عنه، وسارا معاً..وفى الطريق مرا على جماعة واقفة يتحدثون فألقى عليهم السلام.

فأجابوا: وعلى الأمير السلام.

وتساءل الرجل الشامي في دهشة:

أي أمير يعنون؟ وذهل الرجل حينما رأى الناس يسارعون إلى الرجل قائلين في أصوات متضاربة متلاحقة:

"عنك أيها الأمير سلمان"

وبدا الرجل غير مصدق لما سمع وتلعثمت شفتاه بكلمات الاعتذار واقترب ينتزع الحمل من الأمير سلمان.

إلا أن الأمير سلمان رفض قائلاً في تواضع:

" لا حتى أبلغك منزلك"

كان يشعر أن الإمارة غولاً يهجم عليه كل لحظة..فوضع خطة لحمايته منها بالتواضع.. والزهد أيضاً..

فقد رفض أن ينال من مكافأة الإمارة درهماً وظل يأكل من عمل يده..كان يضفر الخوص ويجدله ويصنع منه أوعية..

كان يلبس ثوباً قصيراً انحسر من شدة قصره إلى ركبتيه..

يا الله..أهذا هو سلمان ابن فارس صاحب الترف والبذخ والثراء يرضى بهذا التقشف وهذه البساطة والدنيا ملك يديه..

إنه مطمئن بهذه البساطة.. سعيد بها..متفائل بمصيره معها..

سلمان الذي كان ينفق بلا حساب في بيت أبيه، جعله الإسلام ينفق بلا حساب في سبيل الله..

فلقد كان يتصدق بما بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم في العام وكان يقول:

أشترى خوصاً بدرهم، فأعمله، ثم أبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهما فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدّق بالثالث.. ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عن ذلك ما انتهيت!

لم يكن زهد الصحابة إذن لفقرهم أو لأنهم تعودوا على حياة صعبة خشنة في الجزيرة العربية.. بل كانت حماية لهم من غرور الدنيا وطوفانها.

كان بيته ينطق بزهد ورع عجيب، كان يعرفه البناء الذي قام بتصميم بيته فوصفه له قبل بنائه قائلاً:

لا تخف.. إنها بناية تستظل بها من الحر، وتسكن فيها من البرد، إذا وقفت فيها أصابت رأسك، وإذا اضطجعت فيها أصابت رجلك..!

وكأنه يريد أن يأخذ توقيع سلمان على رسم هندسي، فإذا بسلمان يوقع مرحباً وهو يقول: نعم هكذا فاصنع

لقد زهد سلمان حتى ظن أن طبقاً يأكل فيه ومطهرة يشرب منها ويتوضأ خروجاً على القوانين التي وضعها لنفسه ليظل قريبا من الله والآخرة وهو في غمار حياته في الدنيا.

زاره سعد بن أبي وقاص في أحد الأيام فوجده يبكي،

قال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله..؟ لقد توفي رسول الله وهو عنك راض.

فأجابه سلمان: والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً، فقال: ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب، وهاأنذا حولي هذه الأوساد!!

والأوساد تعني الأشياء الكثيرة،والأشياء التي كان يظن سلمان أنها كثيرة هي الطبق والمطهرة.

إلا أن سلمان كان يحتفظ بشيء من طيبات الدنيا كان يخاف أن يكتشفه أحد، ولذا طلب من زوجته أن تخبأه في مكان بعيد وأمين لا يعرفه أحد..

لم يكن ذهباً ولا مالاً..

لم يكن خريطة لكنز أو مفتاحاً لحصن..

كان..

زجاجة عطر..

ادخرها سلمان للقاء كان ينتظر فيه ضيوفا كان يعرف أنهم يحبون العطر..

انظر كيف كان سلمان كريم الضيافة..

وعندما اقترب الموعد طلب من امرأته إحضار العطر وقال لها:

انضحيه حولي.. فإنه يحضرني الآن خلق من خلق الله، لا يأكلون الطعام، وإنما يحبون الطيب.

فلما نثرت العطر حوله قال لها:

أقفلي على الباب وانزلي

فنظرت إليه زوجته النظرة الأخيرة وخرجت وأغلقت الباب..

خرجت وفارقت روحه المباركة جسده ودنياه ودنيانا ليحيا في دنيا أرحب وأوسع وأفضل.

رحمك الله يا سلمان..

رحمك الله يا لقمان الحكيم..

رحمك الله يا أشبه الناس بعمر بن الخطاب

*****

تحليل ودروس

١- الرفاهية لا تتعارض مع التدين

الفطرة الإنسانية تجعل الإنسان غنياً أو فقيراً في حاجة مستمرة إلى إله يعبده، يشعر بالاحتياج إليه والشكوى له وطلب نصرته، وربما يكون الغنى المرفه الذي يعانى من طغيان المادة في حياته أحوج إلى ذلك من غيره وهذا يفسر الآتي:

أ- تزايد أعداد المسلمين في الدول المتقدمة اقتصادياً،حيث يلبى فيها كل متطلبات الفرد ويستجاب لكل شهواته، مثلما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية، بالرغم من أن من يدخل في الإسلام يعلم تماماً بأنه سينتقل من عالم الحرية المطلقة إلى حيز الحرية المقيدة بالحلال والحرام،ومع ذلك فهو يرحب بذلك لأنه يكتشف أن شعوره بوجود الله معه ورضاه عنه يعوضه عن كل شهوات الدنيا، بل ويعطيه لذة في قلبه لا تعدلها لذة.

ب- استجابة الطبقات الغنية في مصر لمحاضرات عمرو خالد أكثر من استجابتهم لأفكار دعاة آخرين، والسر في ذلك أنهم وجدوا في محاضرات عمرو خالد الغذاء الروحي الذي افتقدوه في خضم المادة والشهوة التي تسيطر عليهم ويعيشونها كل يوم.

٢- حب العقيدة يسمو فوق أي حب

كان سلمان يحب أباه حباً جماً،ولكنه عندما تعارض مع حبه لله ودفاعه عن عقيدته، اختار عقيدته دون تردد، وفضل حبه لله على حب أبيه، إن حب الله لابد أن يعلو على حب أي شيء.. المال والنفس والشهرة والمجد وحب الدنيا والأب والأم والزوجة والأولاد.

٣- تفضيل حب الله على حب الوالدين، لا يعني سوء معاملتهما

- ليس معنى أن يغلب حب الله حب الوالدين أن نعامل آباءنا بجفاء أو تجهم أو تعالى، فإنه يتنافى مع عقيدة الإسلام التي نؤمن بها، ومهما وصل الخلاف فلتكن المعاملة بالرفق واللين والبسمة والحوار ولتتحمل غضبهم -إن حدث- في سبيل الله.

٤- الحث على التفكير والبحث

ضرب سلمان مثالاً نادراً في التفكير والبحث، فهو لم يستسلم للأفكار التي وجد مجتمعه عليها، بل أعطى نفسه فرصة أن يسمع الأفكار الجديدة وأن يفكر فيها وأن يقبلها طالما تأكد من صحتها ووجدها أفضل من سابقتها، وقد عانى الكثير والكثير في سبيل ذلك

من إيذاء أبيه له وترحاله من بلد لبلد والتضحية بكل ما يملك من مال في سبيل استمرار بحثه للوصول إلى النتيجة التي ترضيه.

إن عقول الشباب المسلم لهى في أشد الحاجة إلى عقلية مثل عقلية سلمان، تفكر في تصرفاتها وأفعالها، وتزنها بميزان الحقيقة،وتستمع إلى أفكار الآخرين وتفكر فيها وتلتزم بها إن وجدتها صحيحة تستحق الاتباع.

إن عقلية سلمان المتفتحة وحبه للبحث وتضحيته في سبيل ذلك، أكسبته أقصى ما يستطيع أن يكسبه شخص في دنياه..

أكسبته الجنة.

٥- الاجتهاد والتضحية من أجل تحصيل العلم

تعيش الأمة الإسلامية أذل عصورها،وتستهين بها كل الأمم،ويعد أحد الأسباب القوية لذلك احتقارها للعلم وعدم تقديرها للعلماء، فالشباب لا يجد للعلم نفعاً، والغش في المدارس أصبح وسيلة معترف بها للنجاح، والمعلم مهان بسبب احتياجه الدائم لعائد الدروس الخصوصية، وحاملو المؤهلات العلمية يعانون من البطالة.

ولقد أعطانا سلمان الفارسي -حيث إنه كان ابناً لإمبراطورية متقدمة علمياً- درساً في حب العلم وتقديره والتضحية من أجله، حتى أنه قبل أن يعمل خادماً عند أسقف الكنيسة حتى تسنح له الفرصة كي ينهل من علمه للتعرف أكثر على المسيحية الدين الجديد له.

٦- عندما يصدر الخطأ من مسلم،فليس هذا خطأ الإسلام..بل خطأ المسلم في تطبيق الإسلام.

يقع الكثير من الناس فريسة لفكرة خاطئة، وهو أنه طالما ارتكب متدين خطأ، إذن الإسلام نفسه به خطأ، وأنه لا يريد أن يكون متدينا حتى لا يقع في مثل هذه الأخطاء، وفي الحقيقة فإن سلوك بعض المتدينين وتعاملاتهم، يفتن الناس بتصرفاتهم الخاطئة ويصرفون الناس بأعمالهم عن التدين، فيظلمون الإسلام نفسه ويؤذونه أشد الإيذاء قبل أن يؤذوا أنفسهم.

ولقد كانت حكمة الشاب سلمان بليغة حين رأى أسقف الكنيسة يأكل أموال الصدقات، ففهم أن هذا التصرف يرجع إلى أسقف الكنيسة ولا يرجع إلى المسيحية نفسها،ولم يلصق التهمة بالدين ولم يفكر في تركه بسبب تصرف من مسيحي حتى وإن كان

أسقف الكنيسة نفسه، بل توهجت حكمة سلمان بانه سكت عما رآه في سبيل أن ينهل من علمه ما استطاع.

٧-الإصرار على الوصول للهدف مهما تكن الصعوبات

شبابنا ييأس بسرعة، وطاقته تنفد عند أول محاولة أو الثانية على الأكثر ودائماً يتهم الزمن والحظ والمجتمع والناس، ولكنه لا يعلم حقيقة مهمة يعرفها كل الناجحين والمتفوقين ويحفظونها عن ظهر قلب، وهو أن الهدف لن يتحقق من أول محاولة ولا ثاني محاولة، وربما يستلزم تحقيق الهدف محاولات ومحاولات يغير فيها صاحب الهدف تفكيره وأسلوبه في الوصول للهدف إلى أن ينجح في النهاية، وبالتأكيد سينجح، لأنها الوسيلة المضمونة للنجاح، وعلى ذلك فلا بد أن يتمتع صاحب الهدف إن أراد أن يكون من الناجحين بالإصرار والإرادة والثقة بالله والتوكل عليه.

وسلمان حاول محاولات عديدة وتعرض لمواقف صعبة كان من الممكن أن ييأس منها ويعود إلى بلده ولكنه ثابر وتحدى حتى وصل إلى الحقيقة التي أراد أن يصل إليها فكان جزاؤه الإسلام.

٨- ذكاء الصحابة والرسول في التعامل مع سلمان

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم مجموعة من المبرمجين على إطلاق جمل معينة عندما يقابلون شخصاً جديداً بأن يدعونه إلى الإسلام بمجرد مقابلته، ولكنهم كانوا على وعي وفهم للنفوس وفن الدعوة إلى الله، فلم يطلبوا منه الدخول في الإسلام لا أول مرة ولا ثاني ولا ثالث مرة، وربما تركوا الأمر للرسول الذي علم بفطنته أن سلمان يبحث عن شيء ما وعندما يجده سيصبح الطريق ممهداً لإسلامه وقد كان، فلقد تركه الرسول حتى تأكد من نبوته، فأسلم بعدها على الفور.

٩- قد يؤجل الله إتمام عمل أردته حتى تستكمل مؤهلاته

دخل سلمان الإسلام وهو على خبرة كبيرة بنفوس البشر استطاع بها أن يفيد الإسلام كثيراً في الحروب والحياة المدنية (موقفه في غزوة الخندق، واستشارة الخليفة عمر له في شخصيات معينة قبل توليتها مسئوليات)..

وربما يحزن الإنسان لأنه لم يحقق أمنية معينة في وقت معين، ولكنه قد لا يعلم أنه ربما قد يكون هذا الوقت غير مناسب لتحقيق ما يتمناه، فيؤجل الله له تحقيق هذا الأمر في وقت يكون هو فيه أكثر استعداداً له.

(عدم توفيق شخص ما للزواج في وقت ما وتوفيق الله له في وقت آخر)

١٠- المجتمعات العربية تخاف من الأفكار الجديدة وتجهضها

كان موقف الرسول ﷺ من قبول فكرة سلمان بحفر الخندق وهو فكرة كانت جديدة على العرب والمسلمين بالطبع، كان دليلاً على مرونة الرسول في قبول الأفكار الجديدة وإعطائه الحرية للمسلمين كي يبدعوا ويفكروا في حل المشكلات، فكان ذلك سبباً مباشراً في انتصار المسلمين في غزوة عصيبة ولك أن تتخيل حال المسلمين في حالة الهزيمة.

وفي مجتمعنا العربي للأسف نواجه الأفكار الجديدة بالسخرية والنقد الشديد اللاذع، مما يجعل المبدع منعزلاً ومتهماً طوال الوقت، فإما أن يصمد وكأنه في موقعة حربية مع مجتمع بأكمله، وإما أن يتراجع ويتنازل عن أفكاره ويقتل مواهبه بنفسه، وإما أن يهاجر إلى بلاد تهتم بالمبدعين وترعاهم ككل العقول المهاجرة من العالم العربي إلى أمريكا وأوروبا.

إننا لن نستطيع أن نواجه مشاكلنا طالما نقتل الإبداع ونحارب المواهب ونرتعش من الأفكار الجديدة، والغرب إنما تقدم لأنه يدرب أبناءه على التفكير المبدع غير التقليدي الذي يأتي بحلول غريبة لا يتوقعها أحد، ولكنها تثبت صحتها بمرور الأيام وبعدها يسير وراءها التقليديون الكسالى.

١١- لا بد من الأخذ بالأسباب بالرغم من نبوءة الرسول بالنصر

لماذا لم يترك المسلمون المعركة أو على الأقل توقفوا عن حفر الخندق الشاق المضني بعد أن سمعوا نبوءة النبي بفتح بلاد فارس وبلاد الروم، بل لم يفكر المسلمون في ذلك أيضاً..لأن الإسلام علم متوازن للحياة يأمر بالأخذ بالأسباب، والنجاح لا يتحقق في الدنيا إلا بالجهد والتعب والمشقة.

١٢- الإسلام دين حياة متوازن، ولا يجب أن تطغى العبادة على الجوانب الأخرى

أخذ سلمان على أبي الدرداء مبالغته في العبادة وإهمال بيته وزوجته وعندما علم الرسول بذلك أيده في رأيه..

إن العبادة ركن مهم وخطير في الإسلام ولكننا لا بد أن نفهم دوره، إنه يعطينا الطاقة الإيمانية التي نستطيع أن نتحرك بها لتطبيق الإسلام في حياتنا من معاملات مع الوالدين والأصدقاء والناس، ومن اجتهاد في المذاكرة للنجاح، ومن إتقان في العمل، فالعبادة جعلت لننطلق بها في آفاق المجتمع وليس للانغلاق بها بين أربع جدران.

١٣- التواضع يحمى الإنسان من الغرور ويزيده عزاً أمام الناس

كان سلمان يخشى الغرور الذى يهاجم النفس فيدمرها ويشقيها، فكان يلزم نفسه دائماً بالتواضع فيدخل المدائن وهو على بغلة فينبهر أهل فارس المترفين بالحاكم الجديد الذي طالما سمعوا عن صولاته وجولاته..

إنه التواضع الذي يريده الإسلام، تواضع من غير ذلة ولا مسكنة، تواضع التبسط مع الناس وعدم التعالي عليهم وحب خدمتهم والاستماع إليهم ومشاورتهم..

هنا يصبح التواضع دافعاً لحب الناس.. وسيكافئك الله على تواضعك بالعزة والشموخ أمام الناس.

*****

الخبير

عن قصة (حذيفة بن اليمان)

"إلى أين يا حذيفة ؟"

انتبه حذيفة فجأة من أثر صوت صدر من جانبه هو ووالده (حسيل بن جابر) وهما يسيران في صحراء الجزيرة العربية في سفر خارج المدينة قبل ساعات من غزوة بدر.. وأخذ صاحب الصوت يقترب منه وهو يتابع:

إذن صحيحا ما سمعناه..

قال حذيفة وهو يحاول أن يخفي ارتباكه:

أي شيء سمعته يا رجل..نحن ذاهبان إلى المدينة.. إلى أهلنا هناك..

نظر إليه أبو جهل وحوله أصحابه وهو ينظر إليه نظرة ثاقبة:

بل تذهبان إلى محمد وأصحابه يا حذيفة.. ألم تصبحا مسلمين ؟

رد حذيفة في غضب:

نذهب إلى من نذهب إليه.. لا شأن لكم بنا..

قال أبو جهل مهدداً:

لن تذهبا إلى محمد.. نحن نأسركما ونمنعكما

ثم نظر إلى حسيل بخبث وهو يتابع:

أهل المقتول لا زالوا يبحثون عنك يا حسيل..وأنت الآن في أيدينا

وتابع مستطرداً:

إلا إذا عاهدتمانا.

نظر حذيفة وأبوه كل منهما إلى الآخر وقد بدا على وجهيهما الغموض، ثم نطق حذيفة مستفهماً في ضيق:

نعاهدكم؟نعاهدكم على أي شيء..؟!

إذا قاتلنا محمداً.. فلا تقاتلا معه ضدنا..

هتف الأب وهو يمسك بيد حذيفة قبل أن يهم بالكلام:

اتفقنا.. لا نحارب معه إذا حاربتموه..

ترك جمع الكفار حذيفة وأباه يواصلان السير بعد عقد الاتفاق فيما بينهم، بينما ظهر الضيق على حذيفة وهو يحدث والده قائلاً:

ما الذي قلته يا أبى.. أنذهب إلى رسول الله، ثم نقول له،عفواً.. فبعد أن أسلمنا وعاهدناك على حمايتك ونصرتك.. لن نستطيع أن نحارب معك ؟!

لقد تسرعت يا أبى.. تسرعت..

قال الأب بصوت خفيض يدعو إلى التفكير:

لو لم نفعل ذلك لما تركونا.. أردت أن أمرر الموقف ثم نعرض الأمر بتفاصيله على الرسول وليحكم بما شاء.

تنهد حذيفة وهو ينظر إلى أبيه قائلاً:

وليكن.. فلنعرض الأمر على رسول الله.

وواصل حذيفة وأبوه السير إلى أن وصلا إلى المدينة ليكونا بين يدي رسول الله ثم يعرضان عليه الأمر وينتظران أمره..

وكم كان الرسول عظيماً عندما أمرهما بالوفاء للمشركين بالوعد وعدم مشاركتهما في حربه مع الكفار قائلاً:

" نفى بعهدهم، ونستعين بالله عليهم "

يا لعظمة الإسلام..

ما الذي جعل مسلمين لم يتذوقا حلاوة أول جهاد في سبيل الله، ولم ينالا شرف الجهاد مع رسول الله..

ما الذى جعل مسلمين يعنيان بعهد لمشركين أعداء لهما وللرسول وللدعوة في موقف كانوا مكرهين فيه على أخذ العهد..

الذي دفعهم إلى ذلك..

الأخلاق..

رسالة الإسلام السامية التي جاء الرسول من أجلها..أليس هو القائل " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ".

ولقد كان الوفاء بالوعد أحد مكارم الأخلاق التي تمتعت بها الجاهلية..أفيأتي الرسول ليهدمها..

لا..حتى وإن كانت من أجل الجهاد ضد أعداء الله..

بالتأكيد حزن حذيفة وأبوه لأنهما لم يشاركا في غزوة بدر..درة الجهاد في سبيل الله..

لكنهما – وبالتأكيد- كانا يعلمان تمام العلم، أن الثمن كان تعليم الأجيال تلو الأجيال، أن المبادئ أهم وأبقى من أي شيء..وأن الرسالة التي لا يخدشها شيء..لهي أبقى وأنفع للناس ولو مرت عليها آلاف السنين.

لم يشاركا في بدر..لكنهما أدركا الجهاد في أحد..

وكم كان هذا اليوم شديداً على حذيفة..

لم يكن بسبب هزيمة المسلمين بعد نصرهم..

وإنما للأذى الذي لحق بالرسول ﷺ واستشهاد سبعين من الصحابة..

وأيضا..لأنه قد شهد مصرع أبيه أمام عينيه والسيوف تتساقط عليه ويا للأسف..

بأيد مسلمة..

نعم بأيد مسلمة..

فلقد انهال المسلمون عليه خطأً ظناً منهم أنه من المشركين، فما إن لمح حذيفة المشهد حتى أخذ يصرخ: توقفوا..إنه أبي..أبي..

لكن الكلمات كانت قد تأخرت، وعندما توقفت السيوف وسط ذهول من ضربوا أبا حذيفة كانت روحه قد صعدت إلى بارئها..

وكم كان الموقف عصيباً على الجميع..

ألا يكفي ما فيه المسلمون من كرب وهم ومصيبة وبلاء..

أيقتل أحدهم عن طريق الخطأ..

كان حذيفة حزيناً حزن ابن على وفاة أب أحبه، وحزن صديق قطعا معاً طريقهما إلى الله..

ولكنه رغم تأثره.. كان يقدر الموقف ويلتمس العذر لقاتلي أبيه بطريق الخطأ..

وعندما علم الرسول بالموقف..أمر بأخذ الدية..

فما كان من حذيفة إلا أن أخذها ووزعها على فقراء المسلمين..

عندها نظر الرسول إلى حذيفة، فوجده رجلاً صابراً محتسباً نقى النفس عاقلاً حكيماً..

فازداد قدره عنده..واعتزازه به..

وكان موقفه معه يوم الخندق لا ينسى..

قرابة شهر.. وأحزاب الكفر المتجمعة حول المسلمين تضرب حصاراً شديداً عليهم، لقد اشتد الجوع وزاد الخوف وزلزل المسلمون خصوصاً بعد موقف بني قريظة ونقضهم العهد مع الرسول..

إلا أن شيئا كان قد طمأن الرسول بعض الشيء..

فلقد قام الرسول بعملية التجسس الأولى والتي قام بها العميل الماهر نعيم بن مسعود بعد أن أبلغ الرسول بإسلامه دون أن يعلم قومه قبيلة أشجع، وهي إحدى القبائل التي كانت تحاصر الخندق، واستغل الرسول بذكائه الحاد هذا الموقف ليفك شفرة الحصار بعد أن وصل الأمر إلى طريق مسدود، ونجح نعيم بن مسعود بالفعل في أن يوقع بين قريش وبني قريظة..

أراد الرسول بعدها أن يتابع تطورات الموقف بعدما نجح نعيم بن مسعود في الوقيعة بين اليهود وكفار قريش ويفض التحالف بينهما.. وكان الأمر يتطلب عملية تجسس أخرى غاية في الخطورة وتتطلب شخصاً ذو مهارات فذة ونادرة..

لقد أراد الرسول أن يتسلل أحد المسلمين بين صفوف قريش ويسمع ما يدور وينقل الأخبار للرسول....

مهمة في غاية الخطورة جاءت في وقت عصيب على المسلمين،فلقد كانت ليلة مظلمة ظلاماً رهيباً، وكانت العواصف من شدتها تصدر أصوات مرعبة وكأنها تريد أن تقتلع الجبال وقلوب البشر..

في هذا الموقف العصيب يقف الرسول ويطلب من المسلمين ما لا ينتظره أحد..

ينادي الرسول: من يذهب فيأتيني بخبر القوم؟

إن الرسول ﷺ يريد رجلاً يذهب إلى معسكر الأعداء..

سمع الجميع نداء الرسول..سمعوه جيداً..ولكن لم يجب أحد..

ألهذه الدرجة كان الموقف مرعباً..

ربما لن نستطيع أن نصف الليلة بكلمات أكثر من أن نقول إن بين من سمعوا نداء الرسول..أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والعشرات من خيرة الصحابة..

أنصف كلمات أكثر من هذا..

بل إن الرسول كرر النداء بوعد صريح يزيل الخوف والرهبة ويلبى طلب الرسول وينزل الشرف بصاحبه الشجاع فيقول..

من يذهب فيأتينى بخبر القوم وهو رفيقي في الجنة ؟..

ويأتي الرد مفاجأة للجميع وللرسول نفسه..

الصمت..

ويحاول الرسول مرة أخرى..

من يذهب فيأتيني بخبر القوم وأضمن له العودة و أضمن له الجنة ؟

ليس من المعقول ألا يرد أحد..وليس من المنطق أن لا يرفع الجميع أيديهم ليفوزوا بالجنة بوعد الرسول في ليلته..

لكن هذا ما حدث فعلا..ولم يرد أحد..

ماذا يجرى..ماذا يحدث.. أوصل الأمر إلى هذا الحد..

وهنا يلجأ القائد العسكري إلى القرار الأخير والحاسم والاختيار بالأمر..

ولكن من يختار..

إنه يريد رجلاً ذو شجاعة نادرة وبديهة سريعة و اتزان وروية غير متهور خفيف الحركة يستطيع أن يضبط أعصابه يمثل الخداع والمكر بصورة لا تكشفه..

يا ترى من هذا الرجل..

"قم ياحذيفة"..

قالها النبي آمراً أمر قائد عسكري لا يرد..

سمع حذيفة اسمه ينادى عليه الرسول، ففوجئ وارتبك..إلا أنه لم يجد مفراً من تنفيذ الأمر..

فذهب إلى الرسول ليشرح له طبيعة المهمة ويتلقى التعليمات الخاصة بشأنها..

وكانت تعليماته ﷺ لحذيفة:" ألا تحدث فيهم أمراً.

لا تقم بأي فعل فيهم يا حذيفة مهما أتيحت لك من فرص.

وما إن ترك أبو حذيفة المكان حتى شعر بالدفء يسرى في جسده وكأن الله أراد أن يلقى في نفسه الطمأنينة قبل أن يخترق معسكر الأعداء وحده..

وعبر حذيفة الخندق وأخذ يتسلل إلى معسكر قريش وحلفائها..وما إن تمكن حذيفة من الاقتراب من المعسكر حتى نظر فوجد أبو سفيان على فرسه..

يا لها من فرصة ذهبية للتخلص من أبي سفيان.. بل يا له من شرف لمن يقوم بهذا العمل..

هكذا حدث حذيفة نفسه..كان برمية قوس واحدة يستطيع أن يقضي على أبي سفيان ويخلخل الجيش ويربك حساباته..

ولقد هم فعلاً.. لكنه تراجع.فلقد تذكر أمر الرسول..(يا حذيفة لا تحدث فيهم أمراً)..

تراجع حذيفة عن فكرته وسمع أبا سفيان وهو يدعو إلى اجتماع لقادته ليدلي بتصريحات بدا أنها في غاية الخطورة...

فقبل أن يهم أبو سفيان بالكلام.. نبه رجاله إلى أن عيون وجواسيس المسلمين ربما ينتشرون بينهم في هذا الظلام الدامس، فدعا كل رجل في اجتماع القادة أن يسأل عن اسم من يجلس بجواره قبل أن يبدأ الكلام..

وبسرعة بديهة يحسد عليها.. سأل حذيفة من عن يمينه: من أنت ؟: ليرد داهية العرب: أنا عمرو بن العاص وبسرعة يسأل من عن يساره..من أنت؟ ليرد داهية آخر: أنا معاوية بن أبي سفيان..

ياه.. ثوان معدودة كانت تفصل بين نجاح العملية وفشلها..

ثوان معدودة كانت تفصل بين حياة حذيفة وقتله..

نجح حذيفة في الاختبار الأول وبدأ الاجتماع ليسمع حذيفة كلاما لا يصدق نفسه وهو يسمعه..

لقد أمر أبو سفيان بالانسحاب..

أخيراً انفرج الكرب وأتى نصر الله بعد قرابة شهر من المعاناة والتوتر والخيانة والجوع والألم والخوف...

وعاد حذيفة يزف البشرى إلى الرسول والمسلمين، ليرتفع مقام حذيفة عند النبي أعلى وأعلى ويؤكد حذيفة له أن اختياره كان صحيحاً..

ويقرر الرسول أن يخص حذيفة بسر خطير ائتمنه عليه دون غيره إلى يوم القيامة..

لقد أخبر الرسول حذيفة بأسماء المنافقين.. ثم طلب منه ألا يخبر أحداً بأسمائهم.. مهما كان الأمر..

يا لها من ثقة غالية يستحقها حذيفة..

لقد امتاز حذيفة بمزية تفرد بها حتى مماته وأصبح بها محط أنظار كل الخلفاء الراشدين في عهده.. إنهم يريدون أن يتأكدوا من اختياراتهم في مواقع المسئوليات هل هي صحيحة أم

لا، حتى عمر بن الخطاب الذكي اللماح كان يستشير حذيفة كثيراً في حكمه على أشخاص بعينهم، حتى إنه سأله يوماً هل هناك أحد من مسئوليه منافق، فأجابه حذيفة: نعم..

فقال له عمر: من هو.. سمه لي يا حذيفة

ورغم خطورة الأمر إلا أن حذيفة لم يخبر عمراً باسمه وألح عمر في الطلب وأصر حذيفة على كتمان سر ائتمنه عليه رسول الله حتى ولو بعد عشرين عاماً من وفاته..

إلا أن عمر بن الخطاب لم يستسلم وأخذ يفكر ويقلب الشخصيات والمواقف في رأسه حتى هداه الله إليه واتخذ قراراً بعزله.

ترى ما قيمة شخص يعرف سراً لا يعرفه أحد على وجه الأرض..

ترى ما قيمة شخص يستطيع أن يحدد بينه وبين نفسه هل هذا الرجل منافق أم لا..

لم يكن عمر بن الخطاب يذهب إلى جنازة أي من المسلمين توفى في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ إلا بعد أن يسأل: أذهب حذيفة إلى الجنازة فإن قالوا نعم ذهب وإن قالوا لا لم يذهب..

إن حضور حذيفة الجنازة من عدمه دليل على نفاق من مات من عدمه.. فلقد توصل عمر إلى هذا مستدلاً بحكم شرعي وهو أنه لا تجوز الصلاة على منافق..

و لقد بلغ تعلق عمر بسر بحذيفة إلى أنه سأله سؤالاً عجيباً غريباً مدهشاً لحذيفة نفسه قائلا:

أستحلفك بالله يا حذيفة هل سماني رسول الله من المنافقين؟

اندهش حذيفة لسؤال عمر ورد عليه وهو يبتسم:

ما تقول يا عمر..دعك من هذا..

ويلح عمر:

أستحلفك بالله يا حذيفة...أسماني رسول الله من المنافقين..

قال حذيفة مطمئنا عمر: لا يا عمر.

أخيراً اطمأن عمر بن الخطاب أنه ليس من المنافقين !!!!!

يا الله .. عمر بن الخطاب يشك في نفسه..أتراها دلالة على إيمان عمر..

أم دلالة على نقص إيماننا..

لم تكن ثقة عمر والصحابة في حذيفة من فراغ، فلقد أثبت حذيفة طيلة مسيرته معهم أنه خبير بالنفوس، وأنه على دراية بالخداع والمكر وعلم بالشر والأشرار..

كان أول من لمح تلك القدرة في حذيفة هو الرسول ﷺ.. وكان هذا أحد الأسباب القوية التي جعلت الرسول يختاره يوماً ليقوم بمهمة التجسس الخطيرة في غزوة الأحزاب..

ولقد رأى الرسول ذلك في حذيفة، لأن حذيفة- وعلى خلاف الصحابة - كان يسأل النبي كثيراً عن الشر ليدرسه ويتقيه. ويعرف نفسية الأشرار فيحمي نفسه ويحمي الإسلام منهم.. ولقد ظهر الأمر في حذيفة بعد ذلك كموهبة متفردة يستطيع بها حذيفة أن يدرس النفوس ويحكم على الأشخاص.

..يقول حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة يدركني.. قلت: يا رسول الله فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.. قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن.. قلت: وما دخنه..؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي.. ويهتدون بغير هديي ، وتعرف منهم وتنكر.. قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر..؟ قال: نعم! دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.. قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك..؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام..؟؟

قال: تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"..!!

وكان حذيفة على موعد مع التفوق العسكري والفتوح الإسلامية...

فلقد كان ثالث ثلاثة، أو خامس خمسة كانوا أصحاب السبق العظيم في فتوح العراق جميعها..!

وفي معركة نهاوند العظمى،.. احتشد الفرس في مائة ألف مقاتل وخمسين ألفا.. اختار عمر لقيادة الجيوش المسلمة النعمان بن مقرّن ثم كتب إلى حذيفة أن يسير إليه على رأس جيش من الكوفة..

وأرسل عمر إلى المقاتلين كتابه يقول:

"إذا اجتمع المسلمون فليكن على كل جيش أميره.. وليكن أمير الجيوش جميعها النعمان بن مقرّن..

فإذا استشهد النعمان، فليأخذ الراية حذيفة، فإذا استشهد فجرير بن عبدالله..

وهكذا مضى أمير المؤمنين يختار قوّاد المعركة حتى سمّى منهم سبعاً... والتقى الجيشان..

الفرس في مائة ألف وخمسين ألفا..والمسلمون في ثلاثين ألفا لا غير...

وينشب قتال يفوق كل تصور ونظير ودارت معركة من أشد معارك التاريخ فدائية وعنفا..

وسقط قائد المسلمين قتيلاً، سقط النعمان بن مقرّن، وقبل أن تهوي الراية المسلمة إلى الأرض كان القائد الجديد قد تسلمها بيمينه، وساق بها رياح النصر في استبسال عظيم... ولم يكن هذا القائد سوى حذيفة بن اليمان...

حمل الراية من فوره، وأوصى بألا يذاع نبأ موت النعمان حتى تنجلي المعركة.. ودعا نعيم بن مقرن فجعله مكان أخيه النعمان تكريما له..

أنجزت المهمة في لحظات والقتال يدور.. ثم انثنى كالإعصار المدمر على صفوف الفرس صائحاً:

"الله أكبر صدق وعده!!

الله أكبر نصر جنده!!"

ثم لوى زمام فرسه صوب المقاتلين في جيوشه ونادى: يا أتباع محمد.. هاهي ذي جنان الله تتهيأ لاستقبالكم فلا تطيلوا عليها الانتظار..

هيا يا رجال بدر..

تقدموا يا أبطال الخندق وأحد وتبوك..

لقد احتفظ حذيفة بكل حماسة المعركة وأشواقها، إن لم يكن قد زاد منها وفيها..

وانتهى القتال بهزيمة ساحقة للفرس.. هزيمة لا نكاد نجد لها نظيراً..!!

فلقد قتل في هذه المعركة ما يزيد عن ثمانين ألفاً من الفرس.

ويستقر المسلمون في المدائن، فيصابون بالأمراض من مناخ المدينة القاسي حتى يشعر سعد بن أبي وقاص بالخطر على حياة المسلمين فيكتب لعمر يخبره بالأمر، فيشير عليه عمر ابن الخطاب بالبحث عن مكان أفضل أكثر أماناً وصحة للمسلمين.. وفكر سعد في الشخص الذي يقوم بمهمة البحث عن المكان الجديد.. فكان ذلك الشخص هو حذيفة أيضا..

ولقد عود حذيفة أصحابه أنه إذا وقع عليه الاختيار في أمر فلن يخيب رجاءهم..وقد كان..فلقد اختار حذيفة مدينة الكوفة وأشار على سعد بها فوافق ونزل المسلمون بها، لتتحسن صحتهم وترتد عافيتهم.. وبعد أن كانت صحراء مرملة قام المسلمون بتعميرها لتصبح مدينة عامرة حديثة جميلة.

هكذا المسلمون أهل دنيا وأهل آخرة..

وهذا ما كان يقوله حذيفة:

"ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة.. ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا.. ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه"...

وعندما ولاه عمر حاكماً على المدائن..أذهل أهل الفرس المنعمين المترفين.. فلقد خرج أهل المدائن أفواجا يستقبلون واليهم الجديد الذي اختاره لهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه..

خرجوا تسبقهم أشواقهم إلى هذا الصحابي الجليل الذي سمعوا الكثير عن ورعه وتقاه.. وسمعوا أكثر عن بلائه العظيم في فتوحات العراق..

وإذ هم ينتظرون الموكب الوافد، أبصروا أمامهم رجلا مضيئا، يركب على حمار وقد أسدل الرجل ساقيه، وأمسك بكلتا يديه رغيفا وملحا، وهو يأكل ويمضغ طعامه..!

وحين رآهم يحدّقون فيه كأنهم ينتظرون منه حديثا، ألقى على وجوههم نظرة فاحصة ثم قال:

"إياكم ومواقف الفتن"..!!

قالوا: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله..!! قال: "أبواب الأمراء"..

"يدخل أحدكم على الوالي أو الأمير، فيصدقه بالكذب، ويمتدحه بما ليس فيه"..!

يا لها من بداية عجيبة..أهذا أول تصريح يدلى به حاكم المدينة لأهلها..ما هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذا الزهد في الدنيا وهي بين يديه..إنه يحذر أهل المدينة ألا ينافقوه ويكذبوا عليه لإرضائه فيضيع ويضيعون..

إنه يقول لهم لا تصفقوا لي ولا تألهوني وتتغافلوا عن أخطائي إذا أخطأت...

أعرفتم لماذا ساد المسلمون العالم في عهد حذيفة وعمر ولماذا تزيلنا العالم الآن..

ببساطة..هم كانوا يتكلمون بالإسلام ويطبقونه..

ونحن نتكلم بالإسلام ولا نطبقه

حقاً يا حذيفة.. إنك لعدو النفاق والمنافقين..

إنه لا زال يكتم سر الرسول..لكنه يعي الدرس فيدرسه ويعلمه للرعية وللأمة كلها..

وعندما سأله عمر عن معنى النفاق قال له رأياً سديداً بسيطاً عميقاً مرعباً مفجعاً لاذعاً:

النفاق .. أن تتكلم الإسلام ولا تعمل به".

أليس هذا التعريف مرعباً لك..

ولكنه لم يكن على علم بأسماء المنافقين فقط..فلقد كان على علم بالفتن أيضا.. الفتن كلها.. وكان سراً جديداً استودعه الرسول إياه..

يقول حذيفة: "ما من فتنة كائنة إلى يوم القيامة إلا وأنا على علم بها"

سر جديد غاية في الخطورة

وفى مجلس تاريخي جمع عمر وحذيفة وعدداً من الصحابة قال عمر لحذيفة:

"يا حذيفة..حدثني عن الفتن..

فقال حذيفة:

ومالك أنت ومال الفتن يا أمير المؤمنين..إن بينك وبين الفتنة باباً مسدوداً يا عمر لا يفتح حتى تموت..فقال عمر فإن أنا مت يا حذيفة.. قال: لا يعود مسدوداً: فقال عمر يا حذيفة: أيفتح الباب أم يكسر ؟..قال حذيفة: بل يكسر.فقال عمر: إذن لا يعود إلى مكانه أبداً..

قال حذيفة: تموت فيفتح باب الفتن فلا يسد إلى يوم القيامة

ويخرج عمر حزينا فيسأل الصحابة حذيفة يريدون فهم ما جرى من حوار..فيقول حذيفة:

الباب..عمر بن الخطاب..فإذا مات عمر..فانتظروا الفتن.

وفي عهد على بن أبى طالب تبدأ كارثة الفتنة الكبرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان..لينسحب حذيفة من الحياة بعد أربعين يوما من خلافة على ليرتحل إلى أرض جديدة. في أحد أيام العام الهجري السادس والثلاثين..

وإذ هو يتهيأ للرحلة الأخيرة دخل عليه بعض أصحابه، فسألهم:

أجئتم معكم بأكفان..؟؟

قالوا: نعم.. قال: أرونيها.. فلما رآها، وجدها جديدة فارهة.. فارتسمت على شفتيه آخر بسماته الساخرة، وقال لهم: "ما هذا لي بكفن.. إنما يكفيني لفافتان بيضاوان ليس معهما قميص.. فإني لن أترك في القبر إلا قليلا، حتى أبدّل خيراً منهما... أو شرّ منهما..!! وتمتم بكلمات، ألقى الجالسون أسماعهم فسمعوها: "مرحبا بالموت..حبيب جاء على شوق.. لا أفلح من ندم".. رحمك الله يا حذيفة.. أنبأتنا بالفتن..وتركتها لنا.. ادع لنا أن نصبر عليها حتى نلقى الله.. ونلقاك.

تحليل ودروس

١- الوفاء بالوعد وإن كان لكافر وفي وقت الحرب

مهما قيل عن الوفاء بالوعد، فلن تجد مثالاً أقوى وأفضل من وفاء حذيفة وحسيل لعهدهما مع المشركين قبيل غزوة بدر، ولقد كان ذلك بأمر الرسول ﷺ، واعتقد أنه أمراً أدهش حذيفة وحسيل وربما أدهشنا نحن أيضاً، فالرجلان أبرما ذلك الوعد كحيلة للهروب من أسر المشركين وكان توقعهما أن يوافقهما الرسول على أنها شبه حيلة حربية لا تلزمهما بالوفاء بوعدهما وعدم الاشتراك في غزوة بدر ولكن جاء أمر الرسول ليقرر أمرين:

الأول- أن الوفاء بالوعد قيمة عظيمة يجب الحفاظ عليها في أشد الظروف، فالوفاء بالوعد صدق ورجولة وعدم الوفاء به غدر وخيانة وكذب ونفاق..وكان أشد ما يحافظ عليه الرسول هو الركن الأخلاقي عند المسلمين مهما كانت التضحيات في سبيل ذلك.

الثاني- أن الوفاء بالوعد فرض على المسلمين وإن كان لكافر، ولن يكون الوعد لمسيحي أو يهودي وكافر ذريعة لنقض العهد أبداً، فالأخلاق لا تتجزأ ورسالة الإسلام رسالة أخلاقية قبل كل شيء.وهى رسالة لمسلمي هذا العصر الذين ينقضون العهد لأتفه الأسباب كالكسل ومشاهدة التليفزيون والنوم...إلخ. إن الوعد مسئولية لا يوفيها إلا الرجال.

٢- حسن تقدير المواقف والظروف.. والتسامح والرحمة رغم شدة الإيذاء.. و الصبر والإيمان يحتاجان دائماً إلى دليل

تظهر حكمة الإنسان ساعة الشدة وعند المصيبة ووقت الغضب..والغضب والمصيبة أحدهما كفيل بأن يصيب الواحد منا بالعصبية والتذمر، ولقد اجتمعا الاثنان على حذيفة، فمن يصبر أو يتحمل أن يقتل أبوه عن طريق الخطأ وبيد أصدقائه، وكيف يقدر على مسامحتهم وإن سامحهم فكيف يستطيع معاشرتهم بعد ذلك والنظر إلى وجههم، مع الأخذ في الاعتبار العلاقة القوية التي كانت بين حذيفة وأبيه، إلا أن حذيفة ضرب مثالاً نادراً لشخصية نادرة تغلبت حكمته على غضبه وتغلب صبره وإيمانه على مصيبته، فسامح من قتلوه ودعا لهم بالمغفرة، بل إنه لم يكتف بذلك، بل تصدق بالدية التي جمعها له المسلمون بأمر الرسول في إشارة لقمة التسامح (قد يكون قد وصل بعض من الصدق لأحد قاتلي أبيه) ودليل قوى على الصبر والإيمان.

إن هذا الدرس يحتاجه بشدة شباب اليوم سريع الغضب والثورة قليل الصبر والحكمة شحيح التسامح والرحمة.. فليكن حذيفة قدوة لنا.

٣- عندما تنفذ الأسباب وتظن أن الأبواب أغلقت تتنزل إغاثة الله

الله لا يخذل الناجحين المجتهدين المتوكلين عليه أبدا، وفي غزوة الخندق اجتهد المسلمون وبذلوا كل ما في وسعهم ولكن الأزمة مازالت قائمة والمسلمون محاصرون ووصلت الأزمة إلى مداها بعد نقض بني قريظة عهدهم للنبي وتهديدهم للمسلمين من ظهورهم، والرسول يحاول بشتى الطرق أن يهدئ المسلمين ويقلل من توترهم، يبعث الله نعيم بن مسعود مسلماً يعرض خدماته على الرسول والمسلمين، وينتهز الرسول الفرصة ويستفيد منها أفضل استفادة، فيبعثه بحيلة تفرق اليهود والمشركين وتكون سبباً في انسحاب الأحزاب.

إن النصر ليس من عند البشر والنجاح ليس ملكاً للمجتهدين وإذا أراد الله نصر أمة أو نجاح شخص لفعل دون جهد، ولكن الدنيا تركت لأسبابها والله لا يؤتى النصر ويهب النجاح إلا لمن أخذ بالأسباب وتوكل على الله فإذا أتى النصر أو النجاح علم أنه من عند الله وبأمر الله وبتوفيق الله.

٤ - لماذا لم يتقدم عمر وأبو بكر وعلى وغيرهم من كبار الصحابة، عندما طلب الرسول أن يذهب أحد المسلمين إلى معسكر المشركين

لا يمكن أن نتصور أن الدافع وراء ذلك هو خوفهم على حياتهم وهم الذين باعوا حياتهم لله منذ زمن وتعرضوا لمواقف عصيبة أثبتوا فيها إيمانهم وإخلاصهم، ولكن التفسير الأقرب للمنطق هو خوفهم من الفشل في المهمة وتقديرهم أن الفشل فيها قد يسبب تأزماً في موقف المسلمين أكثر مما هو متأزم.. ففضلوا عدم المغامرة في انتظار ما سيسفر عنه قرار الرسول.

٥- عدم التشهير بالغير حتى وإن كانوا من المنافقين

تعد الفضائح والتشهير بالناس أحد الوجبات اليومية للصحف العربية،وأصبح حديث الفضائح بين العامة حديثا عادياً ممتعاً، إن حديث الفضائح إن كان صحيحاً ينشر الفساد والرذيلة ويحطم الأخلاق وإن كان كاذباً يدمر صاحبها نفسياً ويجعله منكسراً مخذولاً حتى وإن ثبتت براءته، ولقد أمر الله بكتمان أسماء المنافقين وعدم إذاعتها حتى لا يقضى نفسياً على هؤلاء الناس فيصبحوا في عداد الأموات وهم أحياء بين الناس فينالوا الأذى في كل نظرة وكل كلمة، وعند إعلان هذه الأسماء تكون قد سدت أبواب التوبة في وجوههم، ولكن مع كتمانها فإن باب الرجوع والتوبة مفتوح.

إن النميمة والخوض في أعراض الناس بالحق أو بالباطل لهو علامة من علامات تفاهة المجتمع وانعدام رسالته، وهما صفتان لا تليقان أبداً بمجتمع مسلم.

٦- كتمان السر أمانة وقوة نفس ومهارة.. وعدم كتمانه خيانة للأمانة.

كم مرة استأمننا أصدقاؤنا على سر وكم مرة أفشيناه، وفي كل مرة نفشيه نشعر أن بداخلنا ضغطاً هائلاً من سر محبوس لا نرتاح إلا بعد أن نطلق سراحه،ثم نبرر لأنفسنا الخطأ بأن نقول لمن نفشي إليه السر: إن هذا سر ولم أقله إلا لك وأرجوك ألا تقوله لأحد، وتستأمن أنت شخصاً آخر على سر ائتمنك صديقك عليه وتطلب منه نفس ما طلبه منك فلا تتعجب بعدها أن يفشي سرك كما أفشيت أنت سر صاحبك تحت تأثير نفس الضغوط ونفس الظروف وهكذا دواليك حتى يصبح السر ملكاً للجميع وربما يعود لصاحبه في إحدى مرات خيانة الأمانة..أمانة السر.

وحذيفة كان يستحق ثقة الرسول عندما حافظ على سر الرسول لأكثر من خمس وعشرين عاماً دون أن يصرح أو يلمح باسم واحد ورغم تعرضه لضغوط من رئيس الدولة عمر بن الخطاب وفي أمر مهم لأمير المؤمنين، فلقد كان يريد أن يتأكد من إخلاص من ولاهم حكاماً على المسلمين، لكنه لم يستسلم ولم يضعف أما الضغوط وكان هذا بعد وفاة الرسول بعشرين سنة..

ربما لا نتحمل أن نكتم سراً عشرين يوماً.

إن كتمان السر يحتاج إلى أمانة وإلى قوة نفس لا تستسلم لشهوة النفس بتفوق المعرفة أمام الآخرين وإلى مهارة وذكاء حتى لا يحاول من يريد معرفة السر أن يراوغك فيأخذ منك المعلومات دون أن تدرى.

خلق جديد ينقصنا.. ونحتاج إلى التدريب عليه.. يعلمه لنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

٧- الصحابة ليسوا رجال عبادة وحرب فقط بل أصحاب فكر تعمير ونهضة

يقع ظلم كبير على صحابة رسول الله بأنهم أهل عبادة وحرب فقط، وأنهم أبعد ما يكونون عن التفكير في سبل الحياة الكريمة، والحقيقة أن هذا الانطباع قد أخذ عن الصحابة لسببين:

الأول- أن المراحل الأولى من عمر الإسلام كانت مهمتها بناء الإنسان من الداخل من بناء العقيدة السليمة و تقوية الصلة بالله والتدريب على حسن الخلق ورقى المعاملات، واضطر المسلمون إلى حروب ثلاثة في غضون ثلاث سنوات هي بدر والخندق وأحد، فكان طبيعياً أن ترتفع أسهم هذه الأحداث في كتابات هذه المرحلة، حيث كان للجهاد شأن كبير في الدفاع عن الإسلام واستمراره. فزاد التركيز الإعلامي على هذين المحورين محور العبادة ومحور الجهاد.

الثاني- قام التركيز من قبل الدعاة على الجانب التعبدي لحاجة الناس إليه وعلى الجانب الجهادي لتذكير الأمة بأمجادها في وقت تتعرض فيه أمة الإسلام لهزائم عسكرية متواصلة.

لكن موقف حذيفة عندما طلب سعد بن أبى وقاص منه البحث عن أرض جديدة ثم قيام المسلمين بتعمير الكوفة يدل على عملية البناء والتعمير متى سنحت الفرصة لذلك.. إن الإسلام دين جعل الحياة وسيلة للآخرة وهو دين يريد إسعاد البشرية ورحمتهم وهو دين نهضة وحضارة..

إننا بفكرتنا هذه عن الإسلام والصحابة.. نظلم الإسلام ونظلم الصحابة ونظلم أنفسنا.

٨- نحن في عصر فتن يجب علينا أن نواجهه لنحمى أنفسنا وأهلنا

حقيقة لابد أن تعترف بها.. نحن في عصر فتن.. بل نحن في عصر الفتن..فتن من كل نوع وفى كل الاتجاهات تغلغلت داخل الأسر وطالت كل الأعمار.

العرى أصبح فناً..

التدين أصبح تطرفاً..

الجهاد أصبح إرهاباً..

الرشوة أصبحت هدية..

النفاق أصبح وسيلة الوصول للمناصب..

الكذب أصبح شطارة..

إن علينا أن نتذكر الآية الكريمة في آل عمران..

فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز..

لقد أصبح الفوز أن نتقي النار.. قبل أن يكون الفوز أن ندخل الجنة..

احرص أن لا تكون سبباً في فتنة الآخرين.. وأن تتقي فتن الدنيا بالوسائل الآتية:

أ- الصحبة الصالحة. ب- العبادة .

جـ- الصبر. د- العمل. هـ- الدعاء.

أمين أمة محمد ﷺ

عن قصة أبى عبيدة بن الجراح

"يا كفرة..."

صرخ بها أبو عبيدة بن الجراح في وجه المشركين الذين يقاتلهم في معركة أحد... وتابع وهو ينظر للمسلمين المقاتلين من حوله في ثورة:

"احذروا يا مسلمين.. إنها مؤامرة لاغتيال الرسول"

لقد شعر أبو عبيدة من سير المعركة بعدما حدث ما حدث، وهاجمت فرقة خالد بن الوليد المسلمين من الخلف بعدما نزل الرماة من على الجبل، لا حظ أبو عبيدة أن عيون المشركين تبحث عن الرسول، تريد أن تقتله وتنهى بهذا الصراع المرير الذي لا يريد أن ينتهي، واستأسد أبو عبيدة فأخذ يقاتل المشركين بسيفه كأنه جيش بمفرده وعينه لا تزال تلمح رسول الله يخشى أن يصل إليه أحد أو يصيبه أذى..

كانت ضرورات المعركة تقتضى أن يتنقل من مكان إلى مكان..فيظل كذلك حتى إذا وجد نفسه قد ابتعد بعداً يقلقه على رسول الله، قام بتعديل موضعه ليقترب مرة أخرى من الرسول ليظل يراقبه ليحميه..

ولكن وقع المحظور..

سهم ينطلق من يد مشرك ليصيب رسول الله ﷺ ويسيل الدم منه.. فيجن جنون أبى عبيدة ويطير إلى رسول الله يغطيه بجسده ويمسح الدم من عليه قائلاً في غيظ:

"كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم"..؟

إلا أن الأذى لم يتوقف عن هذا الحد فلقد دخلت حلقتان من مغفر الرسول في وجنتيه فوجد الرسول يتألم فيضرب الألم في جسده كله، فهرع أبو بكر الصديق لينزع المغفر من وجنتي الرسول،فأوقفه أبو عبيدة قائلاً:

"أستحلفك بالله يا أبا بكر أن تتركني أنزعها من وجه رسول الله"

وأمام لهفة أبى عبيدة لم يجد أبو بكر بداً إلا أن يسمح لأبى عبيدة بذلك،وبقوة مغلفة بالحنان والحب اقترب أبو عبيدة بأسنانه ليقبض على إحدى المغفرين فيخلعه وتنخلع معه السنة الوسطى من أسنانه (ثنية) ومع المغفر الآخر تسقط الثنية الأخرى من أسنانه..

ويهدأ أبو عبيدة بعض الشيء بعد أن نجح في تخفيف بعض الألم عن رسول الله..

لم يكن الألم الذي أصاب أبا عبيدة بعد أن كسرت ثنيتاه يعنيه في شيء ، بل الذي كان يحز في نفسه ألم رجل أحبه بكل جوارحه وأراد بصدق أن يكون فداه..

ولم يفكر بعدها فيما أصاب شكل وجهه بعد أن كسرت ثنيتاه، كان فقط ما يقلقه جروح أصابت وجه حبيبه..

ولو اهتم أبو عبيدة بالمسألة..لعرف أنه قد ازداد جمالاً ووسامة بعد سقوط ثنيتيه..

وربما كان هو الأهتم الوحيد الجميل على وجه الأرض..

هو لم يطلب ذلك..ولم يكن يهمه ذلك..لكنها كانت مكافأة بسيطة من الله على سبقه للتضحية في سبيل الله ورسوله..

بعدها نال أبو عبيدة من تقدير الرسول وحبه ما حسده عليه واحد من خيرة الصحابة.. عمر بن الخطاب رضي الله عنه..

فلن ينسى أبو عبيدة حين أمسكه رسول الله بيمينه قائلاً:

"إن لكل أمة أميناً.. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرّاح"..

ترى هل صدق أبو عبيدة أذنه عندما سمع هذا التصريح التاريخي..

ترى هل طار أبو عبيدة فرحاً وفخراً بلقب شريف من أشرف خلق الله..

أم تراه انزعج واقشعر من هول المسئولية الملقاة على عاتقه..

فلقد كان الصحابة أذكى من أن ينبهروا بلقب رنان دونما إجراء حسابات دقيقة لحجم مسئولياته وتبعاته...

ويا له من لقب جميل..

ويا له من لقب مفزع خطير..

أمين على الأمة ؟؟!!

ليس أمينا على مجموعة من الصحابة ..أو مؤسسة تربوية.. أو مدينة بأكملها...

بل أمينا على الأمة كلها..

يا لها من مسئولية وشرف أثبت أبو عبيدة في كل مواقفه في حياة الرسول وبعد وفاته أنه يستحق الشرف بقدر المسئولية..

كانت ثقة الرسول فيه بلا حدود..

كان الرسول قد أرسل خطاباً إلى وفد يسمى وفد نجران في اليمن يدعوهم فيه إلى الإسلام، فاستجاب الوفد وسافر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلبوا منه أن يرسل معهم مرشدا ومعلماً يعلمهم القرآن والسنة وتعاليم الإسلام..

نظر الرسول إلى الصحابة الذين كانوا يحضرون اجتماع الرسول مع وفد نجران وهو يقول:

"لأبعثن معكم رجلاً أميناً، حق أمين، حق أمين.. حق أمين"..!!

سمع الصحابة ذلك الثناء على مرشد وفد نجران، فتمنى كل واحد منهم أن يقع عليه الاختيار ليفوز بهذه الشهادة الغالية والوسام الرفيع، وأخذ بعض الصحابة يرفع رأسه لتقع عين الرسول عليه فيختاره أمينا..أمينا..أميناً..

حتى عمر بن الخطاب الذي كان يمتاز بالطول الفارع ..كان يتطاول أيضاً حتى يراه الرسول..!!!

إنه هو الذي قال ذلك:

"ما أحببت الإمارة قط، حبّي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجّرا، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، سلم، ثم نظر عن يمينه، وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني.."

لكن عمر لم يفز ولا غيره..

لقد فاز.. أبو عبيدة بن الجراح..ظل الرسول يدور بعينيه بين الصحابة فلما وقعت عليه دعاه وقال:

اخرج معهم، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.. فذهب بها أبو عبيدة..!!

وفى غزوة ذات السلاسل علم الرسول أن عمرو بن العاص كان في حاجة إلى مدد، فأرسل له جيشاً وجعل عليه أبو عبيدة قائداً، وقبل أن يرسله فطن الرسول بخبرته بنفوس البشر بأن الموقف سيشهد قائدين في أرض المعركة، وربما يحدث هذا خلافاً بين أبى عبيدة وعمرو فيحدث شقاق قد يؤدى بالجيش إلى الهزيمة..

فكان أمر الرسول ونصيحته لأبى عبيدة أن قال له:

لا تختلفا..

إن الرسول يعلم أنه يحدث أمينا لن يخونه أبداً..

وعندما وصل أبو عبيدة بجيشه كاد أن يختلف هو وعمرو على من يتولى إمارة الجيش، لكنه تذكر وصية الرسول فتنازل عن رأيه لتتوحد الكلمة وينتصر المسلمون..

وفى ظروف غاية في القسوة وفي غزوة تسمى غزوة الخبط، استأمره الرسول على ثلاثمائة رجل ليس معه إلا التمر، كان الطريق طويلاً وشاقاً والتمر ينفد شيئا فشيئا حتى أصبح نصيب كل مقاتل في السرية تمرة واحدة..

لكن أبا عبيدة ومن معه كانوا لا يعرفون الاستسلام يوماً، فصمدوا.. حتى أنهم كانوا يأكلون ورق الشجر الذي كان يسمى بالخبط، حتى سميت السرية بسرية الخبط.. وما إن وصلوا إلى البحر حتى وجدوا حوتاً عظيماً، فأكل منه رجال السرية ثماني عشرة ليلة.

ولقد امتدت ثقة المسئولين بأبي عبيدة على امتداد عمره..ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب لن ينسى التاريخ ما فعله عمر وما فعله أبو عبيدة وأيضا ما فعله خالد بن الوليد..

فما أن استهل عمر بن الخطاب فترة حكمه حتى أصدر قراراً جريئاً وربما يكون غريباً لنا ولكل من علم به في ذلك الوقت..

فقد أصدر عمر قراراً بعزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش وتعيين أبى عبيدة بن الجراح بدلاً منه..

والأغرب من ذلك أن يصدر عمر هذا القرار في أثناء قيادة خالد بن الوليد لمعركة قوية فاصلة مع الروم وهى معركة اليرموك.. وكان أبو عبيدة هو أحد القادة التابعين لخالد في المعركة..

وصل القرار إلى أبى عبيدة مع رسول عمر..

لابد أن نتوقف هنا قليلاً لنبحر في نفوس صافية طهرها الإسلام بمياه الإخلاص وأضاءها بنور الإيمان..

في الوضع العادي.. عندما يستقبل قائد ثان خبراً بتعيينه بدلاً من قائده، سيعتبر أن ما حدث انتصار عظيم له واعتراف بقيادته الماهرة وصفاته النادرة في عالم العسكرية، وهو شيء جدير أن يفتخر به وينشره بين جنود الجيش فردا فردا..

وفى الوضع العادي.. عندما يستقبل القائد الأعلى خبراً بعزله لصالح قائد تحته، فمن الطبيعي أن يسأل ويتساءل ويثور ويعترض وربما يقوده غضبه إلى حركة تمرد..

وفى الوضع العادي عند أصحاب محمد..لا يحدث هذا ولا ذاك..

إن إحساس أبى عبيدة الشديد بأمانته ومسئوليته تجاه دينه جعلته يستقبل الخبر بحذر شديد وبإشفاق شديد وخوف شديد.

بحذر شديد حتى لا يتسرب الخبر إلى الجيش أثناء المعركة فيصاب ببلبلة، أو إلى خالد فيصاب بارتباك وهما عاملان سيؤثران حتما على نتيجة المعركة..

وبإشفاق شديد.. لأنه شعر أن الخبر قد يؤلم خالدا وهو القائد الذي شهد الرسول له وشهد العالم كله له..

وبخوف شديد..حتى لا تتأثر العلاقة بينه وبين خالد من أثر هذا القرار.

ولذا..فقد أمر أبو عبيدة رسول عمر أن يخفى الخبر تماماً حتى تنتهي المعركة، وأنه سيقوم هو بإبلاغ القرار لأخيه خالد..

نعم أخوه..فلقد عرفا أن يكونا إخوة في الله أولا قبل أن يكونا قائدين أحدهما يقود الآخر..

أمين يا أبا عبيدة.. وخير أمين..

لقد انتصر خالد..وانتصر المسلمون..

عندها..ذهب أبو عبيدة إلى خالد بنفسه..ليس تشفياً – حاشا لله –ولكن إجلالاً لقائد عظيم مثل خالد، أن يبلغه هو بنفسه بدلاً من أن يبلغه رسول عمر..

فهل يثور خالد..

هل يحزن خالد..

لا..

بل يتعجب خالد..

لم يتعجب من عزله وتعيين أبى عبيدة بدلاً منه..

بل لتأخره كل هذا الوقت في إبلاغه الخبر.. فقال له متعجباً:

"يرحمك الله يا أبا عبيدة.. ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب"..؟؟

يا الله..أي صفاء في النفوس هذا..أي فهم في العقل هذا..أي إخلاص في القلوب هذا..

ورد الأمين بإجابة تزيل الدهشة من أذهاننا قائلاً:

"إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا في الله إخوة".!!!

القضية بسيطة لمن لا يعرف الإسلام.. ولمن يعرف الإسلام

لا نريد الدنيا.. ولا للدنيا نعمل..

أيفهم الزعماء والقادة والساسة والمسئولون ورجال الأعمال..

أيفهم كل ذي منصب.. وكل ذي سلطة..

أيفهم الناس هدفهم من الحياة..

فلنتعلم من شخصيات تزهد في الدنيا وهي تحت قدميها،وما زهدت فيها عجزاً ولا فشلاً.. بل زهدت فيها علماً وإخلاصاً وصدقاً..

شكراً أبا عبيدة..

شكراً خالد..

ولا عجب بعد ذلك أن يصبح أبو عبيدة أمير الأمراء في الشام ويصير تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولاً وعرضاً.. عتاداً وعدداً.. فما كنت تحسبه حين تراه إلا واحداً من المقاتلين.. وفرداً عادياً من المسلمين..

وحين وصل إلى سمعه أن أهل الشام قد أصبحوا يتحدثون عنه إعجاباً به وانبهاراً بشخصيته، خشي على نفسه وعليهم الفتنة فخطب فيهم ينبههم بأنه مجرد رجل مسلم من قريش لا أكثر ولا أقل..

تواضع يحتاجه القادة والحكام في عصرنا فلا يضيعوا فتضيع شعوبهم خلفهم..

تواضع تعجب منه عمر بن الخطاب نفسه حين زاره في الشام فلم يجد في بيته من الأثاث شيئاً إلا سيفه، وترسه ورحله..

ويسأله عمر وهو يبتسم: "ألا اتخذت لنفسك مثلما يصنع الناس"..؟

فيجيبه أبو عبيدة:

"يا أمير المؤمنين، هذا يبلّغني المقيل"..!!

إن أمانة أبى عبيدة تجعله يخاف أن يقال عنه أنه قد تكسب من منصبه فيضر نفسه..

وفى الأردن. وفي الثامنة عشرة للهجرة، وعن عمر يناهز ثمان وخمسين سنة، وفيت أمانة أبي عبيدة، أديتها نعم الأداء يا أبا عبيدة..

فلقد هاجم الطاعون بلاد الشام وأخذ يحصد الناس حصداً عندها كتب عمر إلى أبى عبيدة يطلب منه العودة إلى المدينة لحاجته إليه، فشعر أبو عبيدة أن عمر يطلب منه ذلك خوفاً عليه من المرض، فاعتذر لأمير المؤمنين مؤثراً أن يعانى مما يعانيه أهله حتى أصابه المرض وعندما علم عمر بذلك وهو يقرأ خطابه بكى..فسأله أحد الصحابة جزعاً:

ما الخبر يا أمير المؤمنين..أمات أبو عبيدة؟

فنظر إليه عمر نظرة أسى وحزن قائلاً:

لا..لم يمت بعد.. ولكن الموت يقترب منه.

وعندما وصل الخبر إلى عمر بن الخطاب في المدينة بوفاته.. لم يتمالك نفسه.. وأغمضت عيناه على دموع الفراق وطافت الذكريات في رأسه بحديثه هو والصحابة عن أبي عبيدة..

جلس عمر مع بعض الصحابة وأخذ يتذكر ذلك اليوم الذي اجتمع فيه الصحابة عنده فقال لهم عمر: "تمنوا".

فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله"، وقال الذي بعده: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً أو زبرجداً أو جوهراً أنفقه في سبيل الله".

فقال عمر: تمنوا.

فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: ولكني أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح استعملهم".

رحمك الله يا أبا عبيدة.. رحمك الله بشهادة الرسول.. وشهادة عمر.. وشهادة الناس.

تحليل ودروس

١- الحرص على سلامة الرسول هو حرص على الإسلام نفسه

كان أبو عبيدة يراقب الرسول وهو يحارب وهو أمر غاية في الصعوبة لأنه يفقده جزءاً من تركيزه في المعركة، ولكنه كان مصراً على مراقبته حتى لا يتعرض الرسول للقتل من قبل المشركين لسببين:

الأول- الحب الشديد لرسول الله حتى أصبحوا يتمنون أن يهبوا حياتهم فداء له.

الثاني- أن قتل الرسول في هذا التوقيت يعنى نهاية المسلمين وتوقف الرسالة.

إن أبا عبيدة ضرب مثلاً نادراً في حب الرسول والخوف على الإسلام..فهل يقع حب الرسول في قلوبنا كحب أبى عبيدة أو نصفه أو ربعه..

إن حبنا للرسول لا ينبغي أن يكون كلاماً وأغاني بل لا بد أن يترجم إلى أعمال، إيذاء الرسول الجسدي إن كان قد توقف بوفاته ولكننا نؤذيه كل يوم معنوياً بإصرارنا على الاستهتار بكلامه وارتكاب ما يخالف ما أمر به.

إن إيذاء الرسول لا يعنى إيذاءه هو فقط بل إيذاء لكل مسلم يغار على دينه.

٢- التضحية بصدق في سبيل الله تورث رضاه وحسن ثوابه

كان المتوقع بعد أن كسرت ثنيتا أبى عبيدة أن يتشوه شكله، ولكن لأن تضحيته كانت صادقة مخلصة كافأه الله بجمال الشكل وهو أمر نادر لشخص في مثل موقفه...

إن الإنسان عندما يبذل ويضحى في سبيل الله لا بد وأن يعلم أن الله لن يتركه وأنه سيبدله ويكافئه على تضحيته إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة والآخرة خير وأبقى.

٣- الحرص على الفوز برضا الله ورسوله

حرص الشباب الآن وطموحه كله متجه إلى الدنيا، نحو النجاح والشهرة وتحصيل المال، ولكن نادراً ما يتجه الطموح إلى الفوز برضا الله ورسوله يوم القيامة، نخطط دائماً للاستحواذ على شيء في الحياة ولا نضع بنداً في تخطيطنا للفوز بالجنة، أعمالنا دائماً تتجه إلى أسفل ولا تتجه إلى أعلى..إن التفكير في إرضاء الله لا يعنى ترك الدنيا والزهد فيها، بل بالعكس إنه يجعلك تنجح في الدنيا نجاحاً مبهراً وأنت تنظر بعين ثاقبة إلى الآخرة، سيجعلك تقدم كل نجاح في الدنيا إلى الله ورسوله فتحصد ثواب الدنيا وثواب الآخرة.

٤- التنازل عن السلطة والرأي في سبيل الله والمصلحة العامة

السلطة شهوة وحب الرأي شهوة، وعندما تتمكن شهوة السلطة والرأي من الأفراد

يضيع المجتمع ويفسد ويتناحر وينهار، ولكن عندما تكون السلطة وسيلة لإرضاء الله والرأي وسيلة للفوز بحبه، يصبح التنازل عن الرأي سهلاً وبسيطاً إذا وجد أن هذا سيحقق المصلحة العامة ويحقن الخلافات ويطفئ نار الضغينة في النفوس.والتنازل عن الرأي عند الضرورة مهارة حوارية يجب أن يتعلمها الشباب لنفع أنفسهم والمجتمع.

٥- الحرص على الأخوة أولوية مهمة وخطيرة في حياة المسلمين.

استمد المسلمون قوتهم من قوة عقيدتهم وقوة أخوتهم قبل قوة سلاحهم الذي كان أضعف بكثير بالمقاييس المادية من قوة أعدائهم، لذلك كان حرص أبي عبيدة الشديد ألا يفسد قرار عمر بن الخطاب بعزل خالد وتوليته مكانه العلاقة الأخوية بينهما وهي أولى وأهم من السلطة عند كليهما، فحرص أبو عبيدة أن يبلغه الخبر بنفسه حتى يخبره برفق دون أن يؤلمه، وكم كان خالد رائعاً حين تقبل الأمر بصدر رحب ولم تتحرك في نفسه الضغينة لأخيه...

إن الخلافات بيننا لا بد أن تحسم بسرعة وأن يحول كل طرف من المتخالفين على إنهاء الموقف بسرعة والاستعداد للتسامح والاعتذار وقبول الاعتذار وتفضيل المحبة والأخوة على أي شيء من متع الدنيا.

٦- مراقبة الله تمنع الجريمة في حق النفس والمجتمع

حرص أبو عبيدة على أن يكون فقيراً وهو أمير أمراء الشام حتى لا يُتهم بالتربح من وظيفته، أبو عبيدة يفعل هذا من تلقاء نفسه دون أن يحاسبه أحد، وفي عصرنا يحارب الكثير من أجل الوصول إلى المناصب المختلفة كي يتربح منها.

إن فلسفة الإسلام في منع الجريمة تقوم على مراقبة الله والخوف منه لا الخوف من الناس، ولقد أثبت القانون فشله في منع الجريمة مهما كان صارماً وقوياً لأن نوازع الشر قبل أن تفكر في الجريمة فإنها تفكر في التحايل على القوانين التي تقيد الجريمة.

إن أفضل وسيلة لحماية المجتمع من كل أنواع الجرائم هو الخوف من الله.

٧- حرص القائد على أن يشارك شعبه المعاناة

كثيراً ما يردد الزعماء أنهم مواطنون كبقية المواطنين، وأنهم يشعرون بشعوبهم وآلامهم، وهم في الحقيقة يعيشون في قصور عاجية وينظرون لشعوبهم نظرة استعلاء وسخرية، يصعدون على أكتافهم ثم يدوسون عليهم بأقدامهم. وعندما تواجه البلاد الخطر يكونون أول الهاربين ويتركون شعوبهم تواجه ما فعلوه بها.. لقد آثر أبو عبيدة أن يعاني مما عاناه شعبه من هجوم الطاعون حتى وافته المنية..رحم الله أبا عبيدة.

القناص

عن قصة (سعد بن أبي وقاص)

"نعم.. مهما حدث سأذهب لرسول الله وأعلن إسلامي بين يديه..وليكن ما يكون" نطق بها الغلام سعد بعدما أجهده التفكير، وأضناه الصراع النفسي في اتخاذ قرار حياته.. دخول الإسلام..

لا شك أن القرار كان في غاية الصعوبة لشاب ليس له من العمر إلا سبعة عشر عاماً.. ويبدو أنها كانت بوادر رجولة سيشهد بها التاريخ بعد سنوات..

كان القرار صعباً على الصغير..

لم تكن صعوبة القرار في الاقتناع برسالة رجل يعرفه وتعرفه قريش كلها وتعرف صدقه وأخلاقه..

لم تكن صعوبة القرار في عبادة إله واحد هو خالق السماوات والأرض وترك أحجار لا تضر ولا تنفع..

كان سعد أعقل من أن يضطرب في هذه المساحة المحسومة له،ولا نستطيع أن نغفل أن الذي كان وراءه أستاذ الدعوة الفردية بلا منازع (أبو بكر الصديق)..لذا كان سعد ثالث من أعلن إسلامه بين يدي رسول الله.. حتى قال:

".. ولقد أتى عليّ يوم، وإني لثلث الإسلام"..!!

إنما كان ما يقلقه أمر آخر..

كان لابد أولا من إخفاء الأمر على قريش فلا زالت الدعوة تمر بمرحلتها السرية،وإذا كشف الأمر سيواجه مشاكل كبيرة ربما لا يعرف كيف يواجهها، وإذا تصدى إلى مواجهات المجتمع فكيف يتصدى للمشكلة الأكبر والأعنف والأشد ..

أمه..

كان يعلم أن أمه لن تمرر الموقف بسهولة، بل ستعترض بإصرار ما بعده إصرار، وستمارس عليه ضغوطاً هو في غنى عنها الآن وهو في بداية إسلامه..

حاول ألا تعرف..لكنها علمت بالخبر..

وكان ما توقعه سعد..

علمت الأم بالخبر.. فاندهشت واعترضت وهاجت وثارت وحاورت وجادلت..

لكن سعداً كان صلباً قوياً، أمام ضغوط أمه ومحاولاتها..إلى أن ألقت الأم –كالعادة – بالورقة الأخيرة..ورقة العواطف..

لقد هددت بأنها ستضرب عن الطعام والشراب حتى يترك سعد دينه ويعود إلى وثنيته فقالت له في ثورة:

يَا سَعْدُ! مَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنَّ دِيْنَكَ هَذَا، أَوْ لاَ آكُلُ، وَلاَ أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوْتَ، فَتُعَيَّرَ بِي، فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ.

كم كان الموقف صعباً على سعد،وكم كان الصراع النفسي على أشده وهو يواجه دعوة أمه التي طالما أحبها وأبرها ودعوة حبه الجديد والأبدي: حب الله ورسوله..

ولقد وازن سعد الأمر جيداً..وعلم أن الحب لابد أن يكون درجات وأنه لابد أن يتغلب حب الله ورسوله على حب الأم..

قرار صعب آخر لابن السابعة عشرة..

" لاَ تَفْعَلِي يَا أُمَّهْ، إِنِّي لاَ أَدَعُ دِيْنِي هَذَا لِشَيْءٍ.

ربما قالها سعد وهو يبكي أو يكاد يشرف على البكاء،فإن المشاعر مهما تحجرت فلن تستطيع أن تصبر على أذى يصيب الأم..

وتحدى سعد مشاعره وهو يرى أمه تمتنع عن الطعام يوماً كاملاً حتى جهدت إجهادا شديداً..

ويراها سعد فيشفق عليها إشفاقاً بلا حدود حتى يكاد يبكي لما يراها عليه، ولكنه يتماسك ويقول لها في رفق البار المصر على المبدأ:

يَا أُمَّهْ! تَعْلَمِيْنَ – وَاللهِ – لَوْ كَانَ لَكِ مائَةُ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْساً نَفْساً، مَا تَرَكْتُ دِيْنِي، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي أَوْ لاَ تَأْكُلِي

..كفى يا سعد..

انتهى الاختبار..إنه أحد اختبارات الثبات التي يختبر الله بها عباده ولقد نجحت يا سعد.. نجحت بامتياز..

فلقد انتصر سعد وإيمانه..

وهزمت أمه. أمام إصراره وصموده..فأكلت وعادت إلى طبيعتها..

ونزل القرآن يشيد بسعد وموقفه:

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[العنكبوت:٨].

ليكمل سعد الطريق..

طريق الإيمان.

*****

كان الرسول يرى في سعد بن أبـي وقـاص شخـصية حربيـة ماهرة، مهارتـه في رمـي القوس كانت تلفت النظر بشدة، صلابته عند الشدائد معروفة للجميـع، لقـد صـنفه رسـول الله كمحارب من الطراز الأول وادخره ليوم ما سيستعين به فيه..

ولقد أتى ذاك اليوم..

فلقد كان الموعد مع أول سرية للمسلمين بعثها الرسول ﷺ إلى الحجاز، وعندما هـاجم المشركون المسلمين بضراوة، فكان سعد بسهمه كالأسد يدافع عن أصحابه لا يتزعزع..ولقـد كان يومه مع التاريخ..فلقد كان سعد أول من رمى بـسهم في سـبيل الله. لم يـسبقه إلى ذلـك أحد..أي شرف نلت يا سعد..

وكانت كلما مرت الأيام.. كلما زادت مكانة سعد عند رسول الله

قال ابن عمر: كُنَّا جُلُوْساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُم مِنْ هَذَا البَابِ رَجُلٌ مِـنْ أَهْـلِ الجَنَّةِ**».

فَطَلَعَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

كان في تلك الجلسة عمرو بن العاص، الذي ما إن انتهى المجلس حتى هـرع إليـه يـسأله في إلحاح:

ما الذى تفعله يا سعد حتى يقول عنك الرسول أنك من أهل الجنة ؟

نظر إليه سعد وأجاب في هدوء:

لا شيء أكثر مما نعمل جميعا ونعبد.. غير أني لا أحمل لأحـد مـن المـسلمين ضـغناً ولا سوءاً.

يا الله..لقد شهد الرسول لسعد بن أبى وقاص أنه من أهل الجنة..أهناك جائزة يـستطيع أن يفوز بها مرء كهذه..

ولم يقف الأمر عند ذلك فلقد دعا الرسول لسعد بإجابة الدعوة.. ويا لها من دعوة...

عَنْ قَيْسٍ، أَخْبَرَنِي سَعْدٌ: أَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**»

كانت إجابة الدعوة سلاحاً جديداً يستخدمه سعد في دعوته، ولم يكن يستخدمه إلا بحق.. ففي إحدى المرات مر برجل يسب علي بن أبي طالب وطلحة و الزبير، فطلب منه سعد أن يتوقف فلم يفعل، فأشهر سلاحه أمامه قائلاً: إذاً أدعو عليك..

فنظر إليه الرجل وقال في سخرية:

أراك تتوعدني كأنك نبي !!

فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين، ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سبّ أقواما سبقت لهم منك الحسنى، وأنه قد أسخطك سبّه إياهم، فاجعله آية وعبرة

فلم يمض غير وقت قصير، حتى خرجت من إحدى الدور ناقة نادّة لا يردّها شيء حتى دخلت في زحام الناس، كأنها تبحث عن شيء، ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها.. وما زالت تتخبطه حتى مات..

أترى سعداً كان قاسياً في دعائه على الرجل، فإن كان كذلك فلما استجاب الله لدعاء سعد على رجل بلغت به الوقاحة وقلة الدين أن يسب علياً وطلحة..

إن الله لا يستجيب دعاء شر..

ولقد استجاب الله لسعد ليجعل الرجل عبرة لمن يعتبر ويرسل رسالة لسعد إن الجسور موصولة يا سعد بينك وبين الله.

ولكن السؤال..كيف يدعو الله على رجل دعوة قتلته وقد قال لعمرو بن العاص إنه لا يحمل ضغينة لأحد..

والجواب أن سعداً لم تكن المشكلة تخصه ولم يكن ينتصر لنفسه.. لقد كان ينتصر لأصحاب سبقوه بالحسنى ووجب عليه أن يحافظ عليهم.

إنه احترام صحابي لأصحابه ورد لغيبتهم إخلاصاً لهم ووفاء..

كانت مكانة سعد عن رسول الله فريدة بحق..يستحقها سعد بشخصيته وموهبته التي ظلت تزداد كانت تعلق بذهن الرسول يوم الشدائد..

وهل كان يوم أشد على المسلمين من أحد..

ففي خضم المعركة كان الرسول ينادى على سعد ويناوله النبال وهو يقول جملة لم يقلها الرسول لأحد في حياته إلا لسعد بن أبى وقاص:

(ارم سعد..فداك أبى وأمي)

لا شك أن سعد قد فكر برهة غير مصدق ما قاله له رسول الله ، ولقد ظل سعد يفتخر بما قيل له طوال حياته..وله كل الحق.

قَالَ عَلِيٌّ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَجْمَعُ أَبَوَيْهِ لأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدٍ.

ولقد ورث لابنته عائشة تلك الشهادة فظلت تفتخر بها أمام أقرانها فتقول:

أَنَا ابْنَةُ الْمُهَاجِرِ الَّذِي فَدَاهُ رَسُوْلُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ بِالأَبَوَيْنِ.

*****

"لا يا أمير المؤمنين.. هذه مخاطرة غير محسوبة، في وقت يمر فيه الإسلام بفترة عصيبة"

نطق بها الصحابي عبد الرحمن بن عوف في اجتماع الشورى الذي عقده عمر بن الخطاب لصد الهجمات الغادرة التي شنتها الفرس على المسلمين ،وبمعركة الجسر التي ذهب ضحيتها أربعة آلاف مسلم في يوم واحد..

عدد رهيب من قتلى المسلمين لم يتعود عليه المسلمون من قبل،فكيف وقد حدث ذلك في يوم واحد..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد..فلقد نقض أهل العراق عهودهم والمواثيق التي كانت عليهم .

وبلغ الأمر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن قرر أن يذهب هو بنفسه على رأس جيش إلى العراق ويستخلف علي بن أبي طالب على المدينة لولا أن راجعه الصحابة في رأيه، وأقنعوه بأن وجوده في المدينة هو الأفضل، ليدير المعركة من هنا ولا يغامر بحياته وأن يتم اختيار قائد خبير إلى العراق ليرد هجوم الفرس.

واقتنع عمر بن الخطاب ليبدأ هو وأصحابه في البحث عن إجابة لسؤال صعب:

من..

من سيتولى المهمة..

من سيحل محل عمر بن الخطاب في قيادة جيش المسلمين في العراق ..

من القائد المحنك الشجاع الجريء الحكيم..

كانت الأسماء تتداول بين الصحابة في الاجتماع حتى هتف عبد الرحمن بن عوف قائلاً:

إنه هو وليس غيره..

نظر الجميع إليه وكأنهم في شوق لسماع اسم الفارس المنتظر وقد بدا عليهم الإجهاد من البحث.. وتابع عبد الرحمن بن عوف:

محارب خبير..وذو صلابة في الإيمان وشجاعة في الميدان وتواضع فى الخلق..

هتف أحدهم:

أرحنا يا رجل وكفاك ألغاز..

قال عبد الرحمن:

سعد بن أبى وقاص..

نظر الجميع إلى بعضهم البعض نظرة ارتياح.. وأجمعوا الرأي عليه لما له من صفات تؤهله لهذا الموقف الصعب.

ولم لا وهو الفارس يوم بدر ويوم أحد..

ولم لا وهو رجل من أهل الجنة..ورجل مستجاب الدعوة إذا سأل الله النصر أعطاه.

وبسرعة..أرسل أمير المؤمنين عمر إلى سعد بن أبى وقاص يطلعه على المهمة ويشرح له أبعادها وخطورتها..

ستكون قائداً على ثلاثين ألف جندي من المسلمين في مواجهة مائة ألف من الفرس المدربين والمسلحين بأحدث الأسلحة..

اتجه مباشرة إلى القادسية فهي بابك إلى فارس..

اكتب إليَّ كل فترة بسيطة .. واكتب إليِّ كل ما تراه حتى تجعلني أرى الحرب وأنا جالس في المدينة..

كانت التعليمات واضحة ومحددة.. ولم يكن سعد في حاجة إلى ذكاء لكي ينفذ كلام أمير المؤمنين حرفياً..

كان سعد يعلم ويفهم أن خطورة الموقف تتطلب مراسلات دائمة بينه وبين القائد الأعلى للقوات المسلحة..وأن عليه أن يتلقى التعليمات ساعة بساعة وكأنه مجرد جندي في جيش لا فارساً مشهوداً له بتاريخ عسكري طويل ومشرف.

كان سعد يفهم أن عمر أمير المؤمنين هو نفسه لا يأخذ قرارات فردية عنجهية غير مسئولة، بل إن الأمر لا يخرج إلا بعد مشاورات ومشاورات..

وأراد سعد أن ينفذ تعليمات أخذت ببركة الشورى..

ولكـن أيـن الزعامـة و البحـث عـن الـذات والنزعـة الفردية والرغبـة في حركـات استعراضية يذكرها التاريخ في الكتب..

لا وجود لها مع سعد بن أبي وقاص..

لا وجود لها مع رجل من أهل الجنة..

لا وجود لها مع رجل من أتباع محمد..

وينزل سعد القادسية، ويتجمّع الفرس جيشاً وشعباً، كما لم يتجمعوا مـن قبـل، ويتـولى قيادة الفرس أشهر وأخطر قوّادهم "رستم"...

ويبعث سعد برسالاته إلى عمر بن الخطاب ليخبره بتحركـات جيش رسـتم وأنـه بـدأ الزحف عليهم.. في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر مرض جلدي أصاب جسد سعد فنثر الدمامل في أجزاء متفرقة من جسده.

ويصل الرد من عمر ليس بالهجوم ولكن برسالة إلى رستم يدعوه فيها إلى الإسلام..

ويطول الحوار بينهم وبين قائد الفرس، وأخيراً ينهـون الحـديث معـه إذ يقـول قائلـهم ربعي بن عامر: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سـعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبلـه قبلنـا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر.

فمن قبل ذلك منا، قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن قاتلنا قاتلناه حتى نفضي إلى وعد الله.."

ويسأل رستم: وما وعد الله الذي وعدكم إياه..؟

فيجيبه الصحابي:

"الجنة لشهدائنا، والظفر لأحيائنا.

ويعود الوفد إلى قائد المسلمين سعد، ليخبروه أنها الحرب.

ويحزن سعد أشد ما يكون الحزن..حزناً يصل إلى حد البكاء..لـيس خوفـاً مـن مواجهـة رستم وجيوشه.. فمثل سعد لا يخاف من مواجهة مهما كانت..ولكن لأن بهذا الرد الـسريع أيقن سعد أنه لن يشترك في الحرب..

فلقد زاد عليه المرض واشتد عليه حتى ملأت الدمامل جسده فلم يقـو علـى الجلـوس ولذا فلن يتمكن من ركوب فرسه..

تمنى سعد أن تبدأ الحرب قبل اشتداد المرض أو بعد الشفاء منـه.. لكـن تلـك كانـت مشيئة الله..

ومع هذا.. لم يكن ذلك أبداً مدعاة لليأس.. فأتباع محمد لا ييأسون ولا يستسلمون..

وبدأ سعد المعركة..

وبدأ يشعل الروح المعنوية لجنوده وقد بدأ بتلاوة الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [الأنبياء:١٠٥]

إنها آية كلها أمل وتفاؤل وثقة بنصر الله..

واستمر سعد يخطب في جنوده يذكرهم بعظمة مهمتهم وثواب أدائها..

وبعد فراغه من خطبته، صلى بالجيش صلاة الظهر، ثم استقبل جنوده مكبّرا أربعا: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

ورجت الأرض بالتكبير كأنه زلزال..وأشار سعد بسهمه إلى العدو قائلاً لجنوده في حماسة وإصرار:

سيروا على بركة الله..

وأخذ سعد يتابع المعركة من شرفته.. يحرك الجنود ويوجههم ويبث فيهم الحمية والحماسة..

كانت جروحه تنزف بشدة..ولكنه لا يكاد يشعر بها..فأصحاب الجهاد في وقت الجهاد..تنفصل أجسادهم عن مثل هذه الصغائر..

كان سعد مشغولاً عن جروحه بالقعقاع وأشعث وجرير ونعمان ينادي عليهم ويصرخ فيهم بالعزم والأمل..

وجاء نصر الله..

لقد قتل رستم.. وأخذ جنود الفرس يتساقطون كالذباب..وزحف المسلمون حتى نهاوند ووصلوا المدائن وحملوا تاج كسرى..

انتصر سعد انتصاراً مبهراً في القادسية..

وكان على موعد بنصر مبهر آخر في موقعة أخرى بعدها بعامين..

موقعة المدائن..

على مدار عامين.. مناوشات مستمرة بين المسلمين والفرس.. انتهت بتجميع الفرس أنفسهم من فلولهم المتناثرة في المدائن للتأهب لحرب الفرصة الأخيرة..

لم يكن الوقت هذه المرة في صالح سعد، بعكس المرة الأولى في القادسية..فكل ساعة تمر تعنى إعطاء فرصة للفرس للتجمع والتفكير والاستعداد..

فقرر سعد الهجوم..

ولكن كيف يصل إليهم وبينه وبينهم نهر دجلة..ليس هذا فحسب بل كان الوقت وقت فيضان..

ولكن الاستسلام لا يعرف طريقه إلى سعد أبداً، وجلس مع قادته يتشاورون لحل المشكلة..ووضع خطة الهجوم

وكان الحل هو تشكيل فرق بحث على مساحة واسعة من نهر دجلة لاكتشاف أفضل المناطق لخوض الجيش فيها بأقل قدر ممكن من المغامرة..

ونجحت فرق البحث بالفعل في اكتشاف منطقة من النهر ضحلة إلى حد كبير يستطيع الجنود أن يعبروا منها بسلام..

ويأتي الجزء الثاني من الخطة..

كيف تتم عملية تغطية الجنود الذين يعبرون النهر؟

فالعدو يعسكر على الضفة الأخرى..مما يعنى الهجوم على كل من سيصل من المسلمين إلى تلك الضفة..

وكانت الخطة تشكيل كتيبتين..

الكتيبة الأولى هي كتيبة الأهوال..يقودها عاصم بن عمرو..مهمتها أن تعبر النهر وتعسكر في مكان آمن لحماية الكتيبة الخرساء التي ستعبر بعدها وقائدها القعقاع بن عمرو..

هتف سعد في المسلمين لكي يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل..

وبسرعة البرق اقتحم بفرسه نهر دجلة كأنه يرمى سهماً من قوسه المدربة الخبيرة، واقتحم الناس وراءه، لم يتخلف منهم أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملئوا ما بين الجانبين، ولم يعد وجه الماء يرى من أفواج الفرسان والمشاة، وجعل الناس يتحدثون وهم يسيرون على وجه الماء كأنهم يتحدثون على وجه الأرض، وذلك بسبب ما شعروا به من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ونصره ووعده وتأييده...

ونجحت الخطة نجاحا مذهلا..أذهلت الفرس والمسلمين..

بل أذهلت سعد نفسه..

وستذهلون أنتم أيضاً عندما تعلمون رقم الخسارة التي لحقت بالمسلمين بعد عبور النهر..

لقد كان الرقم..

صفر..

نعم.. صفر..

أي عبور لجيش في التاريخ بطوله وعرضه لم يفقد فيه جندي واحد.

.. إنه جيش سعد

بل إن الخسارة لم تنجح في أن تنال من نفس جندي واحد فحسب بل أنها لم تجرؤ لتنال شيئاً من معدات الجنود وأدواتهم..

فلقد سقط من أحد الفرسان كوب له أثناء العبور، فعز عليه أن يكون الوحيد من بين زملائه الذي يفقد شيئاً في يوم نصر كامل ندر أن يكون.. فنادى على من حوله من زملائه لكي يساعدوه على انتشال الكوب..وجاءت موجة عالية لتتعاون معهم وترفع إليهم الكوب ليلتقطوه..وكأنها تقول لهم

الكل معكم اليوم..حتى أنا...

إن عبور قناة السويس في حرب أكتوبر كان معجزة شهد بها العالم برغم حجم الخسائر التي منى بها الجيش المصري أثناء العبور..

وكانت لعملية التغطية الجوية أكبر الأثر في إنجاح عملية العبور..

ها هو سعد يضع الخطة نفسها وبنجاح منقطع النظير..

وبعد.. ألا يستحق المسلمون بفكرهم وتجاربهم أن يقودوا العالم ؟

أصبح سعد أميراً على العراق..ليبدأ معركته الجديدة مع البناء والتعمير.. فقام توفير الخدمات الأساسية للشعب العراقي وأرسى قواعد الإسلام وأخلاقه في البلاد..

إلا أن شكوى غريبة جاءت من أهل الكوفة بأن سعداً لا يحسن الصلاة !!! حتى إن سعداً كان يسمع بها فيضحك ويضحك.. لعلمه أن شيئاً ما وراء تلك الشكوى لا يعرفه..

لكنه على أي حال كان موقفا تجلى فيه عدل الإسلام واحترام لرغبات الشعوب حتى وإن كانت على حساب صحابي شهد له الرسول بأنه من أهل الجنة..

لقد أراد عمر أن يطبق القوانين الأرضية دون استناد لشهادة محققة..

وفي نفس الوقت إطلاق لرأى سديد.. أن من يشهد الرسول له بالجنة من الممكن أن يخطئ لأنه بشر..وإذا أخطأ فلابد أن يحاسب..

احتراماً لرأى الشعب وإرادته.. محاسبة للمسئولين.. لا دكتاتورية.. لا عنجهية..لا محسوبية..لا مصالح.. لا قهر..لا اعتقالات للمعارضين..

إسلام....

وعلى الفور..استدعى عمر سعداً للتحقيق معه في المدينة.. وبكل تواضع وامتثال لأمر أمير المؤمنين نفذ الأمر دون غضب أو محاولة تمرد..

وكانت نتيجة التحقيق..تبرئة سعد واتخاذ قرار بعودته مرة أخرى إلى الكوفة..

كان من الطبيعي أن يعود سعد إلى الكوفة مرفوع الرأس..

كان من الممكن أن يعود ليحاسب من شكوه إلى أمير المؤمنين حساباً خفياً ويحافظ في نفس الوقت على مظهر العدل والتقوى..

كان طبيعيا أن يعود.. لأنه لم يخطئ..

لكن سعداً اعتذر لعمر..

مفاجأة.. أليست كذلك..

تعالوا نتعلم..

صحيح أن سعدا ثبتت براءته أمام الناس..لكنه في داخله يشعر أن العلاقة بينه وبين أهل الكوفة ليست على ما يرام..فلم يحب ولم يرض أن يكون رئيساً لشعب يشعر أنه لا يحبه..

لقد فضل سعد الانسحاب الهادئ من حياة الإمارة طالما ستصاب بتوتر سيقلقه في كل لحظة..

انسحب هكذا بإرادته الكاملة...

أرأيتم حساسية وصدق مع النفس كهذه..

أرأيتم رقة قلب في قائد مغوار لا يخش أعظم قوة في العالم آنذاك بل يهزمها شر هزيمة كسعد..

تلك الرقة هي التي جعلت سعداً لا يحمل ضغينة لأحد..

تلك الرقة هي التي زفت إليه بشرى دخول الجنة..

رقة نعم...لكنها رقة لا تنقصها الحكمة..

جعلته ينسحب مرة من إمارة العراق..

وجعلته ينسحب مرة أخرى..

أيام الفتنة.

جيش على رأسه معاوية بن أبى سفيان..وهو مسلم..

يحارب جيشاً على رأسه الخليفة الرابع للمسلمين على بن أبى طالب..وهو مسلم..

كان صعباً على سعد أن يتحمل هذا..

كان صعباً على من عاصر رسول الله أن يجد أصحابه يتقاتلون أمامه..

فقرر الانسحاب..

فاعتزل المعركة وهو العسكري الماهر صاحب المعارك والانتصارات..

ولم يكتف بعدم المشاركة في الفتنة .. بل أمر زوجته وأولاده بألا ينقلوا إليه شيئاً من أخبارها أبداً..

ويذهب إليه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ويقول له: يا عم، ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر.

فيجيبه سعد: "أريد من مائة ألف سيف، سيفاً واحداً.. إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا، وإذا ضربت به الكافر قطع"..!!

ويدرك ابن أخيه غرضه، ويتركه في عزلته وسلامه..

وحين انتهى الأمر لمعاوية، واستقرت بيده مقاليد الحكم سأل سعداً: مالك لم تقاتل معنا..؟

فأجابه: "إني مررت بريح مظلمة، فقلت: أخ.. أخ..

واتخذت من راحلتي حتى انجلت عني.."

فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ.. أخ.. ولكن قال الله تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩].

وأنت لم تكن مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية أجابه سعد قائلاً: "ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي".

مرت الآن أربعة وخمسون عاما من الهجرة.. ومرت معها ثمانون عاما من عمر سعد لتقترب جداً بشرى الرسول له بالجنة..

لكن ابنه يبكي بدموع الفراق وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في حجره..

فيبتسم له أبوه قائلاً: يا بنى ما يبكيك..إن الله لا يعذبني أبداً وإنني من أهل الجنة..

الآن سيسافر سعد إلى أرض جديدة على موعد بلقاء ملك الكون..

ولقد أتم سعد استعداده منذ زمن..

فلم ينس شيئاً قط..حتى ملابسه التي سيرتديها للمقابلة.. كان محتفظاً بها في خزانته..

إنه ثوب يالغلو ثمنه..لا.. إنه لا يقدر بثمن..

ثوب بدر..

ثوب يحمل التاريخ والتضحية والمغفرة وخاتم دخول الجنة لآخر المهاجرين وفاة..

وفى المدينة لحق برفاقه الذين سبقوه إلى الله..

نعم الصحبة في الدنيا والآخرة..

وداعاً يا سعد..!!

وداعاً يا بطل القادسية، وفاتح المدائن، ومطفئ النار المعبودة في فارس إلى الأبد..!!

*****

تحليل ودروس

١- مرحلة المراهقة مرحلة اتخاذ قرارات مصيرية

اتخذ سعد قرار الدخول في الإسلام وهو ابن سبعة عشر عاماً وهو قرار مصيري يحتاج إلى نضج وفكر وعقلانية..وهى طبيعة مرحلة المراهقة التي يحدد فيها مصيره العلمي ويختار فيها كليته ويحدد فيها طريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة، إن مرحلة المراهقة مرحلة مصيرية يتشكل فيها الإنسان التشكيل النهائي الذي غالباً ما سيستمر عليه طيلة حياته..، ولذلك ينبغي على الطالب والمراهق عموماً أن ينير عقله ويعمل فكره ويستشير الآخرين ويحسن الصحبة حتى يكمل مشوار حياته في أمان.

٢- الصراع بين الملتزم ومن حوله

في بداية الالتزام..عادة ما ينشأ صراع بين الملتزم ومن حوله نتيجة لتغير الأفكار والعادات لدى الشخص الملتزم، وهذه الدوائر تبدأ بالأسرة ثم الأصدقاء ثم تتسع الدائرة لتصل إلى المجتمع ككل، وسبب هذا الصراع يختلف من حالة إلى أخرى كالتالي:

أ- قد يكون نتيجة لقيام الشخص الملتزم بأفعال مستفزة حتى وإن كانت صحيحة مثل إغلاق التليفزيون على فيلم يراه غير مستحسن مشاهدته، أو تعنيف أخ له نتيجة لعدم صلاته في المسجد، أو نقد الأب نتيجة لارتكاب خطأ في صلاته أو تدخينه السجائر، ونحن لا نعترض على الدعوة من أجل التغيير داخل المنزل، ولكن التغيير المفاجىء دون تمهيد مدروس هو الذي يسبب الصدام والفشل.

ب- قد تمرر الأسرة الموقف ولكنها تبدأ في الاعتراض نتيجة لملاحظة ظهور سلبيات على الشخص الملتزم بعد التزامه، مثل التأخر الدراسي أو الانعزال عن الأسرة والأقارب والجيران أو اتهام الناس بتهم صادمة مثل الفسوق والكفر أو الانغماس في العبادة بصورة يهمل معها مصالحه ومصالح أسرته.

ج- الحديث في الأمور السياسية كثيراً بالمنزل، مما يزرع الخوف في قلب الأب والأم ويشعران باستمرار أن الابن أصبح معرضاً دائماً للخطر.

د- غالباً ما يواجه التزام الشخص بالسخرية من أصدقائه، وكلما شعروا بالضعف من ناحيته زادوا في الأمر، ولا حل لهذه المشكلة إلا بقوة شخصية المدعو أمام أصدقائه وثقته في نفسه ودفاعه عن تدينه بعزة ولطف دون صدام.

٣- حب العقيدة يسمو فوق أي حب

كان سلمان يحب أباه حباً جماً، ولكنه عندما تعارض حبه لله ودفاعه عن عقيدته، اختار

عقيدته دون تردد، وفضل حبه لله على حب أبيه، إن حب الله لابد أن يعلو على أي حب.. المال والنفس والشهرة والمجد وحب الدنيا والأب والأم والزوجة والأولاد.

٤- تفضيل حب الله على حب الوالدين، لا يعنى سوء معاملتهما.

ليس معنى أن يغلب حب الله حب الوالدين أن نعامل آباءنا بجفاء أو تجهم أو تعالى، فإنه يتنافى مع عقيدة الإسلام التي تؤمن بها، ومهما وصل الخلاف فلتكن المعاملة بالرفق واللين والبسمة والحوار ولتتحمل غضبهم إن حدث في سبيل الله.

٥- دائماً المعايير الأخلاقية والعملية (لا التعبدية) هي التي تفضل البشر على بعضهم البعض في الدنيا والآخرة

يعتقد الناس ويعتقدون دائماً أن التفوق التعبدي من كثرة صيام وصلاة وقيام ليل هو الفيصل في الحكم على الأشخاص في الدنيا ودرجاتهم في الآخرة، إلا أن الإسلام يعلمنا في مواقف عدة أن الميزان دائماً تهبط كفته لصاحب الخلق والعمل مثل موقف سعد (يدخل عليكم رجل من أهل الجنة) (وموقف سلمان وأبي الدرداء ومساندة الرسول لرأى سلمان)

وليس معنى هذا أننا نقلل من أمر العبادة ولكننا نعيد ونؤكد أن هدف العبادة هو التزود بالطاقة الإيمانية التي تمكننا من تفعيل الأخلاق الإسلامية والعمل في المجتمع لإصلاحه وتنميته.

٦- إعلاء قيمة الحب في الله والأخوة في المجتمع المسلم

ربما جاء إعلان أن سعداً رجل من أهل الجنة أمام كل المسلمين وأمام التاريخ لأنه لا يكن ضغينة لأحد..إعلاءً لقيمة الحب في الله والتسامح والأخوة بين المسلمين، لتقوية البناء الاجتماعي والروابط الإنسانية في المجتمع المسلم ليبقى وليحافظ المسلمون على قوتهم بين الأمم. وهو ما يفسر انهيار المسلمين الآن أمام غيرهم من الأمم بعد أن فقدوا قيمة المحبة والتسامح والمودة فيما بينهم وعلت بدلاً منها قيم المصلحة الشخصية والتعالي والرغبة في الانتقام.

٧- استخدام نعم الله في وجه الحق والخير

منّ الله سبحانه وتعالى على سعد بنعمة إجابة الدعاء، فلم يفكر أن يستخدمها في إيذاء الناس وإلحاق الأذى بهم لسببين: الأول- أنه يعلم أن الله لا يستجيب لمن يدعو بشر.

والثاني- أنه يعلم أن النعمة مسئولية سوف يحاسب عليها يوم القيامة فلا يستخدمها استخداماً يجازى عليه أمام الله يوم القيامة.

وقد يعطيك الله من النعم الكثير مثل الصحة والمال والعلم ..فلا تحسن استخدامها ولا تحسن شكر الله عليها فيحرمك الله منها ثم يحاسبك عليها.

٨- رد الغيبة خلق مفقود بين المسلمين

لم يتحمل سعد بن أبى وقاص أن يغتاب أخ له - على بن أبى طالب- أمامه لعلمه أن رد غيبة أخيه واجب عليه، والغيبة أحد المصائب التي منى بها المجتمع المسلم ففرقت الأصحاب ونزعت بين الأحباب وجلبت الفتن والمصائب، وهى داء عضال يشق المجتمع ويفرق الصف..إن واجبك نحو أخيك وصديقك ألا تغتابه وإذا سمعت أحداً يتناوله بسوء أن تدافع عنه ما استطعت أو تترك مجلسه إن لزم الأمر.

٩- إنكار الذات والإخلاص أحد أسرار تقدم المسلمين

أخذ سعد يتلقى التعليمات من عمر بن الخطاب في القادسية كأنه جندي، ينفذ التعليمات بكل دقة وإخلاص، فلم يغضب أو يتذمر وكان النصر المبين.

إننا في هذا العصر الجميع يحاول أن يستعرض من أجل الظهور بدور البطولة حتى وإن كان ذلك على حساب الوطن والمصلحة العامة، ويحاول الكثير أن ينسب الفضل لنفسه ساعة النصر ويلصق التهمة بالآخرين وقت الهزيمة، إن شهوة حب النفس والمظهرية قد تمكنت من النفوس فأصبحت مرضاً أصاب المجتمع بالفشل في كل المجالات في السياسة والتعليم والرياضة والفن... إلخ.

إن معجزة الإسلام تكمن في أنها تربى النفوس على التضحية بكل شيء من أجل الله، فتجعلها لا تنتظر الشكر من الناس على عمل قامت به، إنما تنتظر الجزاء والثواب من الله، وتجعل فرحتها عند رؤيتها لنصرة دين الله أو خدمة أهلها أو ورفعة وطنها أعظم وأجل من نسب الفضل لها أمام الناس.

١٠- العدل أحد الأسباب الرئيسية في قوة المسلمين أيام عمر وأحد الأسباب الأساسية في ضعف المسلمين الآن.

قام الإسلام على العدل واحترام رأى الشعوب والمساواة بين الحاكم والمحكوم،وكان التحقيق مع سعد بن أبى وقاص لوصول شكوى من أهل الكوفة ضده إلى عمر بن الخطاب أكبر دليل على ذلك، وهو مشهد نادر الحدوث في بلادنا الإسلامية الآن حيث تكثر الشكاوى من المسئولين.. ومنهم من يتهم بالرشوة والسرقة وأكل حقوق الناس فلا يحاسب ولا يعاقب، فتفشى الظلم وحقر من أمر الناس، فاستهزأت بنا الأمم وصرنا أضحوكة العالم.

*****

الـــداهية

عن قصة (قيس بن سعد بن عبادة)

"أؤكد لك يا سعد.. لو استطعنا أن نشترى لهذا الفتى الذهبي لحية بأموالنا لفعلنا"

نطق بها أحد الأنصار وهو يداعب سعد بن عبادة في جلسة جمعته مع بعض أصدقائه في منزله، وكان يجلس معهم ولده قيس يعلق على أحاديثهم ويشترك معهم في بعض أطرافه..

وكان الولد يلفت نظر الجالسين بشدة، ويثير إعجابهم بذكائه في الرد وشخصيته القيادية المبهرة والتي ورثها عن أبيه عبادة زعيم الخزرج..

كان الفتى مبهراً بحق.. فهو بالإضافة إلى مهارات القيادة النادرة والخبرة الاجتماعية الكبيرة التي اكتسبها نتيجة لوفود شخصيات المدينة على اختلافها لمنزل أبيه.. فلقد تمتع بدهاء غير مسبوق.. ومكر وخديعة جعل كل من حوله يحذره ويحسب خطواته معه جيداً..

إلا أن شيئا واحداً كان ينقصه ويكتمل مظهر زعامته الجذابة فيصبح زعيماً مظهراً وجوهراً..

إنها..

اللحية..

نعم اللحية فقط..

فلم ينبت لقيس شعر في وجهه، وهو أحد مظاهر رجولة العرب..

ولم يكن عرض أصدقاء سعد المال من أجل شراء لحية لابنه إن أمكن لأن سعداً ينقصه المال،.. فلقد كانت طرفة فحسب..فلقد كان من أغنى أغنياء المدينة بل ومن أجود أهلها..

فلم يرث قيس الزعامة فقط.. بل ورث الكرم أيضاً..

فالكرم علامة من علامات بيت أسرته، حتى إنه في النهار كان يصعد مناد فوق المنزل فينادى على من يريد أن يأكل،وفي الليل يوقدون النار ليسترشد بها الغريب أثناء سيره..

وأصبح كرم قيس مثار حديث الصحابة،حتى إن عمراً و أبا بكر كانوا يتناولونه في أحاديثهم بتعليقات لا تخلو من طرافة فقالا فيه يوما:

وعندما سمع سعد بما قال أبو بكر وعمر.. قال غاضباً:

من يعذرني من أبي قحافة، وابن الخطّاب.. يبخلان عليّ ابني"..!!

أي من يحميني من أبي بكر وعمر..فإنهما يدعوان ابني للبخل..

لو تركنا هذا الفتى لسخائه، لأهلك مال أبيه"..

ورغم اعتراض أبي بكر وعمر على هذا الكرم الذي تخطى الحدود من وجهة نظرهما إلا أن قيسا استمر على عهده أو هوايته المفضلة..

ففي يوم من الأيام طلب منه أحد إخوانه قرضاً من المال، فاستجاب قيس على الفور وحدد له الأخ المدين موعداً لسداد الدين واتفقا عليه..

ووفى الأخ المدين بوعده،حيث جاء في الموعد المحدد ليسد دينه ويعطي قيساً ماله، إلا أنه فوجئ بقيس يرفض قائلاً:

إنا لا نعود في شيء أعطيناه"..!!

إن صفة الكرم قد تغلغلت في جسد قيس وعائلته حتى أصبحت شيئاً من تكوينهم وربما تحولت إلى جينات وراثية يولد الأبناء بها بفطرتهم دونما عناء.

وكان أبوه سعد يرى أن ما ينقص هذا الفتى لتتبلور شخصيته وتنقى من خبثها ثم تصقل وتلمع كجوهرة نادرة يشهد بقيمتها وجمالها كل من رآها..

الإسلام...

إنه يعلم أن الإسلام يهذب القدرات وينقحها وينميها ويوجهها إلى ما هو نافع مفيد..

إنه يعلم أن الإسلام دين يستفز المواهب فيجعلها تنطلق بقوة في فضاء واسع بلا حدود دون أن تشذ عن ضوابط قيمه وأخلاقه..

إنه يعلم أن الإسلام دين يستطيع برفق أن يحول مؤشر الذكاء والدهاء لدى قيس إلى اتجاه العدل والحق والنفع...

ولم لا وأمامه نموذج حي من المهاجرين يتحرك أمامه كل يوم اسمه عمر بن الخطاب.

كل هذا جعل سعداً يأخذ ابنه قيس ليذهب به إلى رسول الله.. قائلاً:

هذا خادمك يا رسول الله"..

الآن أصبح قيس مسلماً يصاحب المسلمين ويشترك معهم في ندواتهم.. يتناقش معهم في أفكارهم ويساعدهم في أعمالهم..

وكان من السهل أن يتأكد الرسول من ذكاء الفتى ومواهبه التي تجعله يضمه في عداد المتفوقين والمميزين من صحابته..

وهو أيضاً لم يكن ليفارق الرسول، فهو يلازمه أينما راح حتى أصبح بمثابة الحارس له، وأصبح حاملاً لراية الأنصار في بعض الغزوات وعينه النبي ﷺ رئيساً للجنة الصدقات، يجمع الصدقات ويوزعها على من يحتاجها.

لقد أصبح قيس جامعاً لصفتين متلازمتين.. الكرم والشجاعة. فلم تكن تأتى غزوة اشترك فيها النبي ﷺ حتى اشترك معه فيها.. مما أكسبه صفات جديدة ومهارات عسكرية نتيجة لاشتراكه المستمر في الحروب أهله للقيادة والإمارة في عهد على بن أبى طالب رضي الله عنه..

وفى عهد على كان شاهداً للفتنة الكبرى بينه وبين معاوية..

قضية أصابته بالحيرة الشديدة كما أصابت الألوف غيره من خيرة الصحابة، ولكنه فكر طويلاً بكل ما أوتى من حكمة وقوة عقل وانتهى به الأمر ليقف في صف الخليفة على بن أبى طالب، وفى موقعة صفين الشهيرة أراد أن يحتال بذكائه ليتفوق على معاوية وأراد الشيطان أن يستخدم دهاءه إلى أبعد مدى حتى لو تعدى الخطوط المسموح بها وتخطى إلى أرض الدهاء المحرم..الدهاء الشرير الذي لا يلتزم بقواعد أي قواعد..ولقد طاوعه عقله برهة وطاوعته الأفكار وكان ذلك من السهل عليه وهو داهية من دواهي العرب في الحيلة والمكر..ولقد هم بالشر لولا أن تذكر الله والإسلام ورسالة الحق التي جاء بها..فتراجع مستغفراً وهو يتمتم:

والله لئن قدّر لمعاوية أن يغلبنا، فلن يغلبنا بذكائه، بل بورعنا وتقوانا..!!

إنها شجاعة من نوع آخر غير شجاعة النفس يفتقد إليها معظم السياسيين والعسكريين في عالمنا الآن..شجاعة الخلق..

في السياسة والحرب ربما تتاح الفرصة تلو الفرصة للمكاسب ولكنها غالباً ما تكون على حساب البشر...

يكسب القائد ويخسر الناس وتداس الأخلاق وتنحر القيم ويجنب الحق باسم السياسة..

إنها شجاعة نفسية لا يصنعها إلا الإسلام ولا يقوى عليها إلا من التزم بالتقوى والخوف من الله..

إنها شجاعة من أجل رضا الله..فلن يرضى الله بنصر قائم على الظلم وهدم القيم..

إنها شجاعة لله..

وظل قيس على مبدئه، حتى عندما أحدث معاوية الوقيعة بينه وبين على بن أبى طالب..

فلقد ولى علي قيساً حاكماً على مصر..فانزعج معاوية انزعاجاً شديداً،وشعر أن المسألة قد زادت تعقيداً فحتى لو انتصر معاوية في الحرب فسيصبح إسقاط قيس من على حكم مصر مسألة صعبة غير مضمونة، ولقد كانت مصر تمثل لمعاوية درة التاج والجائزة الكبرى التي يمنى نفسه بها..

ونجحت خطة معاوية الماكرة..وعزل علي قيساً..

وفطن قيس للأمر..وكان رده غاية في الحكمة وغاية في الذكاء..

كان معاوية ينتظر ثورة من قيس على علي بن أبي طالب وانشقاقاً في جبهته، مما يحسم الأمر لمعاوية..

فما ثار قيس على علي ولا أحدث انشقاقا في جبهته بل هب لعلي وأعلن ولاءه التام له..

كان معاوية يدرك دهاء قيس ولكنه لم يعلم أنه وصل به إلى هذا الحد..

ولم لا..ولقد علم الإسلام قيساً..أنه ما تقلد منصباً إلا لله..لا لجاه ولا لشهوة..فإن تركه فلن يعنيه ذلك في كثير أو قليل..

شجاعة قيم ومبادئ وأصول لا تحكم بها لشخص إلا بمثل هذه المواقف..

واستشهد علي.. فبايع الحسن ابنه الذي رآه الأنسب للخلافة بعد علي، ولكن الحسن لم يتحمل تلك الدماء التي يجدها تسيل كل يوم من خيرة البشر من أجل حكم بشري زائل، فآثر السلامة وأوقف القتال وفاوض معاوية وبايعه..

ويصدم قيس بعض الشيء من موقف الحسن، وقد كان على رأس جيش من خمسة آلاف مقاتل حلقوا رؤوسهم حداداً على موت علي..

لكن شجاعة الحق تتجلى مرة أخرى..

لا انفراد برأي.. ولتحكم الشورى الموقف فخير جنوده بين الاستمرار في القتال أو وقفه.. فاختاروا ما اختار الحسن فنزل على رأيهم..

وفي المدينة المنوّرة، عام تسع وخمسين، مات الداهية الذي روّض الإسلام دهاءه..

مات الرجل الذي كان يقول:

لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"المكر والخديعة في النار، لكنت من أمكر هذه الأمة"..

تحليل ودروس

١- مجالسة الصغار للكبار ينمي فيهم الرجولة ويكسبهم خبرات اجتماعية مطلوبة

أحد عيوب التربية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، هو تجنيب الصغار لمجالس الكبار، بل اعتبار ذلك عيباً،وهو أمر يجعل الصغير فاقداً للجرأة المطلوبة عند مواجهة الكبار كما أنه يفقده الكثير من الخبرات الاجتماعية التي كان يستطيع تعلمها لو أتيحت له فرصة الجلوس في مجالسهم، كما سينمو عقله بسرعة أكبر مما لو لم يسمح له بذلك، وكان لجلوس سعد بن عبادة في هذه المجالس أثره الكبير في شخصيته فلقد أصبح على دراية بشخصيات مرموقة في بلاده واكتسب خبرة التعامل معهم وتفاعل هذا مع مواهبه فأصبح شخصية قيادية تثير الإعجاب والفخر.

٢- الكرم يعلم الإيثار ويورث العزة ويجلب الحب

إحدى العادات الحميدة التي تميز بها العرب في المجتمع الجاهلي، وهى عادة تميز بها الفقير والغنى، فالكرم ليس حكراً على الأغنياء فقط كما يظن البعض، فالعديد من الفقراء في حياتنا نجدهم كرماء، يستقبلون ضيفهم ببسمة مشرقة ويقدمون لهم ما كان في مقدورهم، وهى عادة تعلم الإيثار وتورث العزة في النفس وتجلب المحبة لصاحبها، وهى صفة ندرت في مجتمعاتنا رغم الفارق الرهيب في الإمكانات المادية بين عصرنا وبين العصر الجاهلي.

٣- الإسلام لا ينمى المواهب والقدرات فقط ولكنه يهذبها ويوجهها إلى الاتجاه الصحيح

لم يخلق الله إنساناً إلا ولديه موهبة أو قدرة أعطاها الله له ليسخرها في خدمة الناس وإرضاء الله، ولكن الكثير منا يسيء استخدام قدراته مثل القوة أو القيادة أو الذكاء أو اللباقة في الحديث أو موهبة كالغناء أو التمثيل، فيوجهها توجيهاً شخصياً هدفه حصد المكاسب المادية وجلب الشهرة لنفسه دون اعتبار لقيم أو دين، أو لغرض إثبات الوجود بين الأصدقاء دون تحر للحلال والحرام.إن الإسلام يعلم المسلم التقوى، فينمى الخوف من الله، فإذا استغل قدراته أو مواهبه فكر ملياً قبل استخدامها أهي موجهة لإرضاء الله أم لمعصيته، هكذا تستثمر المواهب في بناء الأمم ورقى الإنسان ونهضة المجتمع. واستغلال الهواية بصورة لا تعرف إلا المصلحة الشخصية طريقة تدمر المجتمع وتجلب الفساد وتصيبه بالتخلف.

٤- ليست الشجاعة فقط أن تواجه غيرك ولكن الشجاعة أيضاً أن تواجه نفسك

مواجهة النفس بأخطائها ومحاولة تقويمها أمر في غاية الصعوبة ويحتاج إلى تدريب يومي مستمر لكبح جماحها والتعامل مع نزواتها، وربما يكون الشخص شجاعاً ويعرف بجرأته في المواقف الصعبة وتحدى الأقوياء ولكنه أضعف الضعفاء مع نفسه لا يستطيع إلا الإصغاء لها

والاستسلام لأوامرها، وقيس بن سعد جمع بين الشجاعتين، ولولا شجاعته مع نفسه لأقدم على حيل شتى كفيلة أن تكسبه الحرب مع معاوية،ولكن تقواه وخوفه من الله جعلته يتراجع ويستغفر الله لأنه يعلم أنها حيل غير شرعية تغضب الله. لقد أغرته نفسه بالانتصار والزهو أمام نفسه والآخرين،ولكن صرامته مع نفسه جعلته يكبح جماحها من أجل مرضاة الله.. الله وحده.

*****

ثانياً- تزكية النفس والرقائق

أحلام الجنة .. أرض المؤمنين

الحديث عن الجنة حديث جميل تشتاق إليه النفس وتتعلق به الأذهان.. حديث كله أمل وحرارة وتعلق بالآخرة وحب لله.. حديث ينسج الأحلام ويشعل الحماس ويفجر الإيمان..

حديث ترغبه النفس كل لحظة وتنتظر أن تراه حقيقة اليوم قبل الغد..

فهذه هي النفس..

خلقها الله تميل إلى الشهوات..وترغب في الملذات..وترنو إلى النعيم والراحة.. دائماً تبحث عن السكينة والطمأنينة ..

تجعلك تحلم بطعام طيب لذيذ وامرأة طيعة جميلة وسكن فاخر واسع وأصدقاء يحبهم ويحبونه.. تجعل الجميع..في كل الدنيا..يحلم أن يكون ملكاً متوجاً يجاب له كل طلب وينفذ له كل أمر..

ولكن احمدوا الله يا إخواني..فكل ما ذكرته الآن لا يتعدى لكل البشر مجرد أحلام لن تتحقق يوماً..

إلا للمسلم..

فلقد وعدك الله بتحقيق كل أحلامك وكل أمانيك.. وعداً لن يخلفه الله..إن الله لا يخلف الميعاد .. وعداً يمنحه الله لكل مسلم كجائزة على شيء واحد.. شيء واحد فقط..

اسمه الصبر..

الصبر على المعصية.. الصبر على الطاعة..

فلقد خلق الله لك نفساً تدعوك ليل نهار إلى المعصية.

ثم خلق لك الدنيا بكل زينتها وفتنها وشهواتها وجعلها أمام عينيك قريبة سهلة يسيرة.. ثم جعل فيك الشباب والقوة والفتوة وحب الحياة.. ثم قال لك..اصبر..

جعلك ترى أصدقاءك من حولك يتسارعون إلى الفتيات والسهر ومشاهدة الرخيص من الأفلام والنميمة وفحش القول والعمل..

ثم قال لك اصبر..

يراك تتحرق شوقا إلى المعصية وإلى النهل من لذة الحرام كما يفعل الكثير من حولك..

ثم يقول لك اصبر..اصبر.. إني أنا الله..معك

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال] .. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر].

أجل المعصية قليلاً.. بعض الوقت.. قاوم وانصرف عنها بالطاعة .. تحدى نفسك وجاهدها وألجمها بوعد جنة عرضها السموات والأرض..احك لها..بأن فيها ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. صف لها ما أعده الله لها.. شوقها للحور العين وأنهار الماء و اللبن وأشجارها وطعامها وقصورها ..اجعلها صباح كل يوم تذهب فيه إلى المدرسة أو تنزل فيه إلى الشارع أو تذهب فيه إلى أصدقائك... ترى المعصية فلا تقترب منها وتمنى نفسك بنعيم لا ينقطع.. اجعلها عند كل رغبة وشهوة حرام تقول لنفسها: أصبري اصبري..فموعدنا غداً في الجنة.

اعلم أنك تقول: إن الطريق للجنة طويل وشاق..

وأقول لك نعم..طريقها يتطلب سنوات وسنوات من الصبر والتحكم في النفس وكبح الشهوة والتضحية باللذة في سبيل الله..وأن المعصية قريبة أمامي أنهل من لذتها في أي لحظة وكل وقت.

وأقول لك إن لذة المعصية في الدنيا مهما كانت، ستنتهي ويبدأ معها غضب الله وسخط الناس وذل النفس..

ولذة الطاعة في الجنة يزيدها رضا لله وحب إخوانك فيها وعزة نفسك..

وأقول لك إن لذة المعصية في الدنيا تسخر من آدميتك وتهزم إرادتك وتقلق سكينتك..

ولذة الطاعة في الجنة ترفع قدرك بين العالمين وتبشرك بانتصار إرادتك وتجعلك هادئ النفس مستريح البال..

وأقول لك إنك لو عشت حياتك كلها تنهل من نعيم المعصية ما شئت كيف شئت أينما شئت وقتما شئت، لو ملكت الدنيا وركعت تحت قدميك منذ ولدت إلى أن مت، فستنسى كل ما نعمت به طيلة حياتك مع أول غمسة في نار الجحيم..

ولو شقيت شقاء الدنيا كله منذ ولدت إلى أن مت شقاء لم يره أحد ولن يره أحد.. فستنسى كل ما شقيت مع أول غمسة في الجنة..

عن الرسول ﷺ قوله: " يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في جهنم صبغة، ثم يقال له: يا بن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى أشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة فيقال

له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط».

هذه هي المعادلة..

تعجيل الشهوة وانهيار الإرادة واستهتار بغضب الله = عذاب ينسيك كل ما حصلت عليه من لذة من أول قطرة

صبر على ترك المعصية وتأجيل الشهوة وخوف من الله = نعيم بلا حدود لعمر بلا حدود ....

ألم أقل لك اصبر..

اصبر فجائزتك تستحق الصبر والجهد والمشقة..

وعروسك يزينها الله لك ثلاثين يوماً في كل عام..كل يوم في شهر رمضان..

اصبر فيوماً ما ستصل إلى ما تريد.

تنازل عن الشهوة.. تفوز وستلتقى في الجنة بإذن الله بمن فازوا قبلك وسيحكون لك كيف فازوا بعد أن أيقنوا أن الجنة تعنى التضحية بشيء أحبه وأشياء أحبها..

في الجنة هناك..ستتقابل هناك مع الصحابي عمير بن الحمام..

ستجده يضحك ويسرح بخياله وهو متكئ على أريكة في الجنة ليحكى لك قصة دخول الجنة: كنت أحارب في غزوة بدر وكانت المعركة صعبة وعدد المسلمين إلى عد الكبير قليل.. قليل جداً...

ولما رأى الرسول الموقف ظل يصيح فينا يحمسنا ويشجعنا على القتال والاستشهاد..

سمعته وهو يتلو بحماس الدنيا كلها أكثر آية أحببتها في آل عمران:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران].

طارت كلمات الله إلى أذني وكأنها تناديني وتقول: أسرع..أسرع إلى جنة عرضها السموات والأرض..

انطلقت بعدها أقول: بخ بخ

فقال لي الرسول: ما الذي حملك على قولك بخ بخ ؟

قلت بشوق الدنيا كلها: أريد أن أكون من أهلها..عندها قال لي النبي: أنت أهلها

لم أصدق ما سمعت..كنت أشعر أنى أحلم..لقد قال لي الصادق الأمين إنني من أهل الجنة.

تفجرت في نفسي ساعتها طاقة غريبة...كنت أتمنى أن أقتل بعد في الحال..لا أستطيع أن أنتظر..ونظرت فوجدت في يدي تمرات..فقلت لنفسي في حنق:

لئن أنا بقيت إلى أن آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة.

لقد أدركت أنه لا يفصلني عن حلمي إلا أن أتنازل عن شهوة الطعام لبعض التمرات..

فألقيتها ودخلت المعركة وكتبني الله من الشهداء.. وفزت بجنة عرضها السموات والأرض..

أخي.. هل ترى عمير بن الحمام..هل ترى نفسك في الجنة مع عمير والصحابة والرسول ﷺ..

احلم..فغداً سيتحول الحلم إلى حقيقة..وستحكى لإخوانك في الجنة كم صبرت وكم تنازلت عن رغباتك من أجلها...

من أجلها فقط نعيش..من أجلها فقط عاش الصحابة وماتوا في سبيل الفوز بها..

ألا تسرع الآن وتدفع مقدم قطعة أرض في الجنة..

تستطيع أن تحجز الآن..

أبشر فالمقدم في غاية البساطة..ستقول دعاء مكون من احدي عشرة كلمة..

أنا لا امزح معك أو أسخر منك هذا العرض مقدم فقط للمسلمين وهو ساري منذ ألف وأربعمائة عام..

فلقد قال رسول الله ﷺ: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة**».

هيا احجز الآن..ماذا تنتظر..

وأزف إليك بشرى أخرى..ليس هناك حدود لعدد قطع الأرض التي ستدفع لها مقدم حجز..

الآن من حقك أن تطلب المواصفات الخاصة التي تريدها لبنائك في الجنة..

ولسوف أعرض لك بعض المشاهد الإعلانية التي تعرض جمال السكن الفاخر الجديد..

عن ابن زيد قال: إن رسول الله ﷺ كان يقرأ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾[الإنسان] ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود قد كان يسأل النبي ﷺ فقال له عمر بن الخطاب: حسبك لا تثقل على النبي، قال: دعه يا ابن الخطاب.. قال: فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله ﷺ: «**أخرج نفس أخيكم الشوق إلى الجنة**».

قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن].

قال ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام، في وسط كل بستان دار من نور على نور، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة، قرارها ثابت وشجرها نابت.

وقيل في رواية أخرى: إن إحدي الجنتين أسفل القصور والأخرى أعلى القصور..

هل اقتنع المشترون بالسكن الجديد..هل لهم عليه مآخذ أو طلبات خاصة..فلنستمر في العرض الإعلاني ونحن على ثقة بنيل إعجاب الحاضرين..

في سورة الرحمن سورة إعلانية رائعة أرجو أن نتخيلها..

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ [الرحمن].

وأحب أن أشير أن الذي يجمع بين فاكهة الدنيا وفاكهة الجنة هو الاسم فقط..!!

وعبر الرسول الكريم عن ذلك بقوله: ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء.

أما الشكل والطعم والرائحة والحجم فهي أوصاف نأسف للعجز عن وصفها..

فلن يستطيع الوصف إلا من رأى..

والوحيد الذي رأى الجنة رأى العين هو الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج..

أما نحن فقد ترك الله لنا ولك العنان لنتخيل ونحلم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...

ليس في أيدينا الآن إلا أن نواصل الصور الإعلانية البسيطة التي تحاول أن تصف لنا شيئاً من أرض المؤمنين.. الجنة.

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: ألا مشمر للجنة ؟ **فإن الجنة لا خطر لها**، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد وفاكهة كثيرة ناضجة، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبد في جدة ونضرة في دار عالية سليمة بهية.. قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله قال: قولوا إن شاء الله.ثم ذكر الجهاد وحض عليه».

الراغبين في حجز مسكن في أرض المؤمنين الجنة..أنبهكم أن المال ليس هو الثمن..

إنما الثمن طاعة لله وجهاد للنفس وتغلب على المعصية وصراع مع الشيطان وحب للخير وحسن الخلق..

على من يريد أن يكون شريكاً في أرض المؤمنين أن يراجع أعماله فإن وجد فيها خيراً اطمئن وإن لم يجد فأمامه الفرصة ليدخر الثمن..

وادخر أول ما تدخر من أقساط الثمن.. الصلاة..

فكيف يسمح بدخول أرض المؤمنين.. من لم يسجد لعظمة الله

كيف تستقبل المؤمنين في أرضهم من لم يتوضأ فيتطهر من ذنوبه خمس مرات في اليوم..

كيف يجرؤ على دخولها من لم يرفع صوته للعالم خمس مرات في اليوم بعزة وإباء قائلاً: الله أكبر.

الصلاة.. جواز المرور الأول..وبدونه لن تستطيع حجز شبر واحد في أرض المؤمنين ولو ملكت لدنيا وما فيها..

يا له من عدل..يا له من رحمة..

الجنة ليست بالمال..الجنة بالأعمال..

وستعلو درجاتك في الجنة درجات ودرجات بحسن الخلق.. عفة اللسان والذوق في الكلام وبر الوالدين ومساعدة أصدقائك ورحمة الناس..

عندها يعلو وتعلو حتى تقترب من خير الخلق ومنى العالمين..

حبيب المسلمين.. رسولنا الكريم..

يقول رسول الله ﷺ: أقربكم منى مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً..

تمسك بالخلق، وحصن نفسك من المعصية..فستسبق غيرك وتضمن وعداً بالجنة:

قال رسول لله ﷺ: من يضمن لي مابين لحييه وما بين فرجيه أضمن له الجنة.

عرض صريح واضح حاسم لا لبس فيه ولا غموض.. لسانك وشهوتك ثمناً للجنة.

أعرف أن الثمن صعب...

فما أصعب على الإنسان أن يتمالك لسانه عند الغضب فيسب ويخطئ... لكنها الجنة.

وما أصعب على الإنسان أن يجبر لسانه على التوقف ساعة النميمة في جلسة سمر مع أصدقائه .. لكنها الجنة.

وما أصعب على النفس أن تكبح شهواتها في زمن غرقت فيه الدنيا في مستنقع الفتن فأصبحت تهرب منها من طريق لتفتح عليك في طريق آخر..لكنها الجنة.

ما أصعب أن يضحى الإنسان بمتعة نظرة حرام لفتاة جميلة.. لكنها الجنة

تفعل المستحيل في البشر فتفجر طاقة الإيمان في أشد العاصين وأعتى المجرمين..فيسلم عمر الذي هم بقتل النبي ويسلم وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب

إنها الجنة تفعل الأفاعيل بالإنسان فتجعله أكثر الناس طاعة بعد ما كان أشدهم معصية..

إنها الجنة التي تشعل النفس حباً ورغبة في التغيير فتحول الحسد إلى حب والحقد إلى رحمة والضغينة إلى تسامح.

إنها الجنة التي جعلت بدواً لا ذكر لهم في صحراء الجزيرة العربية ملوكاً للعالم بعدما اتبعوا ديناً اسمه الإسلام ورسولاً اسمه محمد.

قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، من كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**».

أحد هذه الأعمال يعطيك جواز المرور من أحد أبواب الجنة لتصبح أحد سكان أرض المؤمنين.

هل تعرفون رجلاً استطاع بجهده وعمله أن يأخذ جواز مرور من الأبواب الثمانية..

إنه الصديق أبو بكر..

فلقد قال لرسول الله ﷺ: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟! قال رسول الله ﷺ: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**».

وقد كان..أتستطيع أن تكون مثل أبي بكر.

الآن.. رسالة إلى المشتاقين إلى السكن في أرض المؤمنين .. هل تكفى هذه الصور الإعلانية التي ذكرناها..

أم أن الشوق قد أخذك بعيداً فأخذت تحلم وتحلم..

سنشاركك الحلم إذن ونستمع إلى طلباتك ومواصفاتك الخاصة التي تريدها في أرضك الجديدة. اسرد أحلامك وأمنياتك فحتماً ستجد كل ما تريد وسيزيد..

ربما ستكون أول أحلامك في المرأة..

ما تراه في الشارع ووسائل الإعلام يدفعك حتماً إلى هذا الحلم..

وأنا أهنئك فصبرك وغض بصرك ستكون جائزته أفضل مما تتصور وأعظم مما تتخيل

ستنال من النساء من هم أجمل وارق مما تراه من نساء الدنيا آلاف المرات..

وكيف لا وهي جائزة الله أعدها خصيصاً للمتقين من عباده الذين تحملوا من أجلها وصبروا صبراً طويلاً في انتظار هذا اليوم.. يوم الجائزة..

إنها صناعة الله لك..لك وحدك..

ولذا فهي مختلفة ومميزة تمييزاً رهيباً يصعب علينا وصفه بل وربما تخيل وصفه..

وأول ما في هذا الاختلاف اسم الجائزة..فلقد سماها الله (الحور العين)

والواحدة منهن تسمى حوراء والحوراء تعنى شدة سواد العين مع شدة البياض حولها وهو لا شك أحد علامات الجمال عند المرأة.

وستجد فيها جمالاً لم تعرفه ولن تعرفه طالما ظللت من أهل الأرض، فهو جمال خاص غير عادى صنعه الله خصيصاً لك ليرضيك ويمتعك ويسعدك..

جمال يتفوق آلاف المرات على أجمل نساء الدنيا..

جمال تزينه الرقة والخفة وحسن الخلق وعفة اللسان وعذوبة الصوت..

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن:٧٢]

قل لي بالله عليك..ما شعورك وقد علمت أن ما خصص الله لك من حور عين في الجنة كجائزة لطاعتك تجلس في خيمة من سنوات وسنوات إلى الآن ولسنوات قادمة تنتظرك حتى تأتي إليها.

إنها لم تنظر لأحد قبلك ولن تنظر لأحد بعدك.. إنها لم تمس من أحد قبلك ولن تمس من أحد بعدك .. إنها لك..لك وحدك.. وستقع في هواك عند أول لقاء بينكما ومن أول نظرة ..

لن يعنيها شكلك جميل أو قبيح طويل أم قصير سمين أم نحيف بك عاهة أم سوى الخلقة.. يعنيها فقط إنك عبد ضحيت في سبيل الله وصبرت على معصيته وطاعته حتى نلت ما تريد.

قل لي ماذا تعدل نساء الدنيا كلها في امرأة أعدها الله لك وحدك.. كائن حاز جمالاً لو ظهر منه ظفره .. مجرد ظفر ليلاً .. لأخفى القمر في ليلة تمامه.. ولو ظهر سوارها لأضاء الكون كله بعد ظلام.. جعلها الله لك وحدك مادمت ثابتاً على دينك وطاعة رسولك وتجاهد في سبيل ذلك بكل قوتك وعزيمتك..

ولقد بلغ اشتياقها لك أنها تدعو لك بالثبات على دينك فهي تسال الله لك كل يوم بدعاء واحد:

اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه إلينا بعزتك يا أرحم الراحمين.

أي حب أو أي شوق هذا..

إنها مثل العروس التي تدعو لزوجها أن يعود من أرض الجهاد..

إني أسالك بالله عليك..هل الشباب والفتيات الذين يتقابلون في الجامعات والمدارس تحت مسمى الصحبة يدعون لبعضهم البعض بطاعة الله والثبات على دينه..

كلا والله .. إنهم يدعون لبعضهم البعض بالمعصية والالتزام بأوامر الشيطان..لأنه بدونهما لن تتحقق المقابلة وبمعصيتهما ستتحقق المتعة التي يعلمون يقينا أنها تغضب الله..

الجنة بأعمالك..وأزواجك ينتظروك..فأسرع إليهم فأنت أولى بهم من غيرك

قال رسول الله ﷺ:**«من كتم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من الحور يزوجه منها ما شاء»**.

يا لروعة التحكم في النفس عند الغضب وأنت قادر على الرد والانتقام..

إنها جائزة خيالية..ليس أن تتزوج واحدة من جميلات الحور العين فقط..بل أن لك الحق أيضاً أن تختار منهن ما تشاء.

وآه لو رزقك الله شهادة في سبيل الله، لنلت وعداً ما يناله إلا قليل..

قال رسول الله ﷺ: للشهيد عند الله سبع خصال (منها) ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.

إنني بالتأكيد قصرت في محاولة وصف الحور العين ولكنى أحاول أن أجبر تقصيري بآية ستعرف معناها يوم تلقاه وتتسلم جائزتك..

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧].

أبشر فلدى الله المزيد والمزيد.

إنني أريد أن أبشرك أيضاً بأن أحلام الدنيا تتحقق في الجنة..

فلعب كرة القدم أو أي لعبة رياضية تحب أن تمارسها ستتحقق..

مشاهدة البطولات الرياضية بين أقوى فرق الدنيا ستمتعك متعة لا نظير لها.. الذهاب لأجمل شواطئ العالم والتنزه بها سيكون سهلاً بسيطاً.. مشاهدة ما تريده من الأفلام سيصبح يسيراً.. مسامرة الأصحاب والجلوس مع الأصدقاء..موجود.. الذهاب بآلة الزمن في زمن آخر غير الذي عشت فيه..ممكن بكل سهولة...

كل ما تتمناه أن يتحقق في الدنيا ومنعك عنه أنه حرام لا يرضى الله أو منعك عنه عدم القدرة عليه..سيجاب لك فور طلبك.

كل ما تتمناه في الدنيا ولم تستطع تحقيقه موجود..

وفوق كل ذلك..فأنت في عالم نقي الكل يحب بعضه بعضا..فلا وجود للكراهية والحسد والحقد..

إن بعض الناس لا يعانون من الفقر أو مرض جسدي لا يرجى شفاؤه.. وهو ثرى كل طلباته مجابة وكل ما يريده موجود إلا أنه يعانى من شيء لا يجد له حلا..القلق والتوتر..إنه يحلم بحياة ينعم فيها بشيء من الطمأنينة والسكينة..

سيجد ذلك في الجنة .. الذي يسمح بوجوده فقط السكينة والطمأنينة والسعادة والحب.. سعادة أبدية لا تنتهي ولا تزول..والأهم أنك لا تمل منها أبداً، بل ستشعر بها في كل دقيقة وكل لحظة دونما انقطاع.

أخي.. ما تسمعه الآن..ألا يلهب حماسك لتغيير نفسك وتصحيح أخطائك..ألا يدعوك النعيم الذي يعده الله لك لتعديل مسارك والتفكير في طريقة حياتك..

إن الله يبعث إلينا بأوصاف الجنة ليوقظ مشاعرنا نحوها ويقوى إرادتنا ويوجهها نحوه فنتغير ونصبح بعدها شباباً يعرف دينه ويعرف ربه ويعمل لهما بحب وإخلاص.

إن الجنة لها مفعول السحر في التغيير.

ولقد اعتمد الرسول على هذه الفكرة في تغيير الصحابة..فأخذ يحكى لهم عن وعد الله لهم، وكان يبادر لهم بذكر نعيمها كلما جاءه له الوحي بالبشرى..

لكم كان يتمنى الرسول أن يرى أصحابه الجنة أمامهم فيشعرون بها عن قرب فتشتعل أحلامهم وأمانيهم ويسابقون الزمن للفوز بها..

ولقد أتاح الوحي فرصة للرسول ﷺ ليجسد للصحابة بعضاً من الجنة في حياتهم..

فنقل لهم الرسول فرحاً أن جبل أحد هو قطعة من الجنة..

فهل تتخيل موقف الصحابة وهم يرون قطعة من الجنة أمامهم كل يوم..إن نظرة واحدة للجبل الأصم لكفيلة بتمني الموت في سبيل الله..

ولقد أمده الوحي برسالة أخرى تلعب بخيال المعتمرين والحجاج كل عام فقال: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»**.

إن الرسول يريد أن يقرب إلينا الحلم ما استطاع لنجتهد في الوصول إليه..يريد أن يزرع في قلوبنا اليقين فلا نتوانى في التضحية من أجله..مهما كان حجم التنازل عن الشهوات ومهما كان حجم الإغراءات..

وبعد العودة من رحلة الإسراء والمعراج كان الرسول متشوقاً لكي يحكى لأصحابه ما رأى بالفعل..

يا صحابتي لقد كنت هناك.. ما وعدكم الله به رأيته كما أراكم لا أحلاماً بل حقيقة لا خيالا بل واقعاً ملموساً..

فأخذ يحكى لهم..

يقول النبي ﷺ: **«رأيت الجنة فأقمت منها عنقوداً ولو أتيتكم به لأكلتم منه حتى قيام الساعة»**.

ويقول ﷺ: **«دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً كأجمل ما يكون فقلت لمن هذا القصر»** فقيل لي: لرجل من قريش..

فظننت أنه لي فقيل لي: ليس لك فقلت لمن؟ فقيل لي: لعمر بن الخطاب فنظرت فإذا امرأة على باب القصر تتوضأ فتذكرت غيرتك يا عمر فأعرضت عنها. فبكى عمر بن الخطاب وقال: أمنك أغار يا رسول الله؟

أخي..لو قال لك صديق أنه كان في رحلة إلى أمريكا أو إحدى البلاد الأوروبية،وأخذ يحكى لك بذهول عما رآه هناك من نظافة الشوارع وجمال المباني ورفاهية المعيشة والنظام في كل شيء..

أفلا تتمنى أن تذهب هناك لترى مما رآه على الطبيعة.. ألا يحثك الخيال على التمني بالسفر إليها لو واتتك الفرصة...

أعتقد نعم.. وأعتقد أيضاً أن عمر هذا الحلم سيكون قصيراً جداً لعلمك أن المسائل معقدة كثيراً وأنه لا داعي للتفكير في الأمر مرة أخرى..

إن الله يعرض عليك أن تزور نعيماً لا حدود له، لا ينقطع ولا يزول،تعيش فيه أبداً بلا موت أو نوم أو تعب أو حسد أو ضغينة من أحد.. الله يعرض عليك امتلاك بلد مثل أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا لا زيارتها فقط دون أن يشترط الغنى أو المؤهل أو الحصول على الجنسية..

يشترط فقط الطاعة...أداء الفروض وحسن الخلق..

احلم بالجنة ما استطعت. اجتهد أن تصورها لنفسك كما اجتهد الرسول أن يصورها لأصحابه فتغيروا تغيراً أذهل أهل مكة والجزيرة والعالم والتاريخ..

بل أذهلهم هم شخصياً..

فهل كان عمر بن الخطاب الذي نزعت من قلبه الرحمة حتى يدفن ابنته في التراب وهى حية، ولم يرق قلبه لها قيد أنملة وهو يراها تزيح من على لحيته آثار الغبار..هل كان يتصور يوماً أنه سيصبح أميراً للمؤمنين بوجهه خطان أسودان من كثرة البكاء من خشية الله.

هل كان مصعب بن عمير الشاب الثرى الذي ما كان ينقصه شيء من نعيم الدنيا يتخيل يوما أنه سيهرب من هذا النعيم ليلحق بأصحاب رسول الله المهاجرين من مكة إلى الحبشة ليقطعوا آلاف الأميال في رحلة شاقة من آسيا إلى جنوب أفريقيا، حيث الفقر وشظف العيش وقلة الموارد، وعندما يستشهد في أحد لم يجد الصحابة ثوباً يكفيه يكفنونه به حتى بكى رسول الله من أسى المشهد..

هل كان عمرو بن العاص الذي ذهب إلى الحبشة ليقنع أبرهة أن يطرد المسلمين المهاجرين من أرضه والذي ظل يحارب الرسول والمسلمين ويكيد لهم المكائد سنوات وسنوات أن يكون من أعظم الفاتحين..

هل كان يتصور حمزة بن عبد المطلب أن يتغير.. هل كان يتصور وحشي قاتل حمزة أن يتغير.. هل كانت تتصور هند بنت عتبة، التي دفعت الأموال لوحشي ليقتل حمزة في أحد ولاكت كبده بعدها، أن تتغير..

كلهم تغيروا..

ألا تتغير أنت..ألا يكفى ما أحكيه لك لتتغير..

لقد كانوا أسوا الناس فأصبحوا أفضل الناس بعد أن ذاقوا طعم الإيمان وحلموا برضا الله ونعيم الجنة..

لقد حكى لهم الرسول فصدقوه وصدقوا مع أنفسهم...

لقد نقل الرسول مشاهد الجنة للصحابة.. لكنها كانت قليلة لا تكفى لكي يتفاعل معها المسلم طيلة حياته، وكيف يتوق إليها المسلمون بعد الرسول والبعيدون عن بلاد الرسول مكة والمدينة..

فماذا يفعل الرسول ليربط المسلمين عبر كل العصور بالجنة ويدفعهم للحلم بها..

لقد ربط الجنة بالحياة..ربطها بالطاعة والعمل والسلوك والأخلاق..

فربط الجنة بأداء الصلاة والفرائض فقال: عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من صلى البردين دخل الجنة" «متفق عليه».(والبردان هما الصبح والعصر)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح". «متفق عليه»

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أعرابيًا أتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته، دخلت الجنة. قال: "تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان" قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ : "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا" «متفق عليه» .

وربط الجنة بقراءة القرآن وحفظه فقال:

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كم كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**. (رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب هذه السورة "قل هو الله أحد" فقال: **«حبك إياها يدخلك الجنة»** (رواه الترمذي وقال: حديث حسن- رواه البخاري في صحيحه تعليقًا).

وربط الجنة بالاجتهاد في العلم فقال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»** (رواه مسلم). رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن لله ملائكة سيارة فضلاً يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر، قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وما بين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض: يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا**

جنتي؟ قالوا: لا، أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟! قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم ما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر، فجلس معهم، فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

وربط الجنة بحسن الخلق والمعاملات مع الآخرين فقال:

رسول الله ﷺ أقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً !!!

ثم ربط الجنة بالجهاد والموت في سبيل الله فقال:

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»**.

باختصار لقد ربط الرسول المسلم بالجنة عن طريق حياته من بدايتها حتى نهايتها..

أيها الشباب:.عيشوا للجنة فهي تتزين لأمثالكم..فهي تريد أمثالكم..هي خلقت لأمثالكم..

تسابقوا إليها.. ومن أجلها واجهوا الصعاب وتغلبوا على الشدائد وانتصروا على اليأس والإحباط..

من أجلها لا تستسلموا للمعصية و لا تخضعوا للشهوة وارفضوا وساوس الشيطان..

جاهدوا أنفسكم فهي تستحق..

حاربوا من أجلها فهي تستحق..

جاهدوا أنفسكم من أجلها مهما عانيتم فلن تصلوا إلى الجنة إلا بجهاد النفس..

احلموا بها.. واحلموا واحلموا حتى يأتي اللقاء ويتحقق الوعد وتحوزون النعيم بإذن الله...

الفرصة أمامكم.. لتقتربوا في كل يوم من الجنة بأعمالكم وطاعتكم ودعائكم..

وأختم بحديث جميل لنبي الخير والرحمة ﷺ حيث قال:

«ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة».

نصدقك يا رسول الله..وسندعو ثلاثاً كما قلت لنا... اللهم أدخلنا الجنة.. اللهم أدخلنا الجنة..اللهم أدخلنا الجنة..

حي على الصلاة

لا أتمالك نفسي أمام مشاعر الحزن وأنا أتحدث في موضوع الصلاة ..

وربما كان صعباً عليكم مقاومة نفس المشاعر لو علمتم أن أكثر من نصف الشباب المسلم الذي يؤمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسول الله نبياً ورسولاً ... لا يصلي ..

ولعله من المؤسف أن أبدأ حديثي إليكم بصدمة كهذه .. ولكن ما دفعني إلى ذلك دفعاً إلا حبكم والخوف عليكم .. ألم يقل الحبيب ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

ولقد أحببت لنفسي رضا الله .. ولم أحب لك غضب الله وسخطه، وأحببت لنفسي القرب من الله .. ولم أحب لك الابتعاد عنه ،وأحببت لنفسي الجنة .. ولم أرض لك بغيرها..

إني أعرف شباباً لا يفصلهم عن الجنة إلا الصلاة .

أكاد أذهل من سلوكهم وأخلاقهم .. شباب قمة في الأدب والذوق واللباقة ..أراه يساعد الناس بحب بلا انتظار لمقابل أو مقايضة على مصلحة ..أراه يبر والديه فلا يعصى له أمراً ويبذل الغالي والرخيص في سبيل إرضائهم ..أراه يتحدث إلى الكبير فيوقره ويحترمه ، ويتحدث إلى الصغير فيداعبه ويرحمه ..أرى في قلبه الخير والحب للناس وفى عقله الذكاء ، وفى تصرفه الفطنة ، وفى عمله الإخلاص ، لكن يرى في نفسه الخجل الشديد في كل يوم خمس مرات ..

إنه لا يستطيع أن يهرب من شعوره الدفين بالأسى والتقصير في حق الله – وفى حق نفسه دون أن يدرى – عندما يسمع كل يوم خمس مرات : حي على الصلاة .. حي على الصلاة .

إنه يسمع الآذان فيهرب منه إلى البيت.

أو إلى النوم أو إلى مشاهدة التليفزيون أو إلى المذاكرة ..

إنه في الحقيقة يهرب من نفسه اللوامة التي تناديه من الداخل ..

يا أخي ما الذي يمنعك أن تقف بين يدي الله عشر دقائق ؟إنك تتحدث إلى كل البشر.. فمن الذي يمنعك أن تتحدث إلى خالق البشر.

إنه الله.. الذي أنعم عليك نعماً لا تحصى ويريد منك الطاعة فتعصاه .!! فيقبل عليك بمنح التوبة التي لا تنتهي .. فتؤجل التوبة إلى أجل غير مسمى !! فيشعل حماسك بنعيم في الجنة لا ينتهي ، وسعادة لا تنقضي ويزينها لك ليهيئها لاستقبالك .. فتقول أنه أمل بعيد!!

وهو من شدة خوفه عليك وحبه لك يبتليك ويرسل إليك إشارات وعلامات لعلك تفهم المقصود وتدرك خطورة الأمر .. فتتمسك برحمة الله وتخدر نفسك قائلاً : إن رحمة الله واسعة !

يا الله .. أتدرك أن الله يحبك أكثر مما تحب نفسك .

لو أرسل إليك رئيسك في العمل أو أستاذك في الجامعة أو مديرك في المدرسة خطاباً يطلب منك الحضور العاجل فلم تأت ..ماذا تتوقع منه ؟

أن ينهرك .. أن يضايقك في عملك أو مدرستك .. أن يعاقبك.

لو أرسل إليك وزير في طلبك وألح عليك في الطلب .. فلم تعره اهتماماً ترى ماذا سيكون رد فعله ؟

تخيل أنت الإجابة ..

إن ربك الذي خلقك وخلق السماوات والأرض وسخر الحياة لك يرسل لك في طلبك في أول النهار فيناديك : حي على الصلاة .

فلا تهتم ..!!

فإذا به يرسل في طلبك للمرة الثانية بعدها بساعات فإذا بك لا تبالي !! فيناديك في صلاة العصر : حي على الصلاة .. حي على الصلاة .. فلا تذهب! فيلح عليك في النداء في المغرب والعشاء .. فترفض الذهاب!

فماذا تتوقع من الله بعدها ؟ أطلق لخيالك العنان .. أيسقط بك العذاب .. أينتقم من عبد له لا يريد أن يذهب إليه رغم الإلحاح في الطلب ..

لكن .. ماذا يريد منك الله حتى ينادى عليك آلاف المرات فلا تأتى فيزيد على الآلاف آلافاً ..

لن أجيبك أنا .. إن الله يحترمك ولذلك سيجعل أفضل الخلق أجمعين يجيب عليك السؤال

يقول الحبيب :

«إذا توضأ العبد المسلم – أو المؤمن – فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه ، خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه ، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقياً من الذنوب» (رواه مسلم) .

أعرفت ماذا يريد الله منك .؟

يريد النبي الحبيب أن يضيف إليك شيئاً .. فاستمع إليه ..

يقول من سيأخذ بيديك وأيدينا يوم القيامة :

«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ الوضوء – ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» (رواه مسلم) .

أعرفت لماذا يناديك الله ويلح عليك في النداء ؟

لقد أجبت عليك ، وفسرت سر إلحاح الله عليك في ندائه للصلاة ..والآن جاء دورك لتفسر لنا سر إحجامك عن تلبية النداء ..

أرجوك .. فسر لنا ما هي القوة الرهيبة التي تقنعك ألا تغفر ذنوبك خمس مرات في اليوم

قل لنا من هو صاحب المصلحة ألا تفتح لك أبواب الجنة الثمانية فتختار الباب الذي تريده للدخول ..

لا تقل لي أنه من الطبيعي أن يرفض شخص ما الجنة ..لا تقل لي أنك لم تفكر في الموضوع .. فالموضوع لم يشغل بالك من الأساس .لا تقل لي أن ذنوبك قليلة لا تقلقك وأن ما تفعله من خير سيشفع لي عند الله فيدخلني الجنة بقلوبنا النقية وأعمالنا الصالحة ..لا تقل لى ذلك .. فالعقل لا يقبله والدين لا يقره ولا يعرفه ..

تعالى نفكر سوياً حتى نكتشف الأمر .. فالتفكير في حل المشكلة هو أول طريق الحل .. ولتكن الصراحة سلاحنا ..

ربما أجد أن أحد الأسباب التي تجعل الشباب يعزف عن الصلاة رغم إدراكه لأهميتها هو : (الخوف من التدين)

سبب غريب ..أليس كذلك ؟! لكن الأغرب أنه حقيقي !

هناك الكثير من الشباب يدرك أن اتخاذ قرار بالصلاة أمر في غاية الخطورة بالنسبة له ، لأن الالتزام بالصلاة ستدخله في دائرة التدين ، وهو ما يعنى التقيد بالحلال والحرام والتنازل عن تصرفات كثيرة يعلم تماماً أنها حرام ، لقد تلذذ بالمعصية إلى درجة أصبح عبداً لها ، لم تطلق حريته بعد حتى يستطيع أن يقول لها لا .. والالتزام بالصلاة سيجعله في تناقض مع نفسه .. كيف يصلى ويرتكب المعصية .. كيف يصلى ويعاكس الفتيات .. كيف يصلى ويسب .. كيف يصلى ويعق والديه ..

كما أنه يرى أن المعصية جبل لن تنقص منه الصلاة ، وأن الطاعة صفر لن تزيد الصلاة شيئاً .. أقنعه الشيطان بحجة بليغة وبمنطق قوى ..

ولكن اسمع هذه القصة فستجد فيها ردى ..

القصة وقعت للإمام أحمد بن حنبل حيث يقول : كنت أسير في طريقي فإذا بقاطع طريق يسرق الناس ، وفى إحدى المرات وأنا أصلى فإذا بي ألتفت لأجد نفس السارق الذي كان يقطع الطريق على الناس يصلى ، فتعجبت وذهبت إليه وقلت له : يا رجل هذه المعاملة لا تليق بالمولى تبارك وتعالى ، إن الله لن يقبل منك هذه الصلاة .

قال الرجل :

يا إمام .. بيني وبين الله أبواب كثيرة مغلقة فأحببت أن أترك باباً واحداً مفتوحاً .

قال الإمام أحمد :

يا رجل .. هذا الكلام لا يعجبني .

بعد أشهر قليلة كان الإمام أحمد يؤدى فريضة الحج ، وبينما هو يطوف بالكعبة لفت نظره رجل يتعلق بأستار الكعبة في خشوع وتضرع واضح وهو يقول :

تبت إليك يا رب .. ارحمني .. لن أعود ثانية إلى معصيتك ..

فدقق النظر في الرجل ليفاجأ بأنه نفس الرجل الذي حدثه في المسجد .. إنه اللص قاطع الطريق

فتذكر الإمام أحمد قولة الرجل ثم قال :

ترك باباً مفتوحاً .. ففتح الله له كل الأبواب .

أعتقد أن الرسالة قد وصلتك ..

يا أخي .. حتى لو تغلب عليك الشيطان فأغراك بالمعصية .. لا تفرط في الصلاة فلعلها تكون بابك المفتوح يوماً إلى التوبة ..أعط لنفسك دوماً أملاً بالعودة .. مجرد أمل .. واجتهد ألا تغلق كل أبواب الرحمة بينك وبين الله .

أما الصنف الثاني من الشباب .. فهو صنف ضعيف الإرادة مهزوم منكسر يريد أن يصلى ويتمنى أن يناجى الله ويركع بين يديه ، ويتمنى أن يشكو له في سجوده ويرفع يديه إلى السماء ليستنجد بقوته .. ولكنه ويا للأسف يعمل ألف حساب لأصدقائه . فيسخرون منه ومن صلاته وسيقف في حيرة من أمره يختار بين رضا أصدقائه وبين رضا الله ..

أتعرفون ماذا سيختار؟ .. رضا أصدقائه !

لهذه الدرجة تصبح الإرادة ضعيفة فتفضل صداقة سوء على نعيم الجنة الأبدي !

تفضل السهرة والمرح والاستجابة لنداء صحبة ستقذف بك إلى النار على الاستجابة لنداء أرحم الراحمين.

لقد ظل المشركون في بداية الدعوة يتهكمون على المسلمين الضعفاء ويتندرون عليهم ويطلقون عليهم النكات ، وكان هذا يؤذى المسلمين إيذاءً نفسياً رهيباً ، فهم على أدب وخلق ويسخر منهم الفجرة عديمو الخلق ، وهم على حق ويسخر منهم أصحاب الباطل وهم صابرون يتحرون الحلال والحرام ويسخر منهم المنحلون الذين يتجرؤون على كل حرام .

فهل سمعنا أن أحدهم قد ترك دينه ليتجنب السخرية .. لا بل صبر واحتسب واعتبره نوعاً من الإيذاء في سبيل الله الذي لن يضيع..

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١)﴾ [المطففين:٢٩].

حتى جاءت لحظة النصر والبشرى وأنزل الله كلماته التي أثلجت صدور المؤمنين :

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥)﴾ [المطففين]

اصبر فلن يخذلك الله وسيعطيك جزاء صبرك. اصبر فإن ما عند الله يستحق الصبر والتحمل والمقاومة لآخر لحظة .

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من صلى البردين دخل الجنة»** (متفق عليه).

والبردان هما الصبح والعصر ، إنها بشرى من الله بدخول الجنة لمن يحافظ على صلاتي الفجر والعصر.. يريد الله أن يرغبك أكثر ويجذبك إلى طاعته.

وعنه أن النبي ﷺ قال: **«من تطهر في بيته ، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته ، إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة»** (رواه مسلم).

أي رحمة وأي حب وأي تيسير من الله لك .. لمجرد المشي من البيت إلى المسجد .

ففي الحديث : **«من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح»**. (متفق عليه).

إلى أي درجة يريدك الله أن تسلك طريقه ، إن الله يعد لك نزلا في الجنة لمجرد أنك تلبى نداءه وتذهب لبيته لتصلى ..

إن سخرية الدنيا كلها لا تقوى على أن تضيع منك هذا الثواب .

استجمع إرادتك واظهر قوياً أمام زملائك فأنت على حق ينتظرك الخير وتبنى لك الجنة فلا تستسلم أو تنهار أمام كلمة من هنا أو هناك فإن لم تستطع فاحسبه أذى في سبيل الله تتحمله كما تحمل الصحابة والرسول سخرية المشركين فصبروا وفازوا بجنة عرضها السماوات والأرض .

وربما كان الكسل مانعاً لصنف ثالث من الشباب ، يحجمه عن الصلاة .. فسأحاول أن أنشطه بما حدث في غزوة الأحزاب:

كانت غزوة الأحزاب من أشد الغزوات على المسلمين ، عشرة آلاف مقاتل من المشركين الذين تجمعوا لضرب الإسلام ضربة قاضية ، يحاصرون المسلمين في المدينة ، القلق والخوف يصيب المسلمين فالموقف في غاية الصعوبة ، ويحفر المسلمون الخندق ويحاول المشركون الهجوم على خيمة الرسول لقتله فتبدأ المناوشات بين المسلمين والمشركين لمدة يوم كامل ..

ورغم خطورة ما كان ينويه المشركون – قتال الرسول – إلا أنه بعد انتهاء المعركة كان الرسول في غاية الضيق والحزن ليس لأنهم حاولوا قتله بل لأنهم أخروه عن صلاة العصر في موعدها ودعا عليهم الرسول دعاء من الصعب أن تجده مرة أخرى في موقف دعا فيه الرسول على المشركين

ففي صحيح البخاري عن على عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق:

«ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس».

انظر إلى أي درجة يحرص الرسول على الصلاة .. إنه لم يدع عليهم لأنهم حاربوه بل دعا عليهم لأنهم أخروه عن صلاة العصر حتى الغروب.

أريد أن أسألك .. ما هو السبب إذن الذي يبيح لك الكسل عن الصلاة.

أعتقد أنه أخف بكثير من الحرب أليس كذلك ؟

يا أخي الذي يريد الجنة لابد أن تكون همته عالية والمسألة ليست كسلاً جسدياً فأنت تتحرك وتجرى وتلعب الكرة وتخرج إلى الرحلات وأنت في قمة النشاط ، إن المسألة أنك تحتاج إلى تنشيط الإيمان داخل قلبك .

وسنسرد في نقاط أسباب التقصير في الصلاة لتثبت في الذهن :

- **صداقة السوء :**

من أخطر ما يؤثر على الشباب في موضوع الصلاة أو غيرها .. **لأن علاقة الحب** والارتباط الوثيقة بينه وبينهم تجعله يضطر لمجاراته في سلوكياتهم أياً كانت **هذه السلوكيات** صحيحة أم خاطئة حلال أم حرام ، فهو لا يفكر في ذلك هو يريد فقط **أن يكون في حالة** انسجام وتوافق معهم لا في حالة تناحر وخلاف في المواقف والأفكار .. **وهنا تجدر الإشارة** إلى معنى الحب في الله – أي الصداقة القائمة على طاعة الله ومحبته **وعلى الاتفاق على** الطاعات والتناصح بها– وهذا عكس الحب في غير الله والذي يعتمد على **المصلحة أو حب** الدنيا أو الانغماس في الشهوات .

- **الخوف من سخرية الزملاء :**

يخشى الشاب من سخرية زملائه بالأقوال المعروفة (بركاتك يا سيدنا **الشيخ – خدنا** على جناحك ...) خصوصاً إذا كان ضعيف الشخصية ولا يستطيع الدفاع **عن آرائه بقوة .**

– **الاقتناع بعدم جدوى الصلاة في ظل ارتكاب المعصية :**

لعبة من الألعاب الشيطانية التي يوسوس بها الشيطان في أذن الطلبة **والشباب فيوحي** لهم بأنه كيف يقبل الله منك الصلاة وأنت ما زلت لم تتخلص من **المعصية والحقيقة أن** الكثيرين ينخدعون بهذا القول ولكن إذا وقفنا على الحقيقة نجد أنه **لا يمكن التخلص من** المعاصي دفعة واحدة بل يلزمه التدرج والبداية المنطقية وهذا التدرج يكون **بالاستعانة بالله** واستلهام الزاد والعون منه والله أشد فرحاً بتوبة العبد العاصي ممن **فقد راحلته في الصحراء** الكبيرة فظل يبحث عنها فإذا هي أمامه .

ضعف الإيمان: هذا الطالب أو الشاب يعلم خطورة الأمر وحقيقته **ولكنه يشكو من** الضعف الإيماني فهو يجد صعوبة بالغة في الوقوف بين يدي الله خمس **دقائق في الصلاة في** الوقت الذي من الممكن أن يقف فيه ساعتين مع زملائه يتحدث معهم **في أي موضوع .**

– **الكسل :**

يترتب على ضعف الإيمان الكسل فعندما يكون الطالب كسولاً **بطبعه يعاني من** اللامبالاة ويكون الحل الوحيد لذلك الاستعانة بالصحبة الصالحة للعون **على الطاعة .**

كيف تتعود على المواظبة على الصلاة؟

سنحاول أن نسرد بعض الحلول التي تلهب جذوة الإيمان في قلبك **فتعود إلى ربك** وتعيدك إلى الصلاة على أن تسبقها الإرادة والعزيمة فبدونهما لن تنجح **في أي عمل .**

١- استشعار خطورة ترك الصلاة أو التقصير فيها بالإضافة إلى التأثير على النفس عن طريق سماع الشرائط والكتب الخاصة بالصلاة والترغيب فيها والتي توضح جزاء تارك الصلاة .

٢- بناء صداقة جديدة من أصدقاء الخير المواظبين على الصلاة والاختلاط بهم ومصاحبتهم: من السهل جداً التعرف على زملائك المصلين في فصلك أو في حيك ومحاولة التقرب منهم وحضور الصلاة والحلقات المسجدية معهم .

٣- محاولة ترك شلة السوء فهي المؤثر الأقوى الذي يدفعك بعيداً عن الصلاة بسخريتهم وأفكارهم ، هو أمر في غاية الصعوبة أن يترك طالب شلته الرئيسية التي انسجم معها ولكن حاول فإن فشلت فكررها فعليك أن تختار إما الجنة أو النار لذلك فأنت تحتاج إلى إصرار وإرادة قوية حتى تنجح في ذلك فالابتعاد عن هذه الشلة لا يعنى معاداتهم ولكن يعنى عدم مصاحبتهم والتأثر بهم .

٤- الاتفاق مع أحد أصدقائك المواظبين على الصلاة للتعاون معك : من الممكن الاتفاق مع صديق قريب لك يواظب على الصلاة أو صديق تعرفت عليه حديثاً أن يقوم بمتابعتك وتشجيعك ومساعدتك في ساعة الكسل إنها نعم التعاون في طاعة الله وهو جهد زهيد في طلب الجنة ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٢]

٥- الإصرار ومجاهدة النفس والوعي بألاعيب الشيطان : لن يترك الشيطان أبداً عبداً يخرج من مملكته بسهولة لذلك سيبدأ في تشتيت أفكارك وتفتيت قواك الإيمانية وسيلقى إليك بأفكاره الخبيثة والمقنعة حتى تستسلم، وإرادتك وعزيمتك هما اللذان سيحسمان الأمر في النهاية .

يا إخواني كلي ثقة أننا من الآن سنصلي .. من الآن سنهرول إلى الله ونرفع أيدينا إلى السماء نرجوه أن يغفر لنا ما مضى ويرزقنا الإيمان لما هو آت ..من الآن نحن مسلمون نعرف حق ديننا علينا ونعرف فرائضه.. من الآن نعرف بأنه لا يليق بأتباع محمد ﷺ أن يتركوا الصلاة .

القرآن .. يغير

موضوعنا اليوم عن القرآن .. وقبل أن أتحدث فيه أحب أن أسألك سؤالاً :

ما رأيك في القرآن الكريم؟!

ربما يكون السؤال صعباً بعض الشيء .. ولذلك سأعيد عليك السؤال بصورة أبسط.

ما هي وجهة نظرك كشاب مسلم في القرآن الكريم ؟

وأريد أن نأخذ إجاباتنا من الواقع .. نريد أن نجيب إجابة واقعية لا مثالية أو خيالية .. والواقع يقول أن هناك من الشباب من ينظر إلى القرآن أنه كتاب (وأنا أسف لهذا التعبير) كتاب مناسبات !!

فلقد تعلم أن القرآن يقرأ في المآتم والأحزان ، أو بداية الاحتفال بأي مناسبة دينية ..أو في شهر له خصوصية في العبادة والتقرب من الله مثل شهر رمضان.

وهناك من ينظر إليه من الشباب بأنه كتاب يجلب إلينا البركة ، فنضعه في المنزل والسيارة وعلى مكتب المذاكرة أو العمل ..

وأحسن هذه الآراء التي يراها المتدينون من الشباب ، أنه يرى القرآن وسيلة لاكتساب الحسنات المضاعفة فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها .

وأرى أن جميع ما سبق نظرات ظالمة أشد الظلم لكتاب الله .. وقبل أن نظلم القرآن ظلمنا أنفسنا لأننا أقنعنا أنفسنا بالابتعاد عنه أو عدم فهم رسالته ومغزى وجوده في حياتنا ، فعانينا من مشكلات لا حصر لها ، مشكلات غريبة معقدة كلما اجتهدنا لإيجاد حل لمشكلة منها ظهرت لنا مشكلة أخرى عسيرة على الحل ..

أما أننا جمدنا رسالة القرآن عند القراءة أو الحفظ .. أو هجرناه بدعوى أن القرآن كتاب له مفردات صعبة لا تسعفك اللغة العربية لقراءتها قراءة صحيحة فالأفضل ألا تقرأه حتى لا تقع في الحرام ..

لعبة من ألاعيب الشيطان تقبلها بكل سهولة وبكل استسلام ..

لا .. القرآن ليس كذلك ..

القرآن كتاب حمله الرسول ﷺ ليغير به البشر والعالم والتاريخ ..

القرآن كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه ليحارب الجهل والفساد والظلم ويدعو إلى الأخلاق والعلم والحرية والنهضة والسعادة .

ومن هنا جاءت معجزة القرآن ..

قدرته على التحدي فتحدى العرب في فصاحتهم فأيقنوا أنه من عند الله حتى وإن لم يعترف كل العرب بذلك وقتها ..قدرته الرهيبة على التغيير .. التي جعلت نفوساً ما كان يأمل فيها أشد المتفائلين في إصلاحها ، أن تخضع له وتستسلم وتفتح لها أبواب قلبه مرغمة راضية .

معجزة القرآن أنه يحتوى على منهج رباني لإصلاح حياة البشر ليس به خطأ لأنه من عند خالق البشر ..كما أنه يعطيهم الطاقة الروحية التي تساعدهم على تطبيق المنهج بإتقان واستمرارية ..

إن القرآن له تفاعل غريب مع النفس لا يستطيع أن يفهم سره .. إنه يتعامل مع ملكات خفية داخل النفس لا يعلمها إلا الله .. هذا التفاعل هو الذي جعل شخصية شديدة الصلابة شديدة القسوة مثل عمر بن الخطاب أن يذهب إلى الرسول ليشهد أنه رسول الله بدلاً من قتله ..تعالى نحكى ماذا فعل القرآن بعمر ..

كان عمر معروفاً بحدة الطبع وقوة الشخصية ، كان له قلب ما عرف الرحمة جعله يدفن ابنته حية وتحاول أن تنفض التراب من على لحيته ، ولطالما تسبب عمر في إيذاء المسلمين.. ولم يُعرف عمر بذلك فقط ، بل كان يعيش حياة لهو وسكر وعربدة يعرفها كل أهل مكة ..إلا أنه – ورغم كل ذلك – كان في قرارة نفسه يحترم المسلمين ولا يملك إلا أن يعجب بروح التحدي والإصرار التي تجعلهم يتحملون كل هذا الأذى في سبيل ما يؤمنون به ..

وكان أول لقاء لعمر مع القرآن عندما اضطر يوماً للمبيت خارج بيته فجاء إلى الحرم ودخل في ستر الكعبة وكان الرسول كعادته موجوداً لدعوة الناس ، وكان الرسول وقتها قائماً يصلى فقرأ سورة الحاقة فأخذ عمر يستمع للقرآن معجباً ببلاغته وفصاحته ونظمه الجميل الذي لم يعتاد عليه العرب ، وهم أهل اللغة والفصاحة ..

وأفاق عمر من إعجابه ليقول لنفسه : هذا والله شاعر كما قالت قريش.

فقرأ الرسولﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١)﴾ [الحاقة:٤٠-٤١]

فقال عمر :إذن هو كاهن

فوصل الرسول في قراءته إلى الآية : ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣)﴾ [الحاقة:٤٢-٤٤].

دهش عمر لهذا الحوار الخفي بينه وبين القرآن .. إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من لحظة ضعف قوية أمام القرآن كانت أول بذرة لإيمانه بالله ودخوله الإسلام .إلا أنه بمرور

الوقت وتتابع الأيام وابتعاده عن مصدر الضعف الوحيد له – القرآن – عاد عمر إلى عداوته للإسلام والرسول حتى إنه خرج في أحد الأيام ليقدم على عمل أقدم عليه من قبل أبو جهل وهو من أشد أعداء الرسول ..

لقد خرج عمر حاملاً سيفه متجهاً ناحية الرسول للقضاء عليه، فلقيه نعيم بن عبد الله – وكان قد أسلم – وفي عينيه الشرر والشرر فقال له : إلى أين يا عمر ؟

أجاب عمر في ثورة : أريد أن أقتل محمداً .

ارتعد نعيم في نفسه .. ماذا يفعل حتى يثني عمر عما يريد أن يفعل .. كيف يصرف عمر عما ينوى فعله ..

فحاول أن يجعل عمر يفكر هنيهة في الأمر فقال له :

كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة لو قتلت محمداً ؟

كان دهاء عمر أكبر من أن تنطلي عليه حيلة نعيم فنظر إلى نعيم نظرة الخبير وهو يقول: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي كنت عليه .

إلا أن نعيماً لم يصدم بما قال عمر، وهاجمه بخبر آخر كان كفيلا بتغيير وجهة عمر حيث قال:

أفلا أدلك على العجب يا عمر ؟ إن أختك وزوجها قد صبئوا وتركا دينك الذي أنت عليه .

لم يفكر عمر كثيراً .. واتجه كالسهم إلى منزل أخته وزوجها سعيد بن زيد وكان معهما خباب بن الأرت يقرأ عليهما سورة طه ..

وقبل أن يدخل عليهم عمر اختبأ خباب فسألهما عن همهمة كان يسمعها فأنكر ، فاغتاظ عمر وقال لهما في غضب :

فلعلكما قد صبئتما؟ استجمع سعيد بن زيد شجاعته قائلاً لعمر :

أرأيت إن الحق في غير دينك. ثار عمر واندفع إلى سعيد فوثب عليه بقوة جعلت فاطمة تسرع لتزيحه عن زوجها ، فالتفت عمر إليها وصفعها عُلى وجهها صفعة أسالت منه الدم .

قالت فاطمة في غضب : يا عمر : إن كان الحق في غير دينك ، اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

اجتمع ندم عمر على ما فعله بأخته وما رآه من إصرارها، فأراد أن يطلع على ما كان يُقرأ .لقد عاد إليه الحنين الخفي للقرآن دون أن يدرى ، ولكن أخته قالت له في صرامة أنه نجس ودعته إلى الاغتسال أولاً ..

ورغم أن الشرط كان صعباً ومبالغاً فيه من وجهة نظر عمر ، إلا أن الغريب أن عمر استجاب لشرط أخته للمس الصحيفة وقراءة القرآن .. كأنما يشده القرآن شداً دون أن يدرى ..

اغتسل عمر وتخلص من الكبر والعناد وأصبح في أحسن حال لاستقبال كلام الله .. فأخذ الصحيفة ليلتقي مع القرآن في اللقاء الثاني والحاسم والتاريخي .. وقرأ عمر :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١-٢]

حتى وصل إلى قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [طه:١٤].

هنا فعلت الآيات الأفاعيل بعمر فقلبت مشاعره وأحدثت ثورة في أحاسيسه تجاه الرسول وتفاعلت مع نفسيته الصلبة الشديدة القاسية لتدفعه إلى أن يقرر أصعب قرار في حياته وفى حياة أي إنسان على الإطلاق..

تغيير العقيدة ..

الآن يسأل عمر عن محمد ﷺ لا ليقتله .. ولكن ليشهد أنه لا إله إلا الله وأنه رسول الله ..

انظروا ماذا فعل القرآن بعمر .. لقد تغير عمر من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ..لقد غير القرآن حياة عمر .. معتقداته وأفكاره وأسلوب حياته.

يا إخوة .. لهذا جاء القرآن .. التغيير.

هذا هو سر أسرار القرآن .. أنه يدفع النفس دفعاً إلى التغيير ..

ولكن كيف يغير القرآن .. هل كل إنسان يقرأ القرآن سيتغير .. أم أن هناك شروطاً للتغيير.

إن القرآن به خاصية الإمداد بالإيمان .. وهو أمر نشعر به جميعاً عندما نقرأ القرآن .. لا نعرف كيف يحدث ولكنه واقع وحقيقة لا ينكرها أحد إنه مثل الضوء الدافئ يتسلل إلى داخل نفوسنا فيشعرنا بالطمأنينة والهدوء والسكينة ..

في هذه اللحظة تشعر أنك في حالة أخرى تجعلك تتصرف تصرفات أفضل نسبياً من ذي قبل ، مثل عدم الغضب بسرعة والابتسام والهدوء والذوق في طلب الشيء والإقدام على الطاعة بسهولة وعدم تقبل المعصية ..

هنا قد دخل علينا شيء جديد .. اسمه الإيمان .. أو الطاقة الروحية لإنجاز الأشياء وهو عامل مهم جداً في التغيير .

يبقى عامل آخر هو حسن الاستقبال .. بمعنى أن تكون مهيأ للخشوع أثناء القراءة والشعور أن ما تقرأه هو كلام الله ينبغي قراءته بتمعن وإعمال ذهن وتدبر ..

إذن أنت قد حققت عاملين من ثلاثة عوامل للتغيير ..

الآن يبقى العامل الثالث والخطير :

الإرادة ...إرادة التغيير .. فبدونه لن يتحقق أي تغير لشخصيتك .: لابد أن يكون التغيير نابعاً من الداخل ومن فعل إرادتك ..

فإذا اجتمعت لديك هذه العوامل الثلاثة : ١ – حسن الاستقبال. ٢ – تحقق الإيمان. ٣ – توفر الإرادة.

هنا تأكد أنك تستطيع تغيير نفسك ..بل تغيير من حولك ..بل تستطيع أن تغير العالم..

إن الطاقة الروحية والإيمانية لدى المسلمين أمر يذهل غير المسلمين ، فهم لا يفهمون من أين يأتون بهذه القدرة الإيمانية العجيبة التي تجعلهم يصبرون ويتحملون مهما قاسوا من مشقة وألم ..

ولذلك كان المشركون أيام الدعوة يعتبرون أن الخطر الأول عليهم هو القرآن ..

لقد أدركوا أن القرآن له تأثيره على أهل مكة بالرغم من أنهم غير مسلمين .. ولذا كانوا أكثر ما يخشون من أن يسمع الكفار القرآن ، ولما فطن عبد الله بن مسعود لتأثير كلمات القرآن في الدعوة إلى الله أخذ يقرأه جهاراً وسط الناس ففزع المشركون فإنهالوا عليه ضرباً ، فتأكد عبدالله بن مسعود من صحة فكرته فعاود قراءته جهراً فعاودوا ضربه ..

كانوا يريدون أن يوقفوا هذا السيل الروحاني من الكلمات والمعاني التي ينطق بها القرآن وكأنهم يحاولون إيقاف طلقات رصاص موجهة إلى صدورهم .. فألقوا القصص حوله ليقولوا أنه كلام أساطير وخرافات وطلبوا من أنصارهم أن يقوموا بالشوشرة عليه في أي مجلس سمعوه فيه .. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فُصِّلَت:٢٦]

لقد أيقنوا أن مجرد تلاوة القرآن تجذب النفس الكافرة إلى منهج الله ..

ولذا فلقد كان القرآن الكريم وبالتحديد الآيات الأولى من سورة مريم هي التي أنقذت المهاجرين من دهاء عمرو بن العاص الذي ذهب إلى الحبشة ليقنع صديقه النجاشي بطرد المسلمين من أرضه فعندما طلب النجاشي من جعفر بن أبي طالب أن يقرأ شيئاً مما جاء به

محمد اختار بذكاء سورة مريم فقرأ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١] .. إلى أن وصل إلى قوله تعالى ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ **[مريم:٢٥].**

هنا بكى النجاشي حتى ابتلت لحيته وقال :

إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

اغتاظ عمرو بن العاص وشعر شعوراً مريراً بالهزيمة وأصر على أن يعود في اليوم التالي **إلى النجاشي رغم** اعتراض صاحبه عبدالله بن ربيعة ويلقى بورقته الأخيرة في قوة قائلاً :

أيها الملك .. إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ..

فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ..

هنا فزع المسلمون وأسقط في أيديهم .. لقد أوقعهم عمرو بدهائه في خلاف عقيدي لا **مناص منه .. فكيف** الحل ؟

ومرة أخرى كان الحل في القرآن فقال جعفر للنجاشي في ثقة : نقول فيه الذي جاء به **نبينا ﷺ :**

هو عبدالله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فقال له النجاشي : اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي ..

ولم يصل نصر المسلمين بالقرآن إلى هذا الحد .. بل أمر حاشيته أن يردوا على عمرو **وعبد الله هداياهما**، لأنه اعتبرها نوعاً من الرشوة .

لقد فعل بهم القرآن الأفاعيل ..

يا إخوة بين أيديكم كنز أهداه الله لكم دون غيركم .. نعمة إن أهملتموها حاسبكم الله **عليها يوم القيامة** .

ألم يحن الوقت لنبحث عن المصحف في بيوتنا لننفض عنه التراب .. تراب الغفلة **والإهمال ربما يقول** أحدنا .. ولكني لا أصلي أقول له اقرأ القرآن حتى ولو لم تكن تصلي..

ألم نتفق على أننا نحتاج أولاً إلى شحنة إيمانية تدفعنا للتغيير .. وستجد ذلك في كتاب **الله ، ربما يقول** آخر ربما يسخر مني أصدقائي .. أقول لك اقرأه سراً حتى تتماسك وتقدر **على الصلاة عندها** تستطيع الدفاع عن نفسك بحجة وإيمان ..

لابد أن نثق أن مخزوناً إيمانياً كبيراً استودعه الله في القرآن فإذا كان يؤثر في الكافر أفلا **يؤثر فيك أنت ..**

ولكي نقترب أكثر من كتاب الله تعالوا لسرد بعض الأحاديث الجميلة على لسان النبي ﷺ والصحابة

نريد أن نسمعها ونستشعر الإيمان فيها ونعقد العزم على إقامة روابط وثيقة بيننا وبين كتابه ..

أهل القرآن هم أهل الله

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل الله و خاصته»** (صحيح الجامع٢١٦٥).

حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»** (صحيح مسلم)

صاحب القرآن يرتقى في درجات الجنة بقدر ما معه من الآيات.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ **« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»**

فضل قراءة القرآن

ورد في فضل قراءة القرآن الكريم والحث على تلاوته وتدبره والتأثر به آيات وأحاديث وأقوال لسلفنا الصالح مثيرة جداً .

قال عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما : «لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن .. »

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين) . (صحيح الجامع ٨١٢٢) .

القرآن يقدم صاحبه عند الدفن

حديث جابر رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد (صحيح البخاري) .

نزول الملائكة والسكينة والرحمة للقرآن وأهله

حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»**. (صحيح مسلم) (يتلون كتاب الله ويتدارسونه) أي يتعاهدونه خوف النسيان .

مضاعفة ثواب قراءة الحرف الواحد من القرآن أضعافاً كثيرة

حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن : ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف** » (صحيح الجامع ٦٤٦٩) .

غبطة صاحب القرآن

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا حسد إلا في اثنتين ، رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار** » (البخاري ومسلم) الحسد المذكور في الحديث هو الغبطة .

حفظ القرآن خير من متاع الدنيا

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: « **أيكم يحب أن يغدو كل يوم بطحان أو العقيق فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم بالله ولا قطع رحم** » فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك فقال : « **فلئن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل** ». (أخرجه مسلم).

فضل بعض سور القرآن الكريم :

حدثنا عبدالله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدري :

أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن** » . (رواه البخاري).

عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: « **أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة** » فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله: فقال :" ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾". (رواه البخاري).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما** » (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفرت له، وهي: تبارك الذي بيده الملك**». (رواه أبو داود والترمذي وقال :" حديث حسن ، وفي رواية أبي داود: "تشفع ").

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» (رواه مسلم).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال**» وفي رواية: «**من آخر سورة الكهف**» (رواهما مسلم).

موقف الطلبة من قراءة القرآن

ورغم كل ما ذكرناه من فضل القرآن والحث على قراءته والاهتمام به ... نجد الطلبة وللأسف يهملون القرآن ويهجرونه هجراً شديداً، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان:٣٠]

ومن مظاهر هذا الإهمال:

١- عدم فتح الطالب للمصحف ربما طوال العام كله والاستثناء الوحيد يكون في شهر رمضان إن حدث .

٢- إهمال الطالب حتى لبعض الآيات المقررة عليه دراسياً كجزء من إهمال مادة التربية الدينية ولا يلتفت إليه إلا في نهاية العام .

٣- يزداد الأمر سوءاً عند بعض الطلبة حتى إنه ليصل إلى حد السخرية من الطلبة الذين يواظبون على قراءة القرآن واتهامهم بالدروشة .

لماذا يهمل الطالب قراءة القرآن ؟

١- البعد إيمانياً عن الله ومن يبتعد عن الله يبتعد عن كلامه ، والقرآن هو كلام الله عز وجل . وإذا كان معظم الطلبة يقصرون في الفروض كالصلاة فهل يذكر القرآن .

٢- عدم قدرة الطالب على قراءة القرآن قراءة صحيحة ، والفكرة الشائعة لدى الطلبة أنه من الحرام أن تخطئ في قراءة القرآن الكريم . وهو على العكس تماماً ، لما صرح به الرسول ﷺ في الحديث الشريف «**المؤمن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران أجر القراءة وأجر المشقة**» صدق رسول الله ﷺ .

توصيات لعودة الطالب إلى القرآن الكريم :

١- عقد النية والعزم على قراءة القرآن ولو بعض آيات يومياً ، حتى وإن كنت مقصراً في الصلاة وترتكب بعض المعاصي فلعل القرآن يكون بدايتك لهداية صادقة إن شاء الله .

٢- التغلب على وساوس الشيطان بالاتفاق مع مجموعة من الزملاء على قراءة القرآن عشر دقائق يومياً سواء في المدرسة في الحصص الاحتياطية أو في الفسحة أو في المسجد أو المنزل في الأجازة الصيفية .

٣- إذا تعذر الحل السابق جاهد نفسك في المواظبة على قراءة عشر آيات بصورة فردية يومياً.

٤- شراء مصحف صغير يسهل حمله في الجيب لإخراجه في وقت الفراغ في أى مكان في المدرسة أو الفسحة أو في وسيلة المواصلات .. إلخ والقراءة فيه ما استطعت .

٥- الاشتراك في حلقة قراءة القرآن وتعلم أحكام التجويد وهى حلقات تعقد في المساجد بصورة منتظمة أو سماعها في إذاعة القرآن الكريم أو في القنوات الفضائية .

ونختم بحديث النبي ﷺ:

«من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن». صدق رسول الله ﷺ.

***

محاكمة القبر

حديثنا اليوم عن أخطر محاكمة في حياة البشر والبشرية..

محاكمة إجبارية مصيرية لا يستثنى منها أحد مهما كانت ديانته ومهما كان سنه ومهما كان مركزه في الدنيا.. محاكمة تجرى حتى للصحابة والصالحين.. محاكمة سرية بلا موعد وبلا شهود وبلا محام .. حكمها نهائي بلا استئناف مهما توسلت وتذللت.. محاكمة مكانها تحت الأرض، زمانها خارج حدود الزمن تتم في غرفة ضيقة مظلمة موحشة...

يستطيع أن يتخيل الإنسان نفسه في محاكمة عادية كتلك التي نراها على شاشات التلفاز.. يقف فيها المتهم خلف القضبان ليستمع القاضي إلى أقواله ويدافع عنه محاميه بينما تحاول النيابة أن تثبت التهمة ويترقب الحضور ما يجرى حتى يصدر الحكم..

محاكمة طبيعية نعرف طقوسها وتفاصيلها وبدايتها ونهايتها..

لكن ما لا يمكن تخيله، هو ذلك الموقف الرهيب وأنت ممدد في صندوق خشبي مغلق عليك تلتصق بك جوانبه من جهات أربع..

الآن تقبع فيه في ركن من أركان المسجد والناس يتجمعون من حولك يفكرون في مصيرك.. وربما ينظر إلى نعشك أحدهم ويتساءل..

ترى كيف تتم محاكمته بعد أقل من ساعة.. هل سيصمد أم سينهار؟

هل سيلهم الإجابات الثلاث على الأسئلة الثلاثة..؟

هل كان يتوقع ذلك اليوم فيهون عليه ويطاوعه لسانه فيجيب؟....أم أن الإجابات ستخرج عفوية فتكشف حياته الحقيقية دون زيف أو مواراة..؟

هل كانت حياته من أجل الله؟ .. يراقبه في أفعاله وتصرفاته؟.. هل كان يؤدي الصلاة وباقي الفروض؟..هل كان يحفظ لسانه من الشتائم والغيبة والنميمة؟..هل كان باراً بوالديه معيناً لهما على مصاعب الحياة..

أم كانت حياته لاهية عابثة لا التزام فيها بدين أو خلق..

بعد قليل ستنكشف الحياة أمام عينيه..أمامه فقط..بعدها سيتحدد مصيره الذي قرره بيده طوال سنوات عمره...

الآن ستنزل إلى حجرة المحاكمة.. لن يستطيع أن يرافقك أحد في النزول للوقوف بجانبك في موقف يعلم أحباؤك وأقرباؤك وأصدقاؤك وكل القريبين منك أنه أصعب من أصعب موقف واجهته أو واجهه غيرك في حياته..

لن يستطيع أحد أن يلقنك الإجابة...ستواجه الموقف الرهيب المفزع المخيف وحيداً دون سند أو معين.. لن يقف بجانبك ويمنحك الصمود والقوة إلا أعمالك.. هي الوحيدة التي تستطيع أن تتحدث وتدافع أو تتحدث وتتهم..

كل ما يهم من حولك الآن أن يعطوك منحة وهبها الله لكل الناس..الصالح والطالح..المطيع والعاصي..العابد والفاجر.. (الجنازة)..

الآن سيتراص الناس يدعون من أجلك أن يخفف عنك ضمة القبر ويثبتك عند السؤال.. الآن تريد أن تصرخ تتمنى أن تعود إلى الحياة.... الآن تتمنى أغلى أمنياتك على الإطلاق... ليست الأمنية الآن أن تصبح ثرياً تنفق ما تشاء يميناً ويساراً دون حساب..

ليست الأمنية الآن أن تمتلك منزلاً جميلاً واسعاً مفروشاً بأرقى أنواع الأثاث..

ليست الأمنية الآن أن تكون لك زوجة جميلة أو منصباً رفيعاً أو شهرة واسعة..

ليست الأمنية الآن طلب الدنيا أو تحقيق شهوة..

الأمنية الآن أن يمنحك الله ساعة من الوقت أو حتى بعض دقائق تتوب فيها عن معصية وتستغفر لذنب..

لو خيرت أن تدفع ملايين الجنيهات ثمناً لهذه الساعة لفعلت...

لو خيرت أن تضحى بأولادك ثمناً لهذه الساعة لفعلت..

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج].

يا الله..ألهذه الدرجة تضمحل الدنيا أمام لحظة الحساب وتتلاشى أمام هول القبر..

لكن يا للأسف فلو تمنيت وتمنيت وتمنيت فلن يجيبك أحد..ولن يسمعك أحد.. تسمعهم ولا يسمعوك، تشعر بهم ولا يشعرون بك.. لقد انتهت الرحلة بلا رجعة...وبدأ الحساب بلا رجعة..

ستحمل الآن على الأعناق ليسير الناس بك في الشوارع ليطل عليك الناس لتكون عظة لهم.. الآن ستصبح أنت هدفاً لنظرة من أهل الدنيا على أهل الآخرة.. ترى هل ستكون حملاً ثقيلاً بذنوبك على من يحملك...

أم ستكون حملاً خفيفاً بحسناتك فيجرى بك الناس إلى روضتك المنتظرة لتبلغ أول منازل الجنة.

الآن يحملك الناس لتهوى إلى أول منازل الآخرة..

كان عثمان رضي لله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته فقيل له:

تذكر الجنة والنار ولا تبكى !! وتبكى من هذا ؟

قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منازل الآخرة. فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه.

الآن تسكن في حجرة انتظار صنعتها أنت بنفسك طيلة سنوات عمرك..فإن وجدتها واسعة مضيئة تفوح منها رائحة الزهور والرياحين فأبشر.. فلقد اجتهدت وهذا ثمرة جهدك..

وإن وجدتها ضيقة مظلمة منتنة...فلا تلومن إلا نفسك.. هذه الحجرة صنعتها أعمالك..في كل يوم تضع فيها لبنة..في كل يوم تضيف إليها شيئاً.. الآن يغلق عليك قبرك..

سينصرف الناس عنك ليعودوا ليستكملوا بناء حجرتهم

عن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال: يا إخواني لمثل هذا فأعدوا.

وأقول لكم مثلما قال رسول الله لأصحابه يا إخواني..لمثل هذا فأعدوا

الآن يغلق عليك قبرك... ستخفت الأصوات من حولك ويعم السكون..وتغير قوانين الحياة.. ستتبدل كل القوانين التي عرفتها في حياتك.ستغير أول ما يتغير قانون المساحة...

وستندهش أول ما تندهش بطريقة استقبال القبر لك ..

سيكون استقبالاً في غاية القسوة والشدة... سينضم عليك القبر ضمة عنيفة قاسية لن ينجو منها أحد..

ضمة شعر بها نبي الله محمد وهو يدفن ابنته زينب فاقشعر وجهه للحظات ثم عاد إلى طبيعته فسأله أصحابه: رأينا وجهك يا رسول الله تربد آنفاً ثم سرى عنك فقال النبي ﷺ:

ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها، وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين.

زينب بنت رسول الله بعد أن دعا الرسول ضمها القبر ضمة سمعها ما بين (الخافقين)

عن ابن أبى مليكة قال: لن ينجو من ضمة القبر أحد، ولا سعد بن معاذ الذي له منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها..

سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له عند وفاته..و حضر في جنازة هذا الصحابي الجليل سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض قط..

لا شك أن البداية تحمل الكثير من العنف لا يستثنى منه أحد..

حتى القاسم وإبراهيم ابنا رسول الله ﷺ.

وكان إبراهيم أصغر من القاسم

ألم جسدي وظلمة ووحشة كفيلة بأن تفقد أعصاب أكثر الناس هدوءاً وقوة في ضبط النفس..

وفى خضم هذا الضغط النفسي الرهيب تبدأ المحاكمة المصيرية بملكين ضخمي الجثة لهما صوت قوى مرعب ولهما عيون مضيئة يخرج النار من أفواههما ومنخاريهما ومسامعهما..

من منا يتمالك أعصابه في هذه اللحظة...من منا يستطيع أن يرتب أفكاره ويبقى ذهنه ليجيب على أسئلة ثلاث على بساطتها هي الأصعب والأخطر على الإطلاق.

من ربك ؟ ما دينك ؟ من الرسول الذي بعث فيك؟ وتكمن الخطورة أنها تحدد مصير المسئول ومكانه في الجنة أو النار.. وتكمن الصعوبة في أن إجابة الأسئلة لا ترجع إلى المعرفة والعلم والثقافة..

ليس لها علاقة بالمستوى العلمي للمسئول ولا بقدر قراءاته وإطلاعه.. إن الذي سيجيب على الأسئلة الثلاث.. أعمالك... ها هو قانون آخر من قوانين الحياة يتغير..

قانون الإرادة..

لقد تعطلت الإرادة فلم يعد لديك القدرة على الكذب أو التزييف.. وستخرج الإجابة الصحيحة رغماً عنك..

ألست معي أن هذه رحمة من الله..

ستظهر الآن ثمرة جهدك وطاعتك لله وصبرك على المعصية... ستجنى الآن ثمرة تحملك للأذى في سبيل الله..ستظهر الآن ثمرة صلاتك وصيامك وخلقك وتضحيتك وتنازلك عن الشهوة والمتعة الحرام .

قال رسول الله ﷺ:

«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم ..أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله تعالى به مقعدا من الجنة فيراهما جميعاً» .

قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره أربعون ذراعاً وقال مسلم سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون..

يا للفرحة..الآن تفوز..الآن تنتصر..الآن ترد على كل من كان يوجه إليك السخرية والانتقاد من التزامك وطاعتك وحرصك على القيم الأخلاقية وقيم الإسلام وتضحيتك من أجلها..

الآن يتحقق وعد الله لك..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾[الأحقاف]

الآن يتغير قانون آخر من قوانين الحياة..من أجلك..من أجل أن تفرح وتفوز بنعيم لا أول له ولا آخر..

يبدأ القبر في الاتساع. اتساعاً مهولاً لا تتخيله..مساحة من الأرض تستطيع أن تجرى فيها حتى تقف من أثر الجهد والتعب..

ليس هذا فحسب .. فستفاجأ بأن أرضك الجديدة ستنبت الزهور من كل الأنواع وتتحول إلى بستان جميل رائع فسيح .. وروائح ذكية تحيل المكان إلى جنة صغيرة..

وسأتركم مع رسول الله يحكي لكم بنفسه ما رآه في رحلة الإسراء والمعراج،ويبشركم بنعيم القبر فيصف ما يحدث للمؤمن بعد أن تخطى امتحان الأسئلة الثلاث فيقول:

فإذا قال ذلك (أي إجابات الأسئلة) ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعا له (أي الملكان منكر ونكير) حتى يستأنس إليهما أنس ما كان في الدنيا إلى أهل وده ويضحكان له ويقولان له: صدقت وبررت، أقر الله عينيك وثبتك، أبشر بالجنة وبكرامة الله ثم يدفع عنه قبره هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر،ويفتحان له باباً في الجنة، فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها في قبره ما يتعرف به كرامة الله تعالى، فإذا عرف ذلك استيقن بالفوز فحمد الله، ثم يفرشان له فراشاً من إستبرق الجنة ويضعان له مصباحاً من نور عند رأسه ومصباحاً من نور عند رجليه يزهران في قبره، ثم يدخل عليه ريح أخرى، فحين يشمها يغشاه النعاس فينام فيقولان له: ارقد كما ترقد العروس قرير العين لا خوف عليك ولا حزن.

ثم يمثلان عمله الصالح في أحسن ما يرى من صورة وأطيب ريح فيكون عند رأسه، ويقولان: هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك في أحسن ما ترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك في قبرك فلا تكون وحيداً ويدرأ عنك هوام الأرض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك في قبرك ولا شيء من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى..فنم سعيداً طوبى لك وحسن مآب ثم يسلمان عليه ويطيران عنه.

يا الله..أكل هذا من أجلك..

نعم..تستحقه..بما صبرت وبما آمنت وبما وثقت في وعد الله..

لقد دفعت الثمن.. والآن تحصد الجائزة..لم تر الله ولكنك وثقت في وجوده وقدرته ووعده..لم تر الرسول.ولكنك آمنت به وصدقت به وعملت بما أمرك به.

يقول تعالى في أول سورة البقرة :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة].

انظر إلى أول صفة من صفات المتقين..الإيمان بالغيب

يا إخوة.. إن امتحان الدنيا مبني على الإيمان بالغيب.. مبني على الاعتقاد بشيء لا تراه.. فأنت لم تر الجنة..ولكنك تعمل من أجل الفوز بها..ولم تر النار..ولكنك تعمل من أجل أن يعتقك الله منها..

ولقد سبق الصحابة الأوائل باعتقادهم هذا فكان لهم شرف السبق وعظم الأجر وأعلى الدرجات.. لقد ظل الكفار يسخرون منهم ومن عقيدتهم..وكم كانت هذه السخرية تؤذيهم نفسياً.. إنهم يؤمنون ويضحون من أجل أشياء لا يراها أحد ولا يشعر بها أحد..

وفى إشارة للرسول على معنى الثقة في الوعد بعد غزوة بدر يحكى لنا عمر بن الخطاب عن موقف للرسول في غزو بدر.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، أن رسول الله ﷺ قد ترك قتلى بدر ثلاثة أيام فقام عليهم فناداهم:

يا أبا جهل بن هشام،يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدكم ربكم حقا.....)

يا إخوة..ثقوا في الله وفى وعده..ادعوا الله في صلاتكم أن يثبتكم على الإيمان.. ابنوا كل يوم بأعمالكم الصالحة لبنة في قبوركم.

ثق أنك أنت الذي تبنى قبرك بنفسك.. بإرادتك أن تجعله جنة واسعة ملؤها الورود والزهور والأشجار.. بوسعك أن تعيش حياة مصغرة لحياة سعيدة في الجنة.. هل تعرف أنك تستطيع أن تزور أصدقاء لك دخلوا الجنة مثلك..

قال رسول الله ﷺ: «**حسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم**».

نعم تستطيع أن تزورهم..فتجلس معهم وتتحدث فتقلبوا ذكريات الدنيا معكم وتفرحون بفوزكم في الآخرة..

وتستطيع أن تتصل أيضاً بالدنيا فترد السلام على من يلقيه عليك

يقول النبي الكريم:

ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا وروحه في قبره إلا عرفه ورد عليه السلام.

ما أجمل حياة أعدها الله لعباده الصالحين.. وما أتعس حياة أعدها الله لعباده العاصين..

عذاب نعرف بدايته ولا نعرف نهايته..

يدخل العاصي قبره فيأتياه منكر ونكير فيسألانه من ربك: فيقول: لا أدرى.

فيسألانه ما دينك فيقول لا أدرى، فيسألانه من الرسول الذي بعث فيك ؟ فيقول: لا أدرى.. لقد أجابت أعماله إجابة صادقة معبرة عن حياته، فهو لم يعش في الدنيا يعرف شيئاً عن دينه فلا يقرأ ولا يتعلم ولا حتى يحب أن يسمع. ولم يعش في الدنيا يرجو رضا ربه بل كان يتفانى ويتفنن في معصيته ليل نهار

ولم يعش في الدنيا يقتدي برسول الله يسير على خطاه ويقدم ما يستوجب شفاعته يوم يلقى الله..

هو لم يعرفهم في حياته..فكيف يعرفهم بعدها..

لقد سقط في الاختبار .. وأصدرت المحكمة العادلة قرارها بعقابه..فينادى مناد من السماء: أن كذب.. فافرشوه من النار. وفى لمح البصر تفترش أرض القبر بالنار،ويفتح على القبر باب من أبواب جهنم فيأتيه منه حرها.. ثم يضيق عليه في قبره .. فيضغط القبر بقوته على جسده حتى تتحرك ضلوعه من مكانها فما كان في اليمين يصبح في اليسار وما كان في اليسار يصبح في اليمين.

بعدها يأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيبدأ في التهكم عليه والسخرية منه ليدخل به مرحلة الإيذاء النفسي فيقول له:

أبشر بالذي يسوءك..هذا يومك الذي كنت توعد.. فيقول من أنت فوجهك القبيح يجئ بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، ألم أقل لك أنت الذي تبنى قبرك في الدنيا يوماً بيوم..

فيدرك أن الأمر في غاية الخطورة..فإذا كان هذا هو حال عذابه في القبر..فكيف يكون ما ينتظره في الآخرة..فيصرخ بالدعاء والتضرع قائلاً:

رب لا تقم الساعة..

الآن تدعو الله فلا يستجيب لك.. الآن تتمنى فرصة لعمل صالح فلا تعطى الفرصة..

كانت حياتك كلها فرص..بالليل والنهار...في الصغر والكبر..

الآن انتهت الفرص..

فبالأمس كان عملاً بلا حساب..واليوم حساب بلا عمل.

يا إخواني..مروا على المقابر وقفوا عندها.. فما أقوله لكم الآن يحدث كل يوم تحت بصرك..إلا أنك لا تسمعه ولا تراه.. قف عند القبر فتخيل ما أقوله لك.وتخيل أنك تتوسل إلى الله أن يعطيك ساعة من الوقت تحسن فيها أعمالك وتنجو بها بنفسك بتوبة صادقة فلا يسمعك ولا يجيبك..

تخيل أصدقاءك يزورونك فيسلمون عليك فتصرخ لعلهم يخرجوك فيسمعوك..

وتخيل أن الله قد عاد بك إلى الحياة الآن..وأعطاك ما كنت تتمنى من فرص..فهل تستغل الفرصة..

يا أخي حساب القبر شديد فاعمل له ألف حساب وحساب..

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد (اللحد هو الشق الذي يكون في قبلة القبر موضع الميت) فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت (أي يضرب بطرفه الأرض ضرباً يؤثر فيها) فقال: **«تعوذوا بالله من عذاب القبر»**.

كان النبيﷺ يدعو في اليوم مرتين..مرة في الصباح وأخرى في المساء فيقول:

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر

وأخيراً أحذركم من أمور توجب عذاب القبر نسأل الله أن يبعدنا عنها:

١- عدم التنزه من البول فيكون على نجاسة بعد قضاء حاجته وهذه الصفة الرذيلة للأسف يتصف بها من لا يصلى وبالتالى لا يعرف معنى الاستنجاء أو يهمل تنفيذه لعدم التعود عليه، ولا يعرف أنه بذلك يكون دائماً على نجاسة غير طاهر كما أنه يكون بذلك معرض لأمراض شتى. وفى الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي ﷺ يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال: كان أحدهما لا يستنزه من بوله وكان الآخر يمشى بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فكسرها كسرتين ووضع على كل قبر منهما كسرة فقيل يا رسول الله لم فعلت هذا فقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا " صدق رسول الله ﷺ

٢- النميمة: وهى نقل الكلام بغرض الوقيعة بين اثنين أو أكثر فهي شائعة جداً في المجتمع ككل وفى مجتمع ثانوي خصوصاً.

٣- الغلول: ما أخذ من الغنيمة بدون وجه حق ويحدث ذلك في الحروب.

٤- الكذب: من أخطر الآفات التي يعانى منها المجتمع الآن فمن النادر أن تجد أحداً لا يكذب ويعد ذلك مزاحاً وترفيهاً مما يوقع في الذنب.

٥- هجر القرآن: أي عدم قراءته لشهور وسنين وهو الحادث اليوم فلقد أصبح وضع المصحف في المنزل للزينة والتبرك ولأنه بيت مسلم فقط وإذا اقتربت منه تجده يعلوه التراب.

٦- الزنى: وجزاء ذلك في القبر أن يضرب رأس صاحبه بالحجارة ويعذب بالتور وتوقد من تحته النار.

٧- الربا: معناه أن تقرض شخصاً ما قرضاً ثم تطلب منه أكثر منه عند الرد استغلالاً للظروف الملحة على هذا الشخص وجزاء المرابي في قبره أن يذبح بنهر من الدم ويلقم بالحجارة.

٨- الدين: عدم سداد الدين من الأمور الشائعة أيضاً في المجتمع وهو أمر يكاد يحدث لكل شخص (أي الدين) وليس شرطاً أن يكون مالاً فمن الممكن أن يكون كتاباً أو مذكرة امتحان أو قلم أو اسطوانة كمبيوتر، وهى أمور شائع استخدامها في المجتمع وخاصة مجتمع ثانوي، وجزاء من لا يسدد الدين أن يحبس عن دخول الجنة بسبب هذا الدين. إخوة.. استعدوا لبناء جنتكم في قبوركم...شيد بناء كما تحب..وسيخرج بناؤك جميلاً مهما كنت فقيراً معدماً فبيوت الجنة تبنى بالأعمال لا بالمال.

***

الإخلاص

- تعد قضية الإخلاص هي أخطر القضايا الإيمانية في حياة المسلم على الإطلاق، فهو الذي يزن الأعمال يوم القيامة، وهو الذي يوجه العمل فإن كان لله قبله وأثيب فاعله وإن كان لغير الله رفضه وعوقب فاعله.

وإن قياس الأعمال يوم القيامة لا يعتبر بالكثرة ولا بقدر العمل، قدر ما يعتبر بالإخلاص في العمل ذاته، فرب عمل صغير عظمته النية، ورب عمل عظيم حقرته النية.

ولخطورة القضية فإن العلماء عدوا حديث (إنما الأعمال بالنيات) بأنه يعدل ثلث الإسلام، يقول ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» صدق رسول الله ﷺ.

ومعنى أن النية تعدل ثلث الإسلام.. أن النية وحدها تساوى ثلث أي عمل يقوم به المسلم وثلثا العمل الباقي على إتقان العمل واستكماله لفروضه.. على أن العمل كله يسقط إذا سقط شرط النية.

معنى النية:

النية تعنى القصد، أي أنك تعمل عملاً معيناً بأي قصد، فالشخص الذي يخرج مالاً من جيبه ينظر هل يخرجه بقصد (بنية) إرضاء الله تعالى أم بقصد (نية) التفاخر أمام الناس. فالعمل واحد ولكن النية تختلف.

والمحارب الذي يدخل المعركة للقتال هل يدخلها بقصد (نية) إعلاء كلمة الله والدفاع عن الدين أم يدخلها بقصد (نية) أن يقال عنه بطل شجاع.

فالعمل واحد أيضاً، ولكن النية مختلفة. وعلى أساسها يحدد قبول الله لهذا العمل.

معنى الإخلاص:

تعددت معاني الإخلاص عند العلماء ولكنها جميعاً تصب في معين واحد.

هو أن تعمل العمل ابتغاء مرضاة الله لا مرضاة الناس.

فقيل في تعريفه:

- هو: إفراد الله سبحانه بالقصد في الطاعة.
- وهو: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.
- وهو: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.
- وهو: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.
- ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس.
- وقال الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده. ولا هوى فيميله.
- وهى مبالغة في عدم علم الآخرين بما يفعله المرء لله. حتى إن الملك الذي سخره الله لكتابة الأعمال لا يعلم بما فعل العبد لله.
- وقيل لسهل: أي شيء أشد على النفس ؟ فقال الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب.
- وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.
- وقال آخر: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

معنى الرياء:

الرياء هو عكس الإخلاص، وهو أن تعمل العمل ولا تقصد به وجه الله ورضائه، كأن تقوم بالعمل بغرض الشهرة والصيت والتفاخر.... إلخ.

استحضار النية

لكي يعود المسلم نفسه على توجيه نيته لله، ينبغي أن يقوم قبل أي عمل بعملية استحضار النية .

وهى عملية تسبق البدء في العمل بغرض توجيه النية أو القصد من هذا العمل لله فقط، وتخليصه من أي نية أخرى لا ترضى الله، مثل نية حديث الناس أو التفاخر أو الشهرة.. إلخ، وهى عملية غاية في الأهمية فبدونها قد يجهد الإنسان نفسه في العمل دون أن يأخذ أجراً من الله عليه.

دلائل الحث على الإخلاص في القرآن والسنة

يقول الرسول ﷺ:

١) **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»** صدق رسول الله ﷺ.

٢) وفي الحديث «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم وصوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وأشار بإصبعه إلى قلبه وقال: «**التقوى هاهنا**»، وأشار إلى صدره ثلاث مرات ، وفي حديث قدسي يقول الله عز وجل: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به وأنا منه بريء**».

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء، ويقاتل شجاعة، ويقاتل حمية: أي ذلك في سبيل الله فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» (رواه البخاري ومسلم).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البيّنة:٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

- النية تحول العادة إلى عبادة:

اعتاد المرء على أن يقوم بأعمال يومية، وما كان ليصل إلى ذهنه أبداً أنه من الممكن أن يؤجر عليها من الله بأي صورة، إلا أن نظرة الإسلام الشاملة إلى الحياة جعلت كل همسة وكل فعل مهما كان عادياً وبسيطاً من الممكن أن يوجه إلى الله فيجنى المسلم ثوابه وبركته.

ومن هذه الأعمال: الطعام والشراب والنوم واللعب والمرح والخروج إلى الرحلات والمذاكرة...... إلخ.

كل هذه الأعمال تستطيع أن تجعلها عبادة فتثاب عليها، إذا وجهت نيتك فيها لإرضاء الله عز وجل...

ولكن كيف ؟

مثلاً: توجيه نية الطعام والشراب: التقوية على عبادة الله.

- النوم: راحة البدن من أجل الاستعداد لعبادة الله في اليوم التالي وصلاة الفجر وسائر شئون الحياة.
- اللعب: تقوية البدن من أجل القيام بأعباء الدين وفى الحديث " **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** ".
- المرح والرحلات: التسرية عن النفس وراحتها وتنشيطها من أجل استعادة قوتك للقيام بتكاليف الدين.

- المذاكرة: خدمة المسلمين ونفع الغير بالتفوق العلمي وتحسين صورة الإسلام في وجوه زملائي وإرضاء الوالدين.

وهكذا تؤول نية أي عمل عادى وبسيط وصغير في النهاية إلى مرضاة الله عز وجل، فيثاب المرء عليها، وتنقى النفوس من الضغائن وتتحقق المصلحة للجميع وتفوز بالجنة.

اختبار النية:

الإخلاص من الأعمال القلبية التي ترهق المخلص وتجعله في حالة صراع مع النوايا الخبيثة يريد أن ينتصر عليها لإرضاء ربه والفوز بالأجر على عمله. ويزداد هنا الصراع مع بداية تدرب المسلم على الإخلاص، فيحاول معه الشيطان بشتى الطرق لإقناعه بأنه يقوم به رياء وليس لوجه الله، مما يرهق المخلص نفسياً، وربما يجعله يتخلى عن العمل خوفاً من أن تكون النية غير خالصة لله تعالى.

إلا أننا نذكر في هذا الشأن عدة ملاحظات للمخلص ليتغلب على شيطانه:

١- وجود صراع نفسي عند المخلص علامة قوية أنه يسير في الاتجاه الصحيح، وتشكك المسلم في إخلاصه دليل على أنه غير مرائي، وأنه يريد أن يصل إلى كمال الإخلاص.

٢- المرائي يعرف تماماً أنه مرائي من داخله. فلا يحدث بداخله صراع ولا تأنيب.

٣- الصراع الذي يدور بين المخلص وبين الشيطان تخف حدته مع تزايد مرات الصراع وبعد فترة يشعر المخلص أنه يستطيع أن يستحوذ على النية الصادقة المخلصة بسهولة ودون عناء.

٤- من المفيد أن يعقد المخلص اختباراً لنيته بغرض الوقوف على حالة إخلاصه بشيء من الدقة فيسأل نفسه هذه الأسئلة:

- هل لو لم يرني أحد وأنا أقوم بهذا العمل، سأقوم بهذا العمل؟
- هل لو لم يعرف أحد بما عملت، هل سأقوم بهذا العمل؟
- هل أستطيع ألا أخبر أحداً بهذا العمل بعد القيام به؟
- هل أستطيع أن أنسب العمل إلى غيري بعد القيام بهذا العمل؟

فإذا أجبت بنعم بصدق كانت النية خالصة لله.

وإذا أجبت بلا كانت النية لغير الله.

وإن كانت الإجابة غير محددة كان الإخلاص على قدر نفس الإجابة.

علامات عدم الإخلاص:

١- كثرة الحديث عن النفس.

٢- عدم القيام بالعمل إلا إذا رآه الآخرون.

٣- التوقف عن العمل إذا صادف الشخص رأياً لا يعجبه مثل انقطاع الشخص عن الصلاة إذا تعرض لسخرية زملائه.

ثواب المخلص:

١- قبول العمل. ٢- الرضا عن النفس.

٣- الهدوء والسكينة. ٤- نعيم الجنة.

دلائل من القرآن والسنة على فضل الإخلاص والمخلصين:

فعن أبي أُمامة أن النبي ﷺ قال: "**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**".

وعن أنس عن النبي ﷺ: "**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**".

وعن ابن مسعود وابن عباس والبراء مرفوعا: "**أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**" (رواه الطبراني).

ومن هؤلاء المخلصين: الأبرار الذين يطعمون الطعام لوجه الله، لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ [الإنسان].

وفي الحديث القدسي عن عبادة بن الصامت: "قال الله تعالى: **حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**".

ومن ذلك: الأحاديث التي تنوه بالمغمورين الذين لا يتبوؤن المراكز الاجتماعية المرموقة، ولا يتمتعون بصيت ولا شهرة.

كما في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: "**رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**" وفي رواية الحاكم: "**رب أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه له، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبره**".

وحديث ثوبان: أنه ﷺ قال: **إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه إياه، ولو سأله درهما لم يعطه إياه، ولو سأله فلسا لم يعطه إياه، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها**.

ومن الآثار في ذلك: ما كتب به عمر بن الخطاب إلى أبي موسى يقول: من خلصت نيته لله، كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس.

جزاء المرائي:

١- ضياع الثواب رغم الجهد المبذول في العمل.

٢- التوتر النفسي نتيجة للهفة انتظار إعجاب الآخرين. وحزنه إذا لم يجد الإعجاب المنتظر.

٣- الحقد والضغينة بين المرائي وغيره من زملائه في نفس المجال.

٤- الحزن الشديد إذا تعرض للنقد في أعماله.

٥- الجحيم في الآخرة.

أدلة من القرآن والسنة على جزاء المرائين:

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**" (رواه مسلم والنسائي، ورواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه، وكلاهما بلفظ واحد).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "**من سمع سمع الله به، ومن يراء يراء الله به**" (رواه البخاري ومسلم).

سمعَّ ـ بتشديد الميم ـ ومعناه: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في

عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: "**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**" (رواه الطبراني بإسناد حسن).

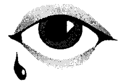
وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء: يقول الله ـ عز وجل ـ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا: هل تجدون عندهم جزاء"؟! (رواه أحمد بإسناد جيد، وابن أبي الدنيا، والبيهقي في الزهد وغيره).

وعن أبي علي ـ رجل من بني كاهل ـ قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب، فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لتأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون، فقال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: "يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل" فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: "قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه" (رواه أحمد والطبراني، ورواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح، وأبو علي وثقه ابن حبان، ولم أر أحداً جرحه. ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه: "يقول كل يوم ثلاث مرات").

***

الآن نتوب

أظن أنه مهما عصى الإنسان ربه وارتكب في حقه العديد والعديد من المعاصي فإنه لابد عليه أن يمر بلحظات يفكر فيها في الرجوع إلى ربه والاعتذار له..



أظن أنه مهما قسا قلب الواحد منا، ومهما علا شأنه في التجرؤ على الله .. سيقع أسيراً للحظات ينظر إلى ربه فيها بخجل ورجاء وطلب للعفو والمغفرة..

هذا الكلام يشهد به عشرات القصص عن تائبين وتائبات كانوا فى أعين الناس أبعد ما يكونون عن التوبة

رجال ونساء كنا نراهم يحترفون المعصية ليل نهار، بل ويدعون غيرهم إليها

شباب ارتكب كل ما يمكن ارتكابه من معصية وكأنه خلق ليعصى ربه لا ليطيعه..

حكايات و حكايات..

كلنا يعرف قصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً فإذا به يفكر في التوبة..

للوهلة الأولى سنقول لأنفسنا..كيف يجرؤ هذا المجرم على مجرد التفكير في الأمر.. كيف يجمح به خياله أن يفاتح شخصاً علم بارتكاب جرائمه برغبته في التوبة..

عندما سمع الناس في مكة بإسلام عمر.قال أحدهم مكذباً الخبر:

لو أسلم حمار الخطاب..ما أسلم عمر.

كانت سلوكيات عمر وتصرفاته في الجاهلية ترجح أن يتوب حماره عن توبته هو!!

لكن عمراً أسلم وأصبح رمزاً من رموز الإسلام ومثالاً للعدل والخشية من الله..

وقاتل التسعة وتسعين نفسا والذي أكملها بعد ذلك بالمائة تاب إلى الله توبة جعلت ملائكة الرحمة تتصارع عليه مع ملائكة العذاب عند وفاته حتى انتصرت وأدخلته الجنة..

ما الذي يجعل باب التوبة مفتوحا على الدوام مهما بالغ العبد في معاصيه وتكبر على الطاعة..

أعتقد أن الأسباب هي:

١- إن فطرة الإنسان تجعله في حاجة دائماً إلى رب..هناك لحظات لا يستطيع أحد أن يفهمك فيها إلا الله..هناك أسرار لا يمكن أن تحكيها لأحد مهما كان هذا الأحد قريباً منك، فلا تجد أحداً يسمعها منك إلا الله..هناك أمور تعلم تماماً إنها من الصعب وربما أجزم

الجميع أنها من المستحيل أن تتحقق، فتترك كل هؤلاء الناس وتلجأ إلى الله وكلك أمل وثقة فى قدرة الله..فهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء..

افترض مثلا أن أعطى المجرمين وأشد المذنبين الذي ظل سنوات وسنوات يعصى ويذنب ويجرم..قد مرضت ابنته أو ابنه مرضاً خطيراً أجمع الأطباء على عدم الشفاء منه..

ترى إلى من سيلجأ هذا الرجل في هذه اللحظة..سيلجأ إلى الله..ساعتها سيتوضأ ويصلى ويدعو بحرارة عابد متعبد..يا رب أنا احتاجك..فاشف لي ابني أو ابنتي.

٢- إن العاصي في قرارة نفسه غير سعيد بمعصيته، فهو يشعر دائماً أنه ملوث وغير نظيف وهو يتطلع يوماً ما إلى الطهارة.. كشخص ملابسه متسخة هو يراها طبيعية لا انتقاد عليه وهو جالس مع أصدقاء له يرتدون نفس الملابس المتسخة ذات الرائحة الكريهة، فلا أحد ينتقد أحداً فالجميع متساوون، أما عندما يخرج هذا الرجل من نطاق دائرته فيسير وسط أشخاص آخرين يرتدون ملابس زاهية نظيفة وتفوح منهم رائحة العطور، فإنه ساعتها يشعر بالنقص الذي لديه ويتمنى وقتها لو كان مثلهم..

مثال آخر: يرى المدخنون أنفسهم عاديين غير منتقدين وهم وسط أقران لهم يدخنون السجائر والشيشة، وبمجرد أن يخرج من هذه الدائرة ويحاول أن يدخن في ميكروباص، يفاجأ بلوم الناس له وانتقاده لأنه سيجلب لهم الضرر..

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى عندما يقول:

إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين..

قرن التوبة بالطهارة.. لأن التوبة في أصلها هي تطهير من الذنوب،فأنت بمجرد أن تعلن التوبة صادقة لله فإن الله سيغفر لك برحمته كل ذنوبك.. فتعود طاهراً نقياً لتبدأ صفحة جديدة في حياتك مع الله.

يقول الله سبحانه و تعالى في الحديث القدسي:

يا ابن آدم.. إنك ما دعوتني و رجوتني..غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك. يا ابن آدم إنك لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا.. لأتيتك بقرابها مغفرة.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:

من قال: «**أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه، وإن كان قد فر من الزحف**».

(رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم).

٣- إن الإنسان..أي إنسان على وجه الأرض.. خلقه الله وفى قلبه مساحة من الخير ومساحة من الشر، وليست العبرة بكبر المساحة ولكن العبرة باستخدام المساحة.. بمعنى أن الشخص الصالح لم يكن صالحاً لأن الله لم يخلق به شراً، بل لأنه استغل الجزء الخير وإن كان صغيراً فيه.. وعطل جزء الشر فيه وإن كان كبيراً..

أعرف شخصاً كان جزء الخير فيه حياؤه، كان أصدقاؤه في المدرسة دائمو الحديث عن البنات وحكايتهم وعلاقاتهم مع الطلبة داخل المدرسة، وكان هو يستمع لهم ولكنه لا يستطيع أن يتحدث في هذه الأمور إلا نادراً، وكان لا يجرؤ أن يحدث بنتاً، هذا الشعور أعطاه إحساس مستمر بأنه غريب عن أصدقائه، فهو لا يستطيع أن يجاريهم في أخلاقهم، وفى نفس الوقت هذه مجموعته التي تعرف عليها لأسباب معينة في المدرسة..

وظل كذلك فترة.. حتى دعاه شخص كانت علاقته به سطحية إلى حلقة مسجدية، كانت الحلقة من المغرب حتى العشاء، برنامج الحلقة كان عاديا جداً: قراءة قرآن ثم تفسير ثم دراسة بعض الأمور في الفقه..

شعر بعدها أنه في مجلس ملتزم لا يتحدث بلفظ خارج، لا أحد يسخر من أحد ، لا أحد يسب أحداً..

لقد تحرك جزء الحياء بداخله.. فبدأ في الانتظام في الحلقة حتى استطاع أن يكون صداقات جديدة.. ورويداً رويداً بدأ ينسحب من المجموعة القديمة ليصبح بعد عامين فقط شخص آخر بمفاهيم جديدة وأفكار جديدة وسلوك جديد.

أي إنسان عاصي.. به جزء خير لو أحسن إيجاده في بيئة تحركه، سينطلق الخير بداخله ويجد نفسه متجهاً إلى الله بسرعة كبيرة.

والعكس.. فإن جزء الشر الموجود بداخلنا لو وجد البيئة المناسبة لحركته ونموه..سينطلق في المعصية دون رادع.

في قصة عقبة بن أبي معيط وأبى جهل، كان أبو معيط به خير إلى حد ما، لدرجة أنه قرر أن يذهب إلى الرسول ليسلم عنده، كان الفاصل بينه وبين إسلامه يوم واحد، ٢٤ ساعة، لكن جزء الشر الذي بداخله، كان حبه لأبى جهل ، وعندما أبلغ أبا جهل نهره فتحرك جزء الشر بداخله فرجع عن قراره وبصق في وجه الرسول وكان من أشد الناس إيذاءً له..فكان مصيره النار.

بالتأكيد..في يوم من الأيام سيجد العاصي شيئا يحرك جزء الخير بداخله ويدفعه إلى التوبة.

٤- العبد مهما عصى ربه.. فهو موقن أن رحمة الله أعظم من ذنوبه، وأن مغفرته أكبر من جرأته عليه.. وأنه إن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت سيتسع بيت الله له..

في حكاية لأحد العارفين..إنه رأى في بعض السكك باباً قد فتح، وخرج منه صبى يستغيث ويبكى، وأمه تجرى خلفه حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فمشى الصبي مسافة، ثم وقف يفكر. أنا مهما سرت سأضطر في النهاية إلى البحث عن بيت أبيت فيه، فلم يجد إلا منزله الذي خرج منه، فرجع مكسور القلب حزيناً فوجد الباب مغلقا فوضع خده على عتبة الباب ونام، فلما فتحت أمه الباب ووجدته على تلك الحال لم تتمالك نفسها فبكت ورمت نفسها عليها تقبله وهى تبكى وتقول: يا ولدى.. أين تذهب عنى..ومن يأويك غيري؟ ألم أقل لك لا تخالفني ولا تجعلنى بمعصيتك لي أظهر لك القسوة..وأنا الذي خلقني الله لرحمتك..ثم أخذته في حنان ودخلت به إلى داخل البيت.

يا أخي..عد إلى الله فليس لك أحد سواه.. مهما ابتعدت فلن تجد مأوىً إلا أرض الله ولن تجد رحمة وعفواً إلا رحمته وعفوه..

وسيستقبلك الله استقبالا جميلاً فرحاً بعودتك إليه.. فالله يفرح أشد ما يكون الفرح بتوبة عبده، ويعلمنا النبي ﷺ ذلك المعنى في قصة جميلة شهيرة..تعالوا نسمعه..

يقول النبي الحبيب ﷺ:

إن رجلاً كان مسافراً في الصحراء ومعه دابته عليها طعامه وشرابه ولكنها أفلتت منه وهربت ولم يلحق بها.. فأيقن الرجل بالهلاك حتى إنه حفر لنفسه قبراً ونام فيه حتى إذا أدركته الوفاة كان مكرماً مدفوناً وبينما هو كذلك إذا براحلته تقف عند رأسه وعليها ما عليها.. فيفرح الرجل بالنجاة ويقوم ليشكر الله سبحانه وتعالى ومن شدة تأثره وانفعاله يخطئ فيقول:

اللهم أنت عبدي وأنا ربك.. من شدة الفرح.. فالله سبحانه وتعالى أكثر فرحا بالعبد التائب من هذا الرجل....

ليس هذا فحسب..

فالله عند عودتك أليه لن يؤنبك أو يعاقبك أو يهين كرامتك أو يفضحك بين الناس. بل سيحافظ الله على سرك

اسمعوا معى هذه القصة

انقطع المطر لفترة حتى شكا بنو إسرائيل من العطش فرفع سيدنا موسى يديه إلى السماء طالباً من الله السقيا... وتضرع سيدنا موسى ولكن الله لم يستجب.. فتعجب النبي الكريم قائلا:يا رب عودتني الإجابة فقال تعالى: بينكم عبد يعصاني من ٤٠سنة فبشؤم

معصيته منعتم المطر من السماء..أخرجوه من بينكم حتى ينزل المطر.. فالتفت سيدنا موسى إلى قومه منادياً أن بينكم رجلاً يعصى الله من ٤٠ سنة ولن تمطر السماء حتى يخرج من بيننا... والرجل بينهم يعرف نفسه.. وانتظر أن يخرج غيره فلم يحدث... فجلس وحده يتضرع إلى الله.. يا رب إنني لو خرجت افتضح وسط أهلي ولو بقيت بينهم ماتوا من العطش.. يا رب استرني وأنا سأتوب إليك..من هذه اللحظة أنا تبت يا رب عن المعاصي فاسترني يا رب.... فنزل المطر غزيرا..غزيرا.. فرفع سيدنا موسى يده مرة أخرى قائلا يا رب هذا المطر ولم يخرج أحد فقال تعالى نزل المطر بتوبة عبدي الذي كان يعصاني... فقال سيدنا موسى: دلني عليه يا رب...فقال تعالى:

سترته وهو يعصاني.. أفأفضحه بعد أن تاب.

أرأيتم كيف يحبنا الله ويحترمنا..نحن نحتاجه ونضايقه ونعصاه ونغضبه وهو لا يزال يعطينا الفرصة تلو الفرصة.

يقول الله تبارك و تعالى في الحديث القدسي:

إني و الإنس و الجن في نبأ عظيم.. أخلق و يعبد غيري. أرزق و يشكر سواي. خيري إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد. أتودد إليهم برحمتي و أنا الغنى عنهم. ويتباغضون إلى بالمعاصي وهم أفقر ما يكونون إلى. أهل ذكرى أهل مجالستي. فمن أراد أن يجالسني فليذكرني.. أهل طاعتي أهل محبتي.. أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي.إن تابوا إلى فأنا حبيبهم. و إن أبوا فأنا طبيبهم..أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب...من أتى منهم تائبا تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عنى ناديته من قريب. أقول له: أين تذهب؟ ألك رب سواي؟ الحسنة عندي بعشر أمثالها وأزيد. و السيئة عندي بمثلها و أعفو. و عزتي وجلالي لو استغفروني منها لغفرتها لهم.

يا إخوة..الله ليس في حاجة إلينا..نحن الذين نحتاج إليه.

نحن الذين تنقصنا الشجاعة أن نقف أمام أنفسنا فنواجهها بأخطائها ونعدد لها معاصيها..

نحن الذين تنقصنا الإرادة أن نقول لأنفسنا..لا.

نحن الذين أدمنا الهزيمة أمام الشهوات وتعودنا الانكسار أمام الملذات.

نحن الذين نقول للمعصية مرحباً.. أهلاً وسهلاً..تعالى إلى حياتنا..سنرعاك ونجملك ونتبعك.

نحن الذين نقول للطاعة..لا مرحباً..ولا أهلا..ابتعدي عن طريقنا فنحن لا نحبك..

ألم يأن الأوان للتوبة يا إخوان..

ألم تتراكم علينا المعاصي كالجبال..ألم تتكاثر علينا الذنوب فهجمت علينا من كل اتجاه..

نحن نحتاج إلى التوبة من ترك الصلاة.سنوات وسنوات نهمل الصلاة وكأن الأمر لا يعنينا.. وكأنه من المفروض أن شخصاً غيرك سيصلى ويحاسب..

نحن نحتاج إلى التوبة عن الفحش في القول وأحاديث البنات والنهش في لحوم الناس بالغيبة وإيقاع الفتنة بين الناس بالنميمة..

نحن نحتاج إلى التوبة من النظر للنساء في الشوارع وملاحقة العرى في الفضائيات ومواقع الإنترنت...

نحن نحتاج إلى التوبة من استخدام التكنولوجيا السيئة في نشر المعصية والفجر عن طريق الفيديو والكمبيوتر، وإقامة علاقات بين الشباب والفتيات عن طريق المحادثة الإلكترونية..

نحن نحتاج إلى التوبة من رفع الصوت أمام الأب والأم وتجريحهم بكلمات قاسية ومعاملتهم بجفاء وإهمال رغباتهم والتقصير في رعايتهم..

نحن نحتاج إلى التوبة من الحسد الذي يتمنى أن يوقع المصائب بالآخرين، والحقد الذي يكره نجاح الأصدقاء وتفوقهم..

يا إخوة.. نحن نحتاج إلى التوبة من قلة التوبة..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (رواه البخاري).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: **«رب اغفر لي، وتب على إنك أنت التواب الرحيم»** (رواه أبو داود والترمذي).

يا أخي..لا تظن أن التوبة للعاصي فقط..إن التوبة للصالح أيضاً.

يقول الله تعالى في سورة النور: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

الله يريدنا أن نتوب جميعاً..حتى وإن كان الرجل عالماً عابداً متعبداً..يريد الله منه أن يتوب..

لماذا؟

لأن الله كتب علينا الذنوب.. لماذا؟.. لنتوب إليه.. ماذا نستنتج من هذا؟

أن الله يتوقع منا الذنب - فهذا طبيعي- لينتظر منا التوبة.. والأمر الطبيعي أن نذنب ونتوب ثم نذنب ونتوب..

والكارثة أن نذنب ثم لا نتوب..فساعتها يأتي الهلاك في الدنيا والعقاب في الآخرة.

وفي الحديث الشريف: "لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم غيركم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم".

الطريق إلى التوبة

ولكن كيف الطريق إلى التوبة.. وبصورة عملية ؟

قبل أن نشرح الوسائل العملية لشخص أراد بالفعل أن يتوب ويغير مسار حياته،نود أن نقسم من يسمعنا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول- لا يريد أن يتوب.. فهؤلاء لم يتحرروا بعد من سجن المعصية..وهؤلاء ليس لنا حيلة معهم إلا الدعاء. وهم ليسوا محل حديثنا الآن.

القسم الثاني- يريد أن يتوب ولكنه ذو شخصية لا تتصف بالقوة ويعمل ألف حساب لزملائه وتعليقاتهم ويفقد مرونة التصرف مع المجتمع بعد إقدامه على التوبة..هذا النوع من الممكن جداً أن تحدث له انتكاسة، ولكن مشكلته لها حل سنذكره بعد قليل.

القسم الثالث- يريد أن يتوب وله شخصية قوية تجعله يجيد الرد بحكمة وبعزة على تعليقات زملائه ويمتلك من المرونة ما يمكنه أن يتكيف مع المجتمع بصورته الجديدة دون التنازل عن مبادئه.

نبدأ في الحديث عن خطوات التغيير:

١- إرادة التوبة أو إرادة التغيير.

لابد أن يكون هناك صدق داخلي في الرغبة في التغيير، ولا بد أن يتبع هذا الصدق عزيمة وإصرار وجهاد نفس وصبر وتوقع وتحمل لبعض المشكلات والعقبات التي غالباً ما ستحدث أثناء وبعد إتمام عملية التوبة.. هناك أشخاص يظهرون فقط أن لديهم رغبة في التغيير، إلا إنهم في قرارة أنفسهم لا يريدون التغيير.. أو أنهم شخصيات من طبيعتها الاستسلام السريع وبمجرد أن تظهر أمامهم مشكلة يصابون بالانهيار ثم يبررون لأنفسهم الفشل قائلين: لقد حاولنا أن نتوب ولكن الله لا يريد.

٢- إعلان التوبة من كل ذنب كبير أو صغير، وعقد النية على عدم العودة إلى المعاصي أبدا، وإرجاع الحقوق إلى أهلها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٣- قلل من تواجدك بقدر الإمكان مع أصدقائك الذين يؤثرون عليك تأثيرا سيئاً.. تجنب مقابلاتهم أو الحديث معهم لفترة أسبوع على الأقل بأعذار مقبولة.

٤- ابدأ فوراً في البحث عن صديق ملتزم حتى وإن كان هذا الشخص معرفتك به غير وثيقة إلى حد ما.

٥- صارحه بأنك قد نويت على الالتزام في الفترة القادمة وأنك تريده أن يعينك على ذلك.

٦- اتفق معه على عقد لقاء يومي أو أسبوعي (حسب ظروفكما) لقراءة القرآن ودراسة الموضوعات الخاصة بتزكية النفس وأحاديث الجنة وأحوال الآخرة والحساب المتبادل بينكما على أداء فريضة الصلاة.

٧- إذا كانت المسافة بينكما قريبة في السكن.. اتفقا على الصلاة معاً في المسجد. بحيث يمر عليك عند كل صلاة إن أمكن.

٨- احذر من السلبية الإيمانية: بمعنى أن لا تكتفي بالجوانب التعبدية فقط.. فلابد أن يخرج هذا الإيمان ليتفاعل مع المجتمع، فتوظفه لخدمة الدين والناس والحياة، ويكون هذا باختيار أحد المجالات التي توظف فيها إيمانك مثل:

أ- العمل الخيري:

الجمعيات الخيرية في محيطك، هل فكرت يوما في العمل التطوعي ومساعدة الآخرين من خلالها؟ هل فكرت في السعي لقضاء حوائج الناس في مجتمعك؟ ابحث عن هذه المؤسسات وعن هؤلاء الناس، وبادر بالعمل معهم؛ فستجد من خلالهم أبواباً للخير كثيرة بإذن الله.

فهذا مريض قد تساعد في توفير العلاج المجاني له، وهذا طالب قد تشرح له بعض المواد الدراسية التي تجيدها، وهذا يتيم يحتاج إلى من يكفله، أو حتى مجرد من يسأل عنه أو يصاحبه، أو يصحبه في نزهة كما يفعل معظم الآباء مع أبنائهم، أو يعلمه سورة من القرآن، أو يساعده في شراء بعض مستلزماته الدراسية أو المعيشية، وغير ذلك الكثير من أبواب العطاء المعنوي والمادي. فلن تعدم العطاء وطالبوه كثر في مجتمعاتنا.

العمل الدعوى: مثل:

١- دعوة زملائك لإقامة حلقة مسجدية لقراءة القرآن.

٢- الاشتراك في الأنشطة الطلابية في المدرسة أو الجامعة حسب إمكانياتك ومواهبك.

٩- اجتهد أن تتزود من مجالس العلماء.. احضر محاضراتهم واسمع أحاديثهم وتابعهم في الفضائيات..فالعلماء والدعاة الآن هم نور الأمة في هذا الظلام الدامس.

١٠- احذر من الفراغ فهو شيطان المعصية..وتذكر دائما: إن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

١١- احذر من الصحبة السيئة والعزلة.. فإن الصحبة السيئة تدعوك إلى الخروج من جنة الطاعة إلى جحيم المعصية (فلينظر أحدكم من يخالل)، والعزلة تجعلك قريباً من الشيطان (الشيطان قريب من الواحد..من الاثنين أبعد).

١٢- تذكر دائما وصية الحبيب ﷺ: **أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**.

نأتي لحل مشكلة القسم الثاني الضعيف الشخصية نوعاً ما: نقول له أن يلتزم بالعشر نقاط السابقة بالإضافة إلى إجراء صعب إلى حد ما ولكنه ضروري.

هذا الإجراء يتلخص في أن يصارح صديقاً ملتزماً أو شخصاً ملتزماً يوافق على التعاون معه في حل مشكلته وتأثير زملائه عليه، ويطلب منه أن يواجههم معه ويدعوهم إلى مسألة الالتزام في نقاش يتكرر عد ة مرات..

فهناك احتمالان:

إما أن تلتزم المجموعة وتحل المشكلة وإما أن تشعر أنها تتعرض لهجوم يشعرها بالخزي فتنكسر شوكتها أمام صديقنا التائب فيتقوى هو عليهم، وبمرور الوقت سيتقدم هو خطى في الالتزام تزيد من مقاومة التأثير الخارجي السيئ لهم ولغيرهم.

وأخيرا ستواجه من يريد التوبة عقبات نريد أن ننبه إليها..

عوائق في طريق التوبة:

١- سخرية الزملاء:

من أصعب العوائق التي يواجهها التائب في طريق التوبة، ففي الوقت الذي يكون الطالب قد بدأ يسلك طريق الله ويعود إليه، بما يوجب على زملائه أن يحمدوا له ما فعل ويشجعونه على ذلك، فإذا به يجد هجوماً عنيفاً من كل اتجاه من ألفاظ لاذعة يلقيها عليه أصدقاؤه كلما قابلوه، وفى بعض الأحيان يواجه هذه السخرية من المنزل من الأب أو الإخوة، الذين يظلون يذكرونه بأخطائه السابقة، مما يشعر التائب بالمرارة والأسى، فإذا لم يتسلح بالصبر سقط وعاد إلى ما كان عليه.

٢- عدم الاستمرار لضعف الحماس:

قد يضعف حماس التائب في منتصف الطريق لعدم وجود تشجيع من أحد، أو عدم القدرة على مقاومة الشهوات، أو حدوث مشكلة يصعب تحملها مثل المشاكل الأسرية أو الدراسية فتضعف معنوياته ويتوقف عن السير في طريق التوبة.

٣- العودة إلى ارتكاب ذنب قد أقلع عنه:

قد ينهار التائب فجأة ولا يستطيع التحكم في نفسه فيعود لنفس الذنب الذي تركه، فيحزن لذلك ويتألم ويستسلم لفشله، وييأس من التوبة، ولكن الله يعلم زلات النفوس فيفتح لها باب التوبة مجدداً حتى وإن كان نفس الذنب، حتى وإن تكرر مرات ومرات، المهم أن تكون التوبة كل مرة بنية عدم الرجوع إلى الذنب.

انتهى حديثنا.. ونأمل أن يبدأ عملكم.. إن الله ينتظركم لتعودوا إليه.. فلنبدأ طريق العودة من الآن.

اللهم تب علينا واقبل توبتنا..اللهم آمين.

***

الموت

يهرب الشباب من ذكر الموت كما يهرب الطلبة من ليلة الامتحان...

إنه لا يريد أن يتذكره..ولا يريد الحديث فيه..

لا يريد أن يسمع عنه أو يراه...لا يريد أن يسير في طريق به جنازة..أو يدخل في جانب من حي امتلأ بالقبور.أو يمرر بصره على صفحة جريدة تنبئه بأخبار من سبقوه إلى عالم الموتى والحساب..

إنه يريد أن يهرب من الحقيقة.. والتي يوقن أنها الحقيقة..

اختلف الناس عبر سنوات الحياة على واهب الحياة وخالق الكون..الله..

ولم يجرؤ أحد أن يشكك في قبض الحياة..

الحقيقة التي لا يختلف عليها أحد مع أحد ولا يشكك فيها أحد أحداً..

الحقيقة التي نحاول الهروب منها كل يوم..فنقترب منها كل يوم..

رغماً عنا مهما حاولنا.. لو أفلح أحد في الهروب منه لأفلح طغاة ملكوا الحياة أو ظنوا أنهم ملكوها..

لو أن فرعون وجد طريقا لذلك لفعل.. لو أن هامان توصل إلى حيلة لذلك لاستأثر بها من دون العالمين.. لو علما أن بناء الحصون والأبراج سينجيهما من قضاء الله لفعلا دون تردد..

ولكن قول الله نافذ..

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨] .

في كل لحظة كانوا يتمتعون بها بنعيمهم اللا محدود وجبروتهم اللا نهائي.. كان الهاتف يدق عقولهم في كل لحظة.. إن كل هذا يوماً ما سينتهي.. حتما سيزول

سينتهي النعيم والبذخ والحرية والسلطة والملك والعز والقوة وكل شيء..

ويبدأ الحساب.

يحسب الشباب والطلبة كل شيء بدقة إذا تعلق الأمر بمتعة أو شهوة أو نزوة..

أو ما يتعلق بالدنيا.. ويخطئ الحساب والحسابات عندما يتعلق الأمر بالآخرة..

تتملكنا الرهبة من الحساب.. فهل ترانا قد حكمنا على أنفسنا بالفشل.. أم ترى أننا قد عقدنا العزم على البعد عن الله..

أم ربما عقدنا عقداً مع المعاصي لأجل لا ينتهي ولا يريد أن ينتهي.. وسينتهي..

أم أننا أيقنا أن الشباب والحياة على نقيض مع حتى مجرد التفكير في الموت والإعداد له..

فالحياة نشاط وبهجة وفرحة وعمل وإنجاز.. والموت سكون وحزن وغم وسكون.

يا إخواني.. إنني أصرح لكم بكل قوة وصدق .. أن ما تعتقدونه منذ زمن .. غير صحيح..

وأن الإسلام ما جعل الموت إلا دافعاً للحياة والعمل والإنجاز..

فالذي لا يحاسب لا يخاف ولا يعمل ولا ينجز ولا يتفوق..

وتذكر الموت لا يعنى أننا سنسير نبكي في الشوارع أو أننا نسكب دموعنا على سجاجيد الصلاة.. بل يعنى أننا متيقظون لأنفسنا منتبهون لأعمالنا مراقبون لله في أفعالنا..

نفعل ذلك ربما ونحن نضحك أو نجرى أو نكتب أو نتكلم أو نتزوج..

إننا نريد أن نذكر الموت لنذكر الله الذي ينظر إلى أعمالنا في كل لحظة فيعطيك الجزاء ثواباً أو عقاباً..

نريد أن نتذكر الموت لا لنتذكر العذاب والقبر فقط بل لنتذكر الجنة والنعيم

تعالوا نخاف من العقاب شيئاً.. لنعمل لله..

ونحلم بالثواب شيئاً.. لنعمل أيضاً لله..

الموت جزء من رحلة وليس نهاية الرحلة

مسكين الكافر.. يظن أن الموت فناء.. وأنه ليس له نصيب في الدنيا إلا عمره.. خمسون عاماً أو ستون أو سبعون... فيظل يعيش للحياة من أجلها ينهل من متعها قدر ما يستطيع، وكلما فاتته ساعة حزن عليها وكلما زاد عمره عاماً انتقص من سعادته..

إنه يظن ذلك..لا حياة بعد الموت..فلا حساب ولا عقاب ولا ثواب.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾[التغابن]، وقال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[يس].

عقيدتنا تعلمنا غير ذلك..تنبئنا أن الحياة جزء من حياة طويلة بعد الممات تبدأ برحلة القبر ثم البعث ثم الحساب ثم الجنة أو النار..

عقيدتنا تعلمنا حكمة الله من الخلق والوجود.. الاختبار..الابتلاء..الامتحان..

عقيدتنا تعلمنا أنه من المستحيل أن يظلم الظالم دون عقاب ويمر العاصي دون حساب..

من المستحيل أن يكون المؤمن والكافر سواء، والقاتل والمقتول سواء، والظالم والمظلوم سواء، والطائع والعاصي سواء، وتارك الصلاة والمصلي سواء..

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

عقيدتنا تجبرنا أن نفكر فيما نقول ونفعل.. وأن نظل ننظر إلى السماء قبل كل منام فنحدث الله حديثاً خافتاً..

يا رب إن كنت قد أحسنت فزد في إحساني..وإن كنت قد أسأت فتجاوز عن سيئاتي.

يا رب قد تكون هذه آخر ساعاتي في الحياة وأول لحظات لقائي بك..فلا تجعل آخر ساعاتي شراً..واجعل أول لقائي بك خيراً..

يا لها من لحظات مخيفة ورهيبة.. لحظات الموت وفراق الحياة..

شعور رهيب بالوحدة رغم عشرات الناس من الأحباب حولك..لكنك ستموت وحدك.

شعور رهيب بالخوف وشريط ذكريات حياتك يتراءى أمام عينيك بكل دقة وصدق..

لا هروب..لا تملص..لا إنكار...كل ما ارتكبته من أخطاء أمامك.. كل ما اقترفته من معاصٍ تراه بوضوح ولو من سنوات وسنوات..

تقصير الصلاة..الغيبة..النميمة..الشتائم..سخريتك من زملائك.. ظلمك لوالديك.. مجافاتك لإخوتك..

لن تتذكر من شريط حياتك إلا هذا فقط.. لن تستطيع الذاكرة أن تلحق بأحداث الفرحة والمتعة وأوقات اللذة والسعادة..

لقد هدمها الموت...هادم اللذات..

لقد حطمها تماماً فلم يعد يبق منها شيء حتى لتذكره..

صدقت يا رسول الله..

(أكثروا ذكر هادم اللذات)

لقد هدم الموت كل لذة كما يهدم الزلزال البنايات فلا يبقى منها إلا أنقاض..

الأخطاء فقط..والمعاصي فقط هي التي ستظل عالية شامخة تنظر إليك بقسوة و تنذرك بالوعيد.

بالأمس كنت تفعلها بكامل إرادتك.. واليوم تريد أن تتسول يوماً أو ساعة تصلح بها بعضاً مما أخطأت.

لكن الوقت لا ينتظر.. والأجل تدق ساعته.. ويقترب منك الموت بسكراته **فيهاجمك..**

آه..سكرات الموت..هل أحدثك عن سكرات الموت

روي عنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم أنه قال:

«لم يلق ابن آدم شيئاً قط قد خلقه الله عز وجل أشد عليه من الموت».

وعندما أراد الرسول الكريم أن يوضح لنا قسوة الموت وشدته قال هو قدر ثلاث مائة ضربة بالسيف ..

ربما ارتجف بدنك الآن واقشعرت جوارحك وأنت تشعر بملك الموت يطارد روحك حتى تخرج من جسدك..

جسدك الذي سيصبح في أضعف حالاته مهما بلغت قوته.. لن يستطيع أشد الناس فتوة وقوة أن يتحرك..

يعصره الألم يريد أن يصرخ فيسمع العالم.. فتخرج الصرخة أنيناً مكتوماً..

يريد أن يصف لمن حوله محنته وأزمته..ما يراه وما يشعر به دون جدوى..

الآن لحظة فاصلة حاسمة جازمة.. الآن ترى مكانك في الجنة أو موقعك في النار..

يا لها من لحظة يتقلب فيها القلب تقلباً رهيباً مفزعاً مرعباً..

إنها كما وصفها النبي ﷺ:

«لقلب ابن آدم أشد تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانه».

وعند قمة القلق والتوتر والخوف.. يأتي الشيطان بجنوده ليجهز عليك في جولته الأخيرة معك ويحاول أن يلهيك عن الآخرة وقول لا إله إلا الله لتتذكر الدنيا..

لتتذكر الأموال والميراث والبيوت... أي شيء أي شيء.. إلا الله..

أعرفتم لماذا كان الرسول يكثر من قوله: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**

يا إخواني هل تدعون هذا الدعاء..

إن أفضل الخلق وسيد الخلق كان يكنز آلاف الدعوات لمثل هذا الموقف..فهل اكتنزت أنت بعض الدعوات..

(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)

ستحتاجها كما احتاجها ملايين قبلك ثبتهم الله فتخطوا اختبار الحياة وفازوا بنعيم الآخرة. ستحتاجها كما احتاجها خيرة الصحابة وأئمة العلماء

عندما كان يحتضر الإمام أحمد بن حنبل، أخذ ولده وتلاميذه يلقنونه الشهادة قائلين:

يا إمام..قل لا إله إلا الله..

فوجئ الحاضرون بأنه يقول: لا..ليس الآن، بعدها أغمي عليه ثم أفاق فسأله أحدهم في عجب ودهشة:

يا إمام..نلقنك كلمة التوحيد وتقول: لا لا ليس الآن ؟ !..

فقال الإمام أحمد:

والله إن كلمة التوحيد يخفق بها قلبي وما غفل عنها طرفة عين ولكن اعترضني إبليس وقال أفتني يا إمام فكنت أقول له لا ليس الآن

يا الله.. إبليس لديه الجرأة أن يعترض رجلاً تقياً نقياً ورعاً عالماً عابداً متعبداً مثل الإمام أحمد بن حنبل..

إبليس لديه أمل حتى اللحظة الأخيرة أن يصرف الإمام عن دينه.. فيجعله من أهل النار

يا ترى.. ما أمل إبليس في أن يصرفك عن دينك لحظة الاحتضار ليضيع حلم حياتك بالفوز بالجنة

يا ترى..هل تكفيك طاعتك أن تقاوم ضغط الشيطان في تلك اللحظات القاسية..

أم أن معاصيك ستضمن هزيمتك.. وسقوطك في اختبار الآخرة..

إن عنف سكرات الموت لجديرة بأن نعمل لها ألف حساب..

آه لو علمتم..

فقد قاسى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم ألم هذه الساعة وكابدها وهو الذي غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما أخرج البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم كان بين

يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: **«لا إله إلا الله إن للموت سكرات»**.

آه لو علمتم..

كم قاسى الأنبياء والصالحون من سكرات الموت.. كم قاسى الملايين من البشر وكم ستقاسى أنت..

الآن يجلس ملك الموت عليه السلام عند رأسك والملائكة الموكلة بالموت عند قدمك.. فتضغط الروح من القدمين فتصعد إلى البطن..وتبدأ القدمان بالبرودة فلا حراك لها ولا روح فيها بعد اليوم..ثم تضغط ملائكة الموت البطن فتصعد الروح إلى الصدر وتضغطها من الصدر فإذا هي بالنحر....

وجاءت اللحظة التي لا تقبل فيها التوبة..

لن تقبل التوبة الآن.. مهما حاولت..مهما توسلت وسيزداد توسلك حتى تطلب من الله الرجوع للحياة...

لا لتلعب..لا لتأكل..لا لتتمتع.. بل لتستغفر..لتصلى..لتتعبد.. لتتوب

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]

الآن تريد الفرصة الأخيرة..

تركت سنوات وسنوات ملكاً لك..تريد أن تتشبث بلحظات ليست ملكاً لك..

تركت عشرات بل مئات الفرص..لترجو أملاً بعد انتهاء الفرص..

ألا تذكر فرصاً منحها الله لك فرفضتها..

كم مرة كتب الله النجاة لأناس من حوادث كان مصير غيرهم فيها الموت..

كم مرة تأخر إنسان عن موعد طائرة أو قطار فيفاجأ بحادث أليم يموت فيه الجميع وينجو هو بنفسه..

أليست هذه فرص رجوع للحياة أعطاها لك الله..

لقد أدرك أحد الصحابة هذا المعنى، فحفر لنفسه قبراً في بيته فكان إذا جاء الليل دخل قبره، ليعيش بمشاعره في عالم الحساب، ثم يخرج من قبره وقد نظر إلى دنياه بمنظار الآخرة، ليراها على حقيقتها دون تجميل ودون رتوش، فيعود ليضع لنفسه نقطة بداية جديدة في حياته..

إنه القبر... رحلة أخرى طويلة و شاقة..

لا أريد أن أخيفك منها قدر ما أريد أن أذكرك بها لتبصر حالك وتصحح أعمالك...

أريد أن أذكرك بالقبر لتفوز بالجنة.. أريد أن أذكرك بالوحشة لتفوز بأنس الرسول والصحابة أصدقائك الأحباب في الدنيا..

فإن لم أفلح أن أذكرك..فذكر أنت نفسك..

ذكر نفسك بسؤال ملكين سيكونان أول من تراهما بعد إغلاق القبر عليك..

منكر ونكير..وصفهم الرسول ﷺ فقال عن أصواتهما أنها كالرعد الخاطف عن أبصارهما أنها كالبرق الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها..

بالتأكيد سيصيبك التوتر وسيسيطر عليك الخوف..وفى هذا الجو المهيب

سيبدأ أول سؤال في الامتحان..

من ربك وما دينك ومن الرسول الذي بعث فيك.. جميعنا الآن يعرف الإجابة ولو سئل لأجاب بكل سهولة..

لكن بالتأكيد سيتغير الموقف داخل قبر تسكن فيه وحدك..

أتعرف لماذا..لأن الذي سيجيب في الدنيا لسانك..أما الذي سيجيب في القبر.. أعمالك.. فهل ترى أن أعمالك كفيلة بإجابة السؤال..

قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً:

كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير، إذا مت وانطلق بك قومك وقاسوا ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر، ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك فوضعوك فيه، ثم أهالوا عليك التراب ؟ فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر: منكر ونكير.. أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، يجران شعورهما، ومعهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها. فقال عمر: يا رسول الله إن فرقنا فحق لنا أن نفرق..أنبعث على ما نحن عليه ؟ قال نعم..قال: إذن أكفيكهما.

يا لقوتك يا عمر نسأل الله أن ينعم الله علينا بشيء من قوتك وتقواك وإيمانك..

إن الفاروق عمر يرى أن أعماله ستحميه في الموقف الرهيب..واثق من قدرته وإجابته!!!

يا إخوتي ابدأوا الآن..وليس غداً..

احتموا بالصلاة والصيام والقرآن.. اجعلوا الخلق الحسن والعمل الصالح يتحدث عنكم ويجيب عند السؤال..

تيقنوا ساعتها أن الإجابة ستكون سهلة يسيرة..وستكتشف شيئاً فشيئاً أنك من أهل الجنة..

وستشعر برائحة الورود والرياحين حولك ويكسر الضوء وحشة الظلام ويكتب لك وعد الله الذي وعده للتائبين..الجنة

يا أخي العاصي..تب إلى الله واستبشر..عد إلى الله وافرح..

فالقبر إما روضة من ريا ض الجنة وإما حفرة من حفر النار..

سيكون بإذن الله لنا روضة من رياض الجنة..نمكث فيها قليلاً حتى نلقى الأحبة محمداً وصحبه في جنة الخالدين وروضة الطائعين..

إن الموت والقبر عباد من عباد الله..لا يرهبان من أطاع الله..بل يفرحان به..ويأتيان إليه يبشراه برحمة الله ومكافأة الإله..

إن رسولك الحبيب يقول لك : « إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان».

قال: « فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.

قال « فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون: فلان بن فلان (بأطيب أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا). حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: «فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت ؟ فوجهك الذي يجيء بالخير ؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

يا إخوتي نريد أن ننجو..ولا سبيل إلى ذلك إلا بتذكر الموت.. تذكره في كل ساعة..في كل حركة..في كل فعل وقول.. تذكره في المدرسة والشارع والمنزل...

تذكره لتذكر الله..فتنجو وتفوز...

تذكره واجتهد..فلن يضيع الله عملك..

عن معبد بن معاذ قالت: ألا تخبرينا عن مقبورنا ما يلقى وما يصنع به ؟ فقالت إن كان مؤمناً فسح له في قبره أربعون زراعاً..

بشراك...إن الله أعطاك الفرصة لتوسيع قبرك في الدنيا..فلم تتأخر..

تذكره..تذكر الموت فتذكر معه الله وتنتظر وعد الله بالرحمة وتفرح بفوز المؤمنين بالنعيم..

تذكره فإن فوائد تذكره عظيمة:

إنه يحثك على التوبة .. يهون عليك مصائب الدنيا .. يرغب في الآخرة ويدعو إلى الطاعة .. يدعو إلى التواضع ويطرد الكبر والغرور.

قال أحد الصالحين: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف (القليل) والتكاسل في العبادة)

يا إخواني.. إذا صدقت نيتك في تذكر الموت فافعل الآتي:

زيارة القبور.. قال النبي ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة» (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني).

تتبع الجنائز والصلاة عليها وحضور دفنها.

تلاوة السور التي تذكر الموت في القرآن الكريم بين الحين والآخر مثل سورة (ق).

وإذا استطعت.. مشاهدة المحتضرين وتلقينهم الشهادة.

وإذا استطعت.. حضور تغسيل الموتى.

نعم .. سنذكر الموت ونذكر الله .. ونذكر الجنة والنار والحساب والعقاب .. وأبداً لن يدفعنا ذلك إلى السكون والانزواء عن الحياة بل سيدفعنا إلى زيادة العمل للإسلام في سبيل إرضاء الله وإعلاء كلمته..

نعم..سنذكر الموت في الدنيا..

لا لنخاف وننعزل عن الحياة..بل لنصلح الحياة ونملأها نوراً بنور الطاعة والإيمان..

نعم سنذكر الموت في الدنيا..لأننا نريد الحياة في الجنة..حياة لم ترها العيون ولم تسمع عنها الآذان ولم تخطر ببال بشر..

نعم سنذكر الموت في الدنيا ونذكّر الناس به..ليشد من أزرهم ويرفع من هممهم ويستعدوا للقاء منتظر موعود مع أرحم الراحمين.

سنذكره..سنذكره جميعاً..ثم نلتقي معاً في الجنة ننعم بنعيم الله ونفوز بثواب المجتهدين والمخلصين.

***

الذكر

في الحقيقة ..لا أستطيع أن أتمالك نفسي وأنا أتحدث عن ذكر الله وثوابه وفضله وأهميته للمسلم في حياته وآخرته ..إلا وأذكر حديثاً عجيباً للنبي ﷺ وهو يذكر فيه حسرة أهل الجنة على ساعة مرت بهم في الدنيا لم يذكروا فيها الله عز وجل .. يقول رسول الله ﷺ:

«ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها».

للوهلة الأولى ..قد تحدثك نفسك بأن في الأمر مبالغة ...لكنك تعود وتتذكر بأنه كلام لرسول صلى الله عليه وسلم .. إذن فهو صدق لا شك فيه ولا مبالغة فيه ...

لكن التعجب إلى حد الذهول وارد ومنطقي لا شك في ذلك ..فنحن لا نتصور ..ولا يتصور أحد أن شخصا قد فاز بالجنة بكل نعيمها وقد أخذ يتحسر على فوات ساعة لم يذكر الله فيها ..

وسنحاول أن نقرب إلى بعضنا البعض المعنى بمثال بسيط .

نفترض أنه قد أقيمت مسابقة في قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله لمدة ساعة ..وجائزة المسابقة هي ألف جنيه لكل دقيقة ذكر ..

السؤال .. كم دقيقة ستستغني عنها لتتركها بدون ذكر ..

سؤال آخر ..هل إذا داهمك الجوع في هذه الساعة هل ستترك المسابقة وتأكل أم تتحمل وتكمل الساعة ..

أعتقد أن الإجابة معروفة..ورغم ذلك فالدهشة ستظل موجودة ..لأننا يا إخواني لم نعرف الجنة ولم نرها ولن نتأكد من هذا الإحساس إلا إذا عشنا الموقف بالفعل ..جمعنا الله وإياكم في جنته برحمته وعفوه وفضله ..

كان عبد الله بن عمر يصلى على الجنازة ثم ينصرف ، فلما سمع حديث النبي ﷺ : **«من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً ، وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها ، فإنه، يرجع من الأجر بقيراطين ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن ، فإنه يرجع بقيراط من الأجر»**.

انزعج ابن عمر بعدما سمع الحديث انزعاجاً شديداً ..فصحة الحديث تعنى أنه خسر الكثير من الأجر ..فأراد أن يتأكد من صحة الحديث ، فأرسل إلى السيدة عائشة رسولاً

يسألها عن صحة ما قاله أبو هريرة حيث إنه قد روى الحديث ، ومن شدة قلق عبد الله بن عمر أخذ قبضة من حصى المسجد وأخذ يقلبها في يده بتوتر ملحوظ وهو في انتظار الرد من السيدة عائشة إلى أن جاءه الرد ..

الخبر صحيح ..

فظهر على عبد الله الضيق وهو يلقى بالحصى الذي في يديه في أسى وهو يقول في حسرة واضحة :

لقد فرطنا في قراريط كثيرة .

أتعرف سبب حسرة عبد الله بن عمر...

الطموح ..نعم إنه يريد أن يتفوق في التقرب إلى الله ..يريد ألا يسبقه أحد ..فلما علم إن هناك من سبقه بدت عليه الحسرة.

إنه يريد أن يصل إلى أعلى مرتبة في الجنة ..

والصحابة وأبناء الصحابة كان لديهم تحدي من نوع خاص بينهم وبين أنفسهم ..إنهم إما أن رأوا الرسول وعايشوه أو أنهم كانوا قريبين جداً ممن عاصره .. وبالتالي فالأمر سيصبح هزيمة لهم ألا يكونوا بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة .

ما معنى الذكر :

هو ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .

قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]

قال رسول الله ﷺ : **«مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكره ، مثل الحي والميت»** (رواه البخاري).

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها.. قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: **«الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس له»**.

أنواع الذكر :

- إننا قد نقع في تناقض عجيب.. فقد نجتهد في ذكر الله باللسان لنرضيه ثم نعصاه بأفعال الجوارح..لذلك فإننا نريد أن نقسم الذكر إلى قسمين :

- الذكر اللفظي : وهو ذكر اللسان مثل التسبيح (سبحان الله) والتهليل (لا إله إلا الله) والحمد (الحمد لله) والاستغفار (أستغفر الله) ... إلخ.

- الذكر العملي : وهو ذكر الجوارح أي أعضاء الإنسان كالعين والأذن والقدم وذلك بأن تتذكر كل جارحة الله عز وجل قبل إتيان العمل وفي أثناء وبعد الإتيان به .

فضل الذكر:

جاءت نصوص كثيرة وعديدة في فضله وأهميته وعلو شأنه ومنزلته وعظيم فائدته وأثره على العبد في الدنيا والآخرة وحاجته إليه.

وهذه النصوص مع كثرتها متنوعة، إما مرغبة فيه بذكر ثواب الذاكرين وفضيلة الذكر، وإما آمرة بذكر الله سبحانه، وإما منفّرة عن نسيان ذكر الله والغفلة عنه بجعل عدم الذكر من صفات المنافقين والكافرين.

قال رسول الله ﷺ: «**سبق المفرِّدون**» قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**»(رواه مسلم).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (ذهب الذاكرون اللهَ بالخير كلّه).

ومتى يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا؟

قال أبو عمرو بن الصلاح مبينا القدر الذي يصير به العبد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء في الأوقات، والأحوال المختلفة ليلا ونهارا، وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة، كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[البقرة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**» (متفق عليه).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من**

أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: «**ذكر الله تعالى**»(رواه الترمذي، وقال الحاكم أبو عبد الله إسناده صحيح).

وعن عبد الله بن بشر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبَّث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن).

فضل مجالس الذكر:

مجالس الذكر أفضل المجالس وأزكاها وأشرفها وأنفعها:

فهي رياض الجنة في الدنيا، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حلق الذكر**»(رواه الترمذي).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إن لله ملائكة سيارة فُضُلا يتتبعون مجالس الذكر...**» .

وإن الله عز وجل يباهي بمجالس الذكر ملائكته كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلّ عنه حديثا مني، أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا، قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**» (رواه مسلم).

ومجالس الذكر سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر، فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**» (رواه مسلم).

فوائد الذكر:

١- إن ذكر الله عز وجل يقوي صلة العبد بربه، وذلك أنه يورث الذاكر رضا الله ومحبته ومراقبته والإنابة إليه والقرب منه وأنه معه والهيبة له وذكر الله تعالى له كما في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:١٥٢]، وقوله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»، ويذكره الله عند الشدة، ويزيل الوحشة بين العبد وبين ربه، ويوجب له الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، وأنه أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، ويوجب صلاة الله وملائكته على الذاكر.

٢- إن ذكر الله عز وجل يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ولا يحرز العبد نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى، أُمِرَ يحيى عليه السلام أن يأمر بني إسرائيل بخمس خصال منها: «**وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره إسراعا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى..**».

٣- إنه يزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور والبسط، ويقويه وينوره، ويورث حياة القلب، وينبهه من نومه، ويوقظه من سنته، وأنه قوت القلب والروح، وأن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، وأنه شفاؤه ودواؤه، ويذهب عنه الخوف.

٤- إنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها، وأنه من أكبر العون على طاعة الله، وله من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، قال مالك بن دينار: "وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس شيء من الأعمال أخف مئونة منه، ولا أعظم لذة"، وقال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق". وأن إدامته تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية أو بدنية مالية، كحج التطوع.

٥- إن كثرة ذكر الله أمان من النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء]، قال كعب بن مالك رضي الله عنه: (من أكثر ذكر الله برئ من النفاق).

٦- إنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

٧- ويفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة.

٨- وأنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

٩- وأنه يجلب الرزق والنعم، ويدفع النقم.

١٠- وأنه يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاقة، وأنه يعطي للذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه.

١١- وأنه رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره، وجمع الله بينهما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[البقرة]، وكذلك جمع بينهما النبي ﷺ كما في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا معاذ -والله- إني لأحبك، فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك**» (رواه أبو داود بإسناد صحيح).

١٢- إنه يجعل الدعاء مستجابا، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد كما في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد عجل هذا**»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه، ثم ليصلِّ على النبي ﷺ ثم يدعو بعدُ بما شاء**».

١٣- إنه منجاة من عذاب الله تعالى قال معاذ رضي الله عنه: (ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله).

١٤- وأنه غرس الجنة، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» رواه الترمذي وقال حديث حسن).

١٥- وأن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، ويسعى بين يديه على الصراط.

المأثورات

معناها: هي مجموعة من الأدعية التي كان النبي ﷺ يؤثر ذكرها في الصباح والمساء.

وقتها: أذكار الصباح وتقرأ من الفجر حتى الظهر (أفضل وقت لها بعد الفجر مباشرة).

أذكار المساء: وتقرأ من العصر حتى العشاء (وأفضل وقت قبل المغرب مباشرة)

أذكار المناسبات: هي أدعية مصاحبة لمناسبات معينة مثل:

- دعاء دخول المنزل..بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا.

- دعاء الخروج من المنزل « اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل أو أزل أو أُزل، أو أظلِم أو أُظلم، أو أجهَلَ أو يُجهل علي". صحيح (صحيح سنن أبي داود ٩٥٩/٣) من قال حين يخرج من بيته: "بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يُقال لهُ: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان". صحيح (صحيح الترمذي ١٥١/٣) والخير أن يجمع بينهما..........».

- دعاء دخول المسجد « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنبي افتح لي أبواب رحمتك..............».

- دعاء الخروج من المسجد « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنبي افتح لي أبواب فضلك».

- دعاء دخول الخلاء « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث».

- دعاء الخروج من الخلاء «غفرانك».

- دعاء ركوب السيارة أو الدابة « الحمد لله. ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[الزخرف] ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت............).

- دعاء بدء المذاكرة....دعاء الانتهاء من المذاكرة.إلخ.

فائدة الأذكار التربوية:

١- تهذيب اللسان على طيب الكلام تبعده عن بذئ القول من السب والشتائم.

٢- الذكر عبادة قلبية تربط بينك وبين الله في أوقات متعددة من اليوم التي نذكر فيها الله.

كيف نتدرب على قراءة الأذكار ؟

١- تعلق ملصقات الأذكار على باب الشقة وباب دورة المياه والمكتب للتذكرة.

٢- عدم التكاسل.

٣- استغلال الأوقات البينية مثل أوقات الذهاب إلى المدرسة والرجوع منها ووقت الذهاب إلى الدرس الخصوصي والرجوع منه... إلخ. في الذكر.

إذا كنت منفرداً، أما إذا كنت مع زميل، فيمكن الاتفاق على جزء من الوقت ولو بسيطاً للذكر ثم تمضى بقية الوقت في الحديث المباح.

دروس من الصيام

ترى ما الذي سيحدث لو لم يكن الصوم موجوداً في الإسلام ، فقامت إحدى الدول الإسلامية بسن قانون يقضى بأن يصوم الناس شهراً كل عام من طلوع الشمس إلى غروب الشمس ..

أعتقد أنه كانت ستحدث اعتراضات وثورات ..لعدم السماح بالجهر بالأكل والشرب، وبالتأكيد سيمارس الناس حريتهم في الطعام والشراب دون أن يراهم أحد..وسيصبح هذا الشهر من أسوأ الشهور التي تمر على الناس خلال العام ..

لكن صدور هذا القرار بأمر إلهي جعل شهر رمضان أجمل شهور السنة، تنتظره الناس من العام إلى العام ، وكأنه احتفال سنوي لمدة شهر يترقبه الناس بالنظر إلى السماء لرؤية الهلال ..هو الشهر الوحيد الذي يرتبط فيه الناس بالكون ليتحرى الهلال وأول شوال ..

هل رأيت شخصاً تحرمه من الطعام والشراب فيبتهج من السعادة ...ويجتهد في إرضائك ؟

إن شهر رمضان يعيد الناس إلى الفطرة ..فطرة طاعة أوامر الله بحب وسعادة ورغبة ..

فطرة البحث عن الخير في النفوس وتقديمه للمجتمع ومطاردة الشر و حصاره ..

إن شهر رمضان يمثل لنا دورة تدريبية عملية لمدة شهر على معاني الإخلاص وقوة الإرادة والصبر و التراحم والمحبة والعطاء..

تعالوا نتعلم دروساً من الصيام.

- **لماذا شرع الله الصوم ؟**

الشائع أن الصيام فرض على المسلمين لكي يشعر الغنى بالفقير الذي يظل طيلة عامه يتحسس الطعام.. فتارة يجده وتارة لا يجده ، وفى الواقع إن هذا السبب قوى ومعتبر .. إلا أن هناك ما هو أقوى منه خصوصاً أن الصوم قد فرض على الجميع الغنى والفقير فإن شعر الغنى بالفقير ، فبمن يشعر الفقير .... وهما السببان الآتيان :

أولاً- تدريب المسلم على تقوى الله :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣].

والتقوى هي الخوف من الله ، والتجربة أثبتت أن الصوم له قدرة هائلة على إبعاد العاصي عن معصيته لأن الذي يمنع نفسه عن الطعام والشراب نصف يومه يخشى ألا يقبل صيامه فيحاول أن يتجنب المعاصي ما استطاع ، ولعل بعض الشواهد التي تحدث في وقتنا الحالي تؤكد ذلك مثل :

١- امتناع المدخنين عن التدخين في نهار رمضان رغم عجز كل وسائل الإعلام ونصائح المخلصين ، وتحذيرات الأطباء طيلة العام عن إثناء المدخن عن التدخين فإذا بالأمر الإلهي يحل المشكلة بين يوم وليلة ولو فطن المدخنون لاستغلوا الشهر الكريم فرصة ذهبية للإقلاع عن التدخين نهائياً .

٢- الكثير من الطلبة يحرص على الصلاة في رمضان بالرغم من أنه لم يكن يصلي في غيره لشعوره بعدم قبول الصوم بدون صلاة .

٣- العديد من الطلبة يحرم نفسه من مشاهدة الأفلام التي تحتوى على مناظر خليعة في الكمبيوتر أو الفيديو إلا بعد رمضان .

ومن المتفق عليه أن الغريزة الجنسية من أخطر أسلحة الشيطان في إغواء الإنسان ، حتى اعتبرتها بعض المدارس النفسية هي المحرك الأساسي لكل سلوك بشري والناظر إلى معسكر الحضارة الغربية اليوم، وما يعاني من انحلال وأمراض يتبين له أن انحراف هذه الغريزة كان وراء كثير من الأوحال التي يرتكس فيها. وللصوم تأثيره في كسر هذه الشهوة، وإعلاء هذه الغريزة، وخصوصاً إذا داوم عليه ابتغاء مثوبة الله تعالى، ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب الذي لا يجد نفقات الزواج، حتى يغنيه الله من فضله، فقال:

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» (رواه البخاري عن ابن مسعود في كتاب الصوم وغيره، ومسلم ١٤٠٠). والباءة: كناية عن النكاح، والوجاء: الخصاء ، والمراد : أنه يضعف الشهوة إلى النساء.

٤- التليفزيون نفسه يمنع أغاني الفيديو كليب في رمضان لشعوره بعدم قبول الجمهور لها في الشهر الكريم .

ثانياً- تذكير المسلم بمنابع الفساد والانحراف في حياته وهى :

شهوة البطن والفرج واللسان .

- شهوة البطن : امتناع المسلم عن الحلال من الطعام وليس الحرام فقط على ما في ذلك من امتثال لأمر الله ، وتحمل المشقة والألم لا لشئ إلا لإرضاء الله فقط .

- شهوة الفرج : يكاد يكون هو الشهر الوحيد الذي يقنع الطالب نفسه بضرورة غض البصر سواء فيما يشاهده في الشوارع أو التليفزيون ، فهو مقتنع بأن ذلك سيفسد صيامه .

- شهوة اللسان : يبدأ المسلم في ضبط ألفاظه والتفكير فيما يقول والاستغفار عن أى خطأ يتلفظ به .

ثالثاً- إشعار الصائم بنعمة الله تعالى عليه ،

فإن التعود على النعم يفقد الإنسان الإحساس بقيمتها، ولا يعرف مقدار النعمة إلا عند فقدها، وبضدها تتميز الأشياء.

فإنما يحس المرء بنعمة الشِّبَع والرِّيّ إذا جاع أو عطش، فإذا شبع بعد جوع، أو ارتوى بعد عطش، قال من أعماقه: الحمد لله، ودفعه ذلك إلى شكر نعمة الله عليه .وهذا ما أشير إليه في حديث رواه أحمد والترمذي، قال فيه صلى الله عليه وسلم : **"عَرَضَ عليَّ ربي ليجعلَ لي بطحاءَ مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، ولكني أشبع يومًا، وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك"** (رواه أحمد والترمذي عن أبي أمامة، وحسنه السيوطي تبعًا للترمذي، فاعترضه المناوي بأن في سنده ثلاثة ضعفاء.

درجات الصوم :

درجات الصوم ثلاث درجات :

- صوم العموم ، - صوم الخصوص ، - وصوم خصوص الخصوص .

١- صوم العموم :

وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

٢- صوم الخصوص :

وهو صوم الصالحين ، ويحدث بكف الجوارح عن الآثام وتمامه ستة أمور وهى مرتبة نستطيع ببعض الجهد أن نحققها ونكون من أهلها.

١- غض البصر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"النظرة سهم مسموم من سهام إبليس** – لعنه الله – **فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه"** أخرجه الحاكم وصحح إسناده .

٢- حفظ اللسان: عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، وشغله بذكر الله سبحانه وتعالى ، وتلاوة القرآن – فهذا صوم اللسان ، وقال سفيان: الغيبة تفسد الصوم ، وروى الليث عن مجاهد : خصلتان تفسدان الصيام : الغيبة

والكذب ، قال رسول الله ﷺ :«**إنما الصوم جنة فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم**» .

٣- كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢]

٤- كف باقي الجوارح عن الآثام مثل كف اليد والرجل عن المكاره ، وكف البطن عن الحرام وقت الإفطار ، كالذين يفطرون على سيجارة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :«رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» قيل هو الذي يفطر على الحرام ، وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام .

٥- أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار .

٦- أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطرباً بين الخوف والرجاء ، فهو لا يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين ، قال صلى الله عليه وسلم : **إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته**.

٣- صوم خصوص الخصوص

وهو صوم القلب ..بمعنى عدم رغبة القلب في شهوة دنيوية أو ملذة إنسانية ، فهو متعلق بالله موصول به في كل حركة وهمسة وملمة وقول وفعل وهي مرتبة عالية نسأل الله أن نكون من أهلها.

فوائده الاجتماعية

وهناك حكمة اجتماعية للصيام (وخصوصاً صيام رمضان): أنه - يفرض الجوع إجباريًا على كل الناس، وإن كانوا قادرين واجدين - يوجد نوعاً من المساواة الإلزامية في الحرمان، ويزرع في أنفس الموسرين والواجدين الإحساس بآلام الفقراء والمحرومين. أو كما قال ابن القيم: يذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين.

وقال العلامة ابن الهمام: إنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، ذكر من هذا حاله في عموم الأوقات، فتسارع إليه الرقة عليه (فتح القدير -٤٢/ ٢).

وفي هذا التذكير العملي الذي يدوم شهراً، ما يدعو إلى التراحم والمواساة والتعاطف بين الأفراد والطبقات بعضهم وبعض، ولهذا رُوي في بعض الأحاديث تسمية رمضان" شهر المواساة" (روى ذلك من حديث سلمان عند ابن خزيمة في صحيحه، وفي إسناده علي بن زيد

بن جدعان). وكان النبي ﷺ فيه أجود بالخير من الريح المرسلة) فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

ومن أجل هذا كان من أفضل ما يثاب عليه: إفطار الصائم، وفي الحديث: "**من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**" (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن زيد بن خالد، كما في صحيح الجامع الصغير.

*** فوائده التربوية :**

١ - التدريب على قوة الإرادة :

الإرادة هي الصفة التي تجبر النفس على عمل ما لا ترغبه وهي صفة لا يستغنى عنها أي ناجح كما لا يستغنى عنها أي مسلم يطلب الجنة ، وضعيف الإرادة يصبح لعبة في يد الشيطان يحركه كيفما يشاء .

٢ – التدريب على قوة التحمل :

فالمسلم يجب ألا يكون رخواً لا يتحمل شظف العيش بل لابد أن يكون قوياً صابراً رغم شدة الظروف ، والصوم خير تدريب على ذلك .

*** أفعال ما بعد الإفطار :**

– تسيطر على الطلبة وربما معظم المسلمين فكرة غاية في الخطورة وهو أن وقت الصيام فقط هو الوقت الذي يجب أن نلتزم فيه بالطاعة والخوف ، فينوى أن يرتكب الأعمال المحرمة بعد الإفطار ، مثل مشاهدة المناظر الخليعة في التليفزيون والسب والشتائم والغيبة .... إلخ

وهى فكرة خاطئة قد تفسد الصوم نفسه كما قال النبي ﷺ : «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**» .

وهى فكرة تسلب من الصيام هدفه الذي شرع من أجله ، ألا وهو التقوى ، وتدريب النفس على اجتناب المعصية إرضاءً لله ، ويحرم المسلم نفسه من الاستفادة من معسكر إيماني تدريبي لمدة شهر كامل ألا وهو شهر رمضان .

إنها رسائل من الله لنا جميعاً ..

أحسنوا استقبال رسائل الله ..وأحسنوا التعلم منه ..

واخرجوا من هذا الشهر أنقياء أتقياء صالحين مشتاقين للقائه ..كما تشتاقون للقاء الجنة .

***

أظن أن مشكلة الأخلاق في مجتمع ثانوي أصبحت تناطح أكبر مشكلة سياسية في العالم الإسلامي الآن ، ألا وهى مشكلة فلسطين بجلالة قدرها .. المشكلة التي أعيت رؤساء وحكام أكثر من ٥٠ سنة ، ولم تتعطف علينا بحل حتى الآن !

وإذا كانت مشكلة فلسطين تسير بالطول .. فإن كارثة تدهور الأخلاقيات بين طلبة ثانوي ، تسير بالطول وبالعرض لتنخر في قيم ومبادئ ملايين الطلبة سنوياً .. يخرجون إلى المجتمع كل عام يحملون على أكتافهم (R B J) الشتائم والسخرية والغمز واللمز والحقد والحسد ، وإبداعات يومية من الفساد .. ويصوبون طلقاتهم نحو كيان وحيد ضعيف لا يناصره إلا أقل القليل ، اسمه .. الأخلاق الحميدة .

تعالوا نغوص في مجتمع ثانوي ، ونبحر في بحر المهالك ، لنشخص المرض ، ونبحث عن الأسباب ، ونقترح الحلول ..

الحقد

مرض اجتماعي غاية في الخطورة .. وتكمن خطورته في أنه يصنف تحت بند المعاصي الباطنة ، والتي تنشأ وتكبر وتترعرع داخل النفوس فلا يراها أحد ، إنما نشعر بأثرها جميعاً من حولنا دون أن نستطيع أن نحدد المصدر على وجه الدقة .

علماء الدين أخبرونا بالتعريف الخاص بالحقد فقالوا :

الحقد هو : إضرام الغضب في القلب حتى تسنح فرصة الانتقام .

وإضرام تعنى : إمساك واختزان .

والمعنى يقول: إن الشخص الحاقد نشأ حقده من أثر غضبه من شخص آخر آذاه سواء كان هذا الإيذاء مادياً كالضرب مثلاً ، أو إيذاءً معنوياً كسب أو سخرية أو تشهير .. إلخ .

والمشكلة أن هذا الغضب لم يجد متنفساً ليخرج من الشخص المعتدى عليه .. فما حيلة شخص نحيل الجسد قصير القامة أمام دولاب متحرك (داير يلطش في خلق الله؟!)، ويفتعل مشاجرات أمام البنات ليظهر رجولته وقوته البهيمية العمياء ، لا حيلة أمامه إلا أن يغضب ويغضب .. ثم يعتمل الغضب في نفسه إلى حقد دفين يقفز من بين ضلوعه ، كلما رأى من اعتدى عليه أو سمع صوته أو ذكر اسمه أمامه .

وحكايات الأذى والافتراء والبلطجة في مجتمع ثانوي ليس لها أول من آخر .. بطبيعة المرحلة الصعبة واسمها مرحلة المراهقة وما تتميز به من دفع المراهق إلى حب الظهور بأي طريقة وبأي ثمن .. فقط عليه أن يبحث عن الطريقة التي تناسبه ..

الطالب المتفوق ليس لديه مشكلة .

والطالب الذي يهوى الأنشطة المدرسية لا تمثل له هذه النقطة أي حساسية ، فهو معروف بالفعل من خلال عمل نافع مفيد يقوم به داخل المدرسة وبين زملائه .

والمشكلة تكمن في فئة معروفة وهى للأسف الأغلبية الساحقة من طلبة المدرسة ..

الأغلبية التي خاصمت التفوق أو الاجتهاد الدراسي إلى أجل غير مسمى ، فهي تراه طريقاً مسدوداً لا أمل فيه ، كما أن طريق الأنشطة المدرسية غير موجود تقريباً في مدارسنا العامرة بأجهزة الكمبيوتر التي لا يجلس عليها أحد !!

إذن الوسيلة الأسهل والأسرع والأضمن للظهور هو إيذاء الآخرين .

- إن سخرية طالب من زميل له داخل الفصل ، تثير الفصل كله ضحكاً ويصبح صاحب النكتة نجماً لامعاً ينظر إلى نفسه بافتخار وانبهار وسب طالب لزميل له تعني أنه أكثر قوة وأكثر سطوة وأكثر علواً في المنزلة وهو أمر ينعش النفس ويوحي بالعظمة .

- وافتعال مشاجرة أمام مدرسة البنات ، لهى وسيلة جهنمية لإثبات أنه لا يقل كثيراً عن نجوم السينما الأمريكان ، أمثال فان دام وجيت لي وبروس لي .. فلماذا لا يحوز إعجاب المعجبات !!

- إن الحقد مرض مزدوج أصاب الأول بعقدة النقص وحب الظهور أو الشعور بالعظمة والسطوة وأصاب الآخر بالغضب المكتوم والرغبة في الانتقام .

- لكن الشخص الحاقد ويا للأسف ، يعتدي عليه مرتين . الأولى من زميل ظالم ، والثانية من نفسه .

- فهو مرض له آثاره المدمرة في نفس الحاقد وإن كان معذوراً فيه أحياناً ، لأنه يشغل القلب ويتعب الأعصاب ويقلق البال وقد يهرب النوم بسببه وقد تظلم الحياة في وجه الحاقد وتضيق الدنيا في وجهه على سعتها وتتغير معاملته اللطيفة لأهله وأصدقائه .

- عشرات الأحداث اليومية من الطلبة تشعل الحقد في النفوس :
- عشرات النفوس تقع فريسة لهذا المرض اللعين يومياً .
- ومجتمع زهور شابة ينثر المرض بذوره السامة فيه كل ساعة .

فإذا ظهرت لنا حقيقة المرض ، وجب علينا أن نبحث عن العلاج ولن ندعى أن العلاج سهلاً ، ولن أقول أنه يستحيل الشفاء منه ، ولكن الصحيح أنه صعب ، نعم صعب لأنه يتطلب التغيير ، تغيير حقيقي من الداخل ينقى النفس ويصحح الأفكار ، ويضبط المفاهيم دعونا نضع الحلول في النقاط التالية :

١- إذا كان منشأ الحقد من الغضب إذن فلنتقي الغضب ، وليس معنى أن نتقي الغضب أن نكون متبلدين ، دون إحساس فالغضب مطلوب ضد الظلم والقهر وانتهاك الحرمات ، وسلب الحقوق ، ولكنني أقصد الآتي :

أولاً- ألا أكون فريسة سهلة للاستفزاز ، وأن أمتلك القدرة على ضبط الأعصاب وألا أغضب لأتفه الأسباب .

قال النبي ﷺ : «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» (رواه أبو داوود).

وقال ﷺ : «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**» . (رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه).

ثانياً- من الممكن أن يكون إيذاء الآخرين لي كرد فعل طبيعي لتصرفات خاطئة بالإيجاب أو السلب ، فربما أخطئ أنا في حق زميل فيرد على بأسلوب عنيف ، أو ربما أظهر أمام زملائي بأنني شخص ضعيف الشخصية فأكون عرضة للاستهزاء والسخرية .

ثالثاً- أن أتمسك بالحلم ، إذا تعرضت لهذا الاستفزاز، أن أتعامل مع الأمر بحكمة تجنبني تصعيد الموقف .

٢- إذا حدث الإيذاء لا محالة ، فالحل هنا أحد أمرين :

أولاً- إذا كنت قادراً على الرد : أ - عليك العفو والصفح (في غير ذلة) ، ومحاولة تهدئة الموقف عن طريق مصادقة الطرف الآخر وتصفية النفوس ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل:١٢٦].

ب - الرد بما يكافئ الموقف إذا تكرر الإيذاء بصورة لا تحتمل إلا الرد عليه على أن يكون رد الكلام كلاماً ، (دون سب) حتى لو كان الإيذاء سباً ، وتصعيد أسلوب الرد (باليد أو بالقانون أو بالشكوى لولى الأمر) حسب درجة الإيذاء .

ثانياً - في حالة عدم القدرة : فلا سبيل أمامك إلا العفو والصفح ومحاولة نسيان الأمر والدعاء لله أن يحتسب هذا الظلم عنده في الآخرة خيراً إن شاء الله .

قال تعالى :

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس:

«إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة». (رواه مسلم).

٤- كلما كان الإنسان محترماً في تصرفاته مميزاً بحسن أخلاقه معتدلاً في شخصيته ، محباً للآخرين ، من الصعب أن يتعرض لأذى من غيره ، فالشخصية المحترمة يحترمها التقي والشقي والعالم والجاهل ، وتعديل الشخصية مسئوليتك أنت في هذه السن .

كثرة العبادة والدعاء بأن يجنبك الله ظلم الآخرين وأن يرزقك حب الناس والصحبة الصالحة تأتي تحميك في حضورك وغيابك .

***

الحسد

ثمرة خبيثة من ثمار الغضب... وتطور طبيعي لمرض خبيث اسمه الحقد...

و مرض آخر ينهش في جسد مجتمع فقد مناعته أو كاد أمام سيول من رذائل تعيش بيننا هادئة مستكينة، و كأنها وجدت وطناً حنوناً يحتضنها ويربيها وينميها... فأيقظ ما هو قديم من رقاده...ووفد إلينا ما هو جديد...لكن المرض الذي سنتحدث عنه اليوم..قديم..و قديم جدا.قدم البشرية نفسها.

أصاب أول ما أصاب ابن سيدنا آدم عليه السلام..قابيل لم يتحمل أن يتقبل الله قربان أخيه. ويرفض قربانه..فاشتعل فؤاده، وعمى بصره، وملك عليه الغل مشاعره.. وقرر أن يرتكب جريمته، لتصبح أول جريمة قتل في تاريخ البشرية قتل سدس البشر.. وأقرب الناس إليه..

أخيه هابيل..

وفى آية من سورة المائدة يتضح لنا الفارق الرهيب بين نفسية الحاسد القاتل والمحسود المقتول حيث يقول عز من قائل على لسان هابيل لأخيه ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة].

ومع هذا التصريح الرقيق الذي يعلى قيمة الأخوة ويرق له قلب القاسي العنيف لم يرق له قلب أخيه أقرب الأقرباء إليه بعد أمه وأبيه، وأبلغ القرآن في الوصف مرة أخرى فقال ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[المائدة].

وفعلها بعده أخوة يوسف ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [يوسف].

إنه الحسد.. أن تكره النعمة التي أنعم الله بها على غيرك وتحب زوالها ولو تمكنت من إزالتها لأزلتها" ألا تشعر به وهو يقف على باب مدرستك..

يأتي قبل الجميع فينتظر أفواجاً من الطلبة كل يوم ليعرض عليهم خدماته، ويرفض القليل القليل جداً، ويسقط الكثير.. الكثير جداً..

وربما تكون أنت واحداً ممن سقطوا.. أو سيسقطون.. إلى متى يظل زميلي فلان متمكناً في المذاكرة إلى هذا الحد، إلى متى يظل إعجاب المدرسين به بهذا الشكل، إنه دائماً ما يعطى

الإجابات الصحيحة المختصرة المفيدة دائماً يفوز بأعلى الدرجات وجوائز النظرات..

إنه تقريباً لا يخطئ أبداً ولا يتكاسل أبداً، ولا يغيب أبداً، حتى لا أكاد أذكر أنه مرض أبداً، إنني أكرهه وأحسده..

تغلي الدماء في عروقي عندما أراه، أشعر بالدوار، أسمع اسمه يتردد بين زملائي في زهو وإعجاب، لا أعرف كيف أتحامل على نفسي لأرسم على شفتي بسمة كاذبة عندما أقابله، لأتناول معه الحديث، وأمنيات التفوق والنجاح الكاذبة، إنني أتمنى له الفشل المبين والسقوط المريع السريع، إنه يكاد يدمرني، إنها حقاً مشكلة، والمشكلة الأكبر أنها ليست هذه المشكلة الوحيدة بالنسبة لي يوجد فلان الآخر الذي يلعب الكرة أفضل منى ويحرز الأهداف وينتزع الآهات من قلوب جماهير الطلبة، وعلاّن الذي يشترى قميصاً جديداً كل شهر، وحذاء كل نصف عام وآخرون.

إنها طبيعة الحسد ومأساته..

إن الحسد مرض اجتماعي نفسي رهيب يتألف من عناصر أربعة في الغالب:

الحاسد، والمحسود، ونعمة أنعم الله بها على المحسود، وفى الغالب مجال مشترك بين الحاسد والمحسود.

فالطبيب يحسد زميله الطبيب، والمهندس يحسد زميله المهندس، والمدرس يحسد زميله المدرس، والطالب يحسد زميله الطالب.

وللحاسد علامات يعرفها الحاسد حق المعرفة:

أولاً- أنه يكره النعمة التي أنعم الله بها على المحسود.

ثانياً- أنه يتمنى زوالها. ثالثاً- أنه لو مكن من إزالة هذه النعمة لأزالها.

رابعاً- تشتعل نيران الغضب بداخله كلما رأي المحسود أو سمع ذكر اسمه.

خامساً- يفرح إذا نزلت به مصيبة أو ضرر، ويحزن إذا مسه نفع أو فرح.

سادساً- ينتهز الفرص ليغتابه وينم عليه.

أدلة تحريم الحسد:

يقول الله عز وجل في سورة الفلق: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» إلى أن قال: «**ولا تحاسدوا ولا تباغضوا...**» (رواه مالك والبخاري ومسلم).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» أو قال: «**العشب**» رواه أبو داوود والبيهقي.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**»، قالوا صدوق اللسان نعرفه،فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**» رواه بن ماجة بإسناد صحيح والبيهقي وغيرهما.

يا الله يا لها من نفس شريرة، ويا لها من صفة وصف بها القرآن الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (١٠٩) ﴾[البقرة].

وقال تعالى في المنافقين ﴿ **إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** (١٢٠) ﴾[آل عمران].

ومأساة الحسد على نفس الحاسد أنه يحرق قلبه ويدمر أعصابه ويشغل باله، وعلى المجتمع:

أولاً- إنها تجعل الحاسد أداة هدم، دائماً ما يفكر في إيذاء الآخرين وإفشالهم لا في التعاون معهم وإنجاحهم.

ثانياً- إنها تجعل الحاسد أداة فساد وتخريب وتفريق لما يثيره من فتن وغيبة ونميمة وشماتة، وما ذكرناه آنفاً يقطع بلا شك أن الحسد بشروطه وعلاماته السابقة: حرام.

حتى إن العلماء قد عدوه من الكبائر إلا أن حجة الإسلام الإمام الغزالي تعاطف مع الحاسد في حالة واحدة: أن ينكر الحاسد ما يشعر به ويكره بعقله ما ترغب نفسه، وأنه إذا مكن من إزالة نعمة ممن يحسده لم يفعل، هذا الشرط فقط هو الذي ينجي الحاسد من غضب الله، فيعفى عنه عند الإمام الغزالي.

وهي لفتة جميلة من إمام عظيم..

ولكن الغريب هو ما أنبأنا به المعصوم ﷺ، في أن هناك نوعاً آخر من الحسد ولكنه حلال، !! نعم حلال.

ولكي يفرق الإسلام في اللفظ بعد أن فرق في المعنى سماه اسماً آخر، هل تعرفه؟ الغبطة.

ففي الحديث الشريف " لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس " متفق عليه.

فأنت هنا لم تكره النعمة ولم تحب زوالها، ولكنك تشتهي مثلها وتدعو الله أن ينعم بها عليك مثلما أنعم بها على أخيك .. أخيك في الله.. وهو حسد محمود ومطلوب، ولكنه ويا للأسف غير موجود!

من يحسد الآخر الآن على إنفاق المال في سبيل الله أو حفظ القرآن ويتمنى مثله.

ومن يحسد الآخر الآن على نعمة الطاعة والصلاة والصيام والخلق الحسن ويتمنى أن ينعم الله به عليه، والمفاجأة أن النوع الأول من الحسد من الممكن ألا يحرم إذا كانت النعمة التي أردت زوالها في يد كافر أو فاجر، فإن حب زوال النعمة في هذه الحالة ليس من أجل النعمة ذاتها، وإنما من أجل الفساد المترتب عليها من إقامة الفحشاء وإعلان المعصية لحاكم ظالم أو تاجر غشاش أو غني متكبر.

ويتفتق الذهن الآن عن سؤالين:

ما معنى المنافسة؟، وكيف تكون ؟، وما شروطها لكي تكون شريفة وحلال؟

والسؤال الآخر: ما العلاج ؟

أما المنافسة: فهي أن تحاول أن تصل إلى ما وصل إليه غيرك، دون أن تكره نعمة الله عليه أو تحب زوالها، بأسلوب مشروع مبنى على الجهد والصبر، وهو ما دعي إليه الإسلام وحث عليه، منافسة في كل ما هو حلال، سواء من أمور الدين كالمنافسة في حفظ القرآن والصلاة والطاعة وترك المعاصي وفعل الواجبات، أو أمور الدنيا كالمنافسة في المذاكرة أو الرياضة أو الاختراع والاكتشاف، والصناعة وإتقان العمل... إلخ.

ولم يترك القرآن الإشارة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

وجئنا الآن للعلاج، وهو صعب ولكنه ممكن إذا أردت واجتهدت، والعلاج يحسم في النقاط التالية:

١- إنكار ما تشعر به من بغض وكره لمن تحسده لأنه حرام يصل إلى الكبيرة، والإنكار يعني: لوم النفس المستمر على ما تشعر به لوماً يصل إلى حد العقاب أحياناً، فالنفس

تتراجع أمام من يؤدبها ولا يستجيب لهواها، وبقدر لومك لنفسك وجهدك المتواصل لكبت مشاعرك، بقدر ما تخف حدة البغض والكره التي تشعر بها.

٢- الاستغفار الدائم من ذنب الحسد كلما ارتكبته.

٣- الهجوم المرتد أو مفاجأة الخصم، نراها جميعاً في مباريات كرة القدم، وغالباً ما تسفر الهجمة المرتدة عن هدف، جربها مع نفسك، هي تهاجمك باستمرار وأنت تدافع جرب مرة أن تهاجم، هل تعرف كيف !

أولاً- ادع لمن تحسده بالنجاح يومياً، أو كلما رأيته أو تذكرته وأشهد الله على ذلك، وقل لله: يا رب كيف تضعني في صف المنافقين والحاسدين، وأنا أدعو له كما ترى.

ثانياً- خذ الأمور ببساطة، كن أول المباركين له ولنجاحه، لا تجعله يشعر أنك تحسده.

ثالثاً- اذكره بالخير إذا جاء ذكره في حديث، وامنع من يحاول أن يغتابه.

رابعاً- ساعده عملياً بأي وسيلة تراها مناسبة، فإذا كان المحسود زميلاً لك تكره تفوقه مثلاً، قدم له مذكرة قيمة لديك، أعط له معلومة، انصحه بصدق.

خامساً- استشره في بعض الأمور المشتركة بينكم حتى تزول الحساسيات، وتتحقق الأخوة.

٤- العبادة لها مفعول السحر في تغيير النفوس من الداخل: الصلاة وقراءة القرآن بكثافة يشفيان النفوس من أمراضها، وتطرد الخبث، وتنقى القلب .

٥- أدع لنفسك كثيراً، فالدعاء مخ العبادة.

واحذر..

ستطاردك الوساوس، ويتصدى لك الشيطان بأفكار شتى، ويسخر منك على مساعدتك لخصم لك، سيقول لك الكثير فإذا أردت أن تفشل.. صدقه، وكحل أخير.. إن فشلت بعد كل هذه المحاولات، حاول أن تبتعد عن رؤية هذا الشخص أو أي مصدر يذكرك به إن أمكن.

... والسلام.

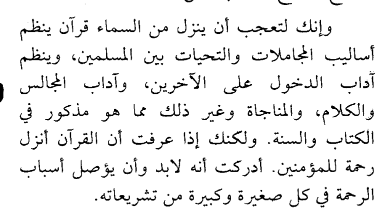
***

ثالثاً - الأخلاق

آداب الاستئذان

هكذا الإسلام دائماً يهتم بجميع قضايا الإنسان وجميع أموره صغيرها وكبيرها، ويزداد اهتمامه بإيجاد أنواع الترابط بين المسلمين، وإيجاد أسباب التواد والتراحم والتآلف حتى يتكون المجتمع المتعاون على البر والتقوى، والمتماسك تماسكاً قوياً كأنه بنيان مرصوص.

وتجد الإسلام في ذلك حريصاً على تهذيب النفوس وتربيتها على نظام رباني كامل، فيه مراعاة جميع الظروف والأحوال التي يكون عليها الإنسان، وفيه اعتبار الحالات المختلفة، ووضع العلاج المناسب لكل حالة.



وإنك لتعجب أن ينزل من السماء قرآن ينظم أساليب المجاملات والتحيات بين المسلمين، وينظم آداب الدخول على الآخرين، وآداب المجالس والكلام، والمناجاة وغير ذلك مما هو مذكور في الكتاب والسنة. ولكنك إذا عرفت أن القرآن أنزل رحمة للمؤمنين. أدركت أنه لابد وأن يؤصل أسباب الرحمة في كل صغيرة وكبيرة من تشريعاته.

وموضوع حديثنا اليوم قد يظهر للوهلة الأولى أنه موضوع بسيط لدرجة قد لا يلتفت إليها البعض، باعتبارها أمرًا بسيطًا لا يستحق كثير من الاهتمام، إلا أن الإسلام ينظر إليه نظرة غاية في الأهمية.. نظرته إلى الأخلاق والأدب والذوق الذي يحرص أن يلتزم به المسلم، وهي نظرة يدافع عنها الإسلام على طول الخط مهما تكن الظروف، ليصل إلى رقي العلاقات بين المسلمين بعضهم البعض وبينهم وبين غيرهم حتى في أدق تفاصيلها... الاستئذان.

والأصل في هذا الموضوع قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[النور].

معنى تستأنسوا: تستأذنوا، ومعنى تستأذنوا: تطلبوا الإذن في الدخول.

ومعنى أزكى لكم: أطهر وأحسن.

وهذه الآيات بينت الأحكام والآداب الشرعية المطلوبة عندما يدخل المسلم مكاناً خاصاً بغيره وليس من الأماكن العامة، وجاءت الأحاديث فزادت الأمور توضيحاً، وتنحصر هذه الأحكام والآداب في الآتي:

١- يحرم أن يدخل الإنسان بيت غيره بغير إذنه، والنهي عن ذلك صريح في الآية، لأن بيت الإنسان ملك له، ملك رقبة وانتفاع إذا كان ملكاً خاصاً به، أو ملك انتفاع فقط إذا كان مستأجرا له، ودخول إنسان ملك غيره بغير إذنه انتهاك حرمة حق الملكية أيا كان نوعها، وذلك حرام.

٢- يستأذن الإنسان ثلاث مرات فإن أذن له دخل، وإلا رجع لقوله ﷺ " الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع " رواه البخاري ومسلم.

٣- لا ينظر في بيت أحد قبل أن يؤذن له، وعليه ألا يقف مقابل الباب، بل يقف إلى يمين الباب أو يساره للحديث الذي في الصحيحين: " إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ".

٤- يكره إذا استأذن فقيل من بالباب ؟ فقلت: " أنا " لأن كلمة " أنا " لا تفصح عن قائلها، ولكن يقول " فلان " بذكر اسمه أو كنيته إذا كان مشهوراً بها فقد أخرج الجماعة عن جابر رضي الله عنه قال: " أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبى، فدققت فقال: من ذا ؟ فقلت: " أنا " فقال: (أنا. أنا) كأنه كرهها ".

وثبت في الصحيحين أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ فقال له: من ؟ قال أبو بكر، وكذلك فعل عمر وعثمان. وجاءت أم هانئ بنت أبى طالب تستأذن فقال النبي ﷺ " من ؟ " فقالت: أم هانئ، وأمثلة ذلك كثيرة، فعلى الإنسان أن يذكر ما به يعرف، ويكون به متواضعاً.

٥- جاء في سنن أبى داود بإسناد صحيح عن ربعي بن خراش قال: " حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال أألج ؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: " قل السلام عليكم، أأدخل ؟ " فسمعه الرجل قال: السلام عليكم، أأدخل ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل ". في الحديث ذكر السلام قبل الاستئذان، وفى الآية السابقة ذكر الاستئذان قبل السلام، ولذلك اختلف العلماء، بأيهما يبدأ ؟ هل يبدأ بالسلام أم يبدأ بالاستئذان ؟ قال الإمام النووي: وتقديم السلام على الاستئذان هو الصحيح، وهناك رأي آخر بأن تقديم الاستئذان أولى، ورأي ثالث بأن الأمر يرجع إلى مقتضى الحال، فإن وجد صاحب المنزل ظاهراً ووقعت عينه عليه سلم ثم استأذن، وإن لم تقع عليه عينه قدم الاستئذان، وحالة الناس اليوم أن يدق الإنسان على الباب أو يضغط على الجرس فيخرج إليه صاحب البيت أو خادمه، فعليه حين يخرج إليه أن يسلم عليه، ثم يستأذن في الدخول، ويتريث قليلاً في الدخول حتى يطمئن إلى أن صاحب البيت قد أعد

نفسه، فقد جرت العادة أن يقول صاحب البيت للزائر بمجرد ملاقاته " تفضل، ادخل، شرفنا... إلخ " وقد لا يكون قد أعد نفسه فالتريث يعطيه فرصة لذلك ويتفق مع الغرض من الاستئذان.

٦- الاستئذان عند الدخول على الأمهات والأخوات والمحارم مطلوب، حتى لا تقع عينه عليها وهي عريانة، أو في حالة لا تحب أن يراها عليها أحد. قال ابن مسعود: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم. وقال طاووس: ما من امرأة أكره إلي أن أرى عورتها من ذات محرم. والآية تشمل الجميع خصوصاً إذا كن يعشن في بيوت خاصة بهن.

٧- يستحب أن يعلم الرجل زوجته بدخوله حتى لا يراها على حالة يكرهها. جاء بإسناد صحيح عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى الباب تنحنح كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه، وجاء عنه أنه كان إذا دخل الدار استأنس (تكلم ورفع صوته). وقال الإمام أحمد بن حنبل: إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح أو يحرك نعليه، ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يطرق الرجل أهله تروقا – وفي رواية ليلاً – يتخطونهم ". يعني لا يفاجئهم تهمة وتخونا.

٨- إذا استأذن المسلم على غيره فلم يأذن له بالدخول بأن اعتذر إليه لأنه مشغول أو لأن البيت غير معد أو لأي سبب آخر سواء ذكر السبب أو لم يذكر، فإن على المسلم أن يقبل الاعتذار ويرجع دون ضيق أو غضب أو تأثر سيئ، فإن ذلك أزكى وأطيب وأطهر للقلوب، وهو الموافق لروح الأخوة الإسلامية المبنية على التراحم والتسامح ورفع الحرج عن الآخرين، وذلك هو ما نصت عليه الآية. ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[النور] ولا يشترط أن يقول لك أخوك " ارجع " بل كل قول أو فعل يفهم منه ذلك يكفي في الرجوع.

٩- إذا كان لغيرك بيت من البيوت التي يدخلها عامة الناس، والتي سمح لهم صاحبها بارتيادها سواء كان موجودا فيها أو غير موجود، مثل بيوت الضيفان، ومنازل المسافرين والديوانيات (المضايف) العامة، فليس عليك أن تستأذن من صاحبها في كل مرة، إنما يكفي الإذن العام في الدخول، سواء كان الإذن قوليا أم فعليا، بأن وجدت الناس يدخلون هذا البيت على أنه للجميع، أو عرفيا بأن عرف عند الناس أن هذه البيوت كذلك، ويقاس على هذا الأماكن العامة مثل أماكن التجار والصناع والمعارض، والمتاحف ودور الكتب العامة ونحوها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور].

١٠ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[النور]. قال ابن كثير في تفسيره: هذه الآية الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض، وما تقدم في أول السورة فهو استئذان الأجانب بعضهم على بعض، فأمر الله المؤمنين أن يستأذن عليهم خدمهم المملوكون لهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة (أوقات):

الأول- من قبل صلاة الفجر لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم.

الثاني- حين يضعون ثيابهم (أي يخلعونها كلها ولا يبقى إلا الغطاء، أو يخلعون ثقيلها فقط) وذلك في وقت الظهيرة وهو وقت القيلولة.

الثالث- من بعد صلاة العشاء، لأنه وقت النوم، فيؤمر الخدم المملوكون والأطفال بالاستئذان في هذه الأوقات، وألا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال التي يخشى فيها أن يكون أهل البيت على حالة لا يرضون أن يراهم أحد عليها، أما في غير هذه الأوقات فلهم أن يدخلوا بدون استئذان، لأن من طبيعة أعمالهم وحياتهم أنهم طوافون على أهل البيت دخولاً وخروجاً.

- فإذا بلغ الأطفال الحلم فعليهم الاستئذان في جميع الأحوال، وهذا دليل على أن الأقارب الكبار يستأذن بعضهم على بعض سواء كان القريب أباً أم أماً، أم أخاً، أم أختاً، أم غيرهم، والقائلون بنسخ هاتين الآيتين ليس لهم دليل على ذلك قوى. أ هـ. بتلخيص.

- وإنما قلنا في الخادم. أن المراد به هو الخادم المملوك، لأن الخادم المملوك يعامل معاملة المحرم، أما خدم اليوم فهم أجانب عن أهل البيت بكل ما في الكلمة من معنى، والتساهل في أمرهم يوقع في ذنوب كثيرة، ومصائب كبيرة، سواء أكان الخادم ذكراً أم أنثى، وتزداد المصيبة حين يكون الخادم على غير الإسلام، كما هو الحال عند أكثر الناس وأكثر الأسر. ويلاحظ أن الطفل الذي يؤمر بالاستئذان هو الطفل المميز الذي يعي ويدرك ما يفعل، ويعرف عورة الرجل وعورة المرأة، وتعلق الأفعال والمظاهر الخاصة بذهنه، ويمكنه أن يحكيها ويعبر عنها، أما الطفل الذي لم يصل إلى هذا الحد فلا شيء في دخوله وخروجه في أي وقت، بل ولا في نومه في حجرة أبويه، كما يفهم من الآية عدم نوم الأطفال المميزين مع الأبوين أصلاً إلا لضرورة، كما يجب أن يفهم أن إغلاق أبواب الغرف في أيامنا هذه يعد مانعاً من الدخول، ويكون فتحها إذناً بالدخول لمن أراد.

- كما يفهم مدى اهتمام الإسلام بتنظيم حياة الناس تنظيماً فيه الرحمة ورفع الحرج والضيق، وفيه الأدب الرفيع والسمو الذي لا مثيل له.
- ليتنا نعود إلى الإسلام في جميع آدابه ونظمه لنرى الناس أرفع الآداب وأسمى النظم وأجمل حياة...

آداب الحديث مع الغير

للحديث مع الغير في الإسلام أصول وآداب يجب مراعاتها حتى يكون المسلم واقفا عند حدود الله تعالى، يسعى إلى مرضاته متجنباً غضبه، فما أكثر عثرات اللسان حين يتكلم! وما أكثر مزالقه الاجتماعية، ووقوعه في أخطاء في منتهى الخطورة على النفس وعلى المجتمع! ويكفي لمعرفة خطورة اللسان وما ينطق به والآثار المترتبة على الحديث بقوله ﷺ: «**من يضمن لي مابين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» (رواه البخاري والترمذي).

وقوله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**». (رواه البخاري ومسلم).

آداب الحديث:

١ – أن يكون الكلام هادفاً إلى الخير.

قال تعالى: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾**﴾ [النساء].

والكلام الهادف هو: كل كلام فيه خير للمتكلم أو لغيره فهو كلام هادف مفيد، وكل منطق أريد به وجه الله تعالى وكان مؤداه كذلك، فهو خير يثاب عليه صاحبه، وجملة القول في الكلام الهادف إلى الخير:

" هو الكلام الذي يثاب عليه قائله، والكلام المطلوب لأمر شرعي من أمور الدنيا " مثل:

- كلام في المذاكرة. – كلام في الدين. –كلام في التسلية المباحة.

قال رسول الله ﷺ: " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت** " (رواه البخاري ومسلم).

٢ – البعد عن الخوض في الباطل:

المراد بالباطل هنا المعاصي، مثل حكايات النساء مما يثير الفتنة ويلهب الشهوة، ومثل المشاهد الخليعة في الأفلام والصور الخليعة في المجلات، وحكايات حفلات الرقص والغناء للراقصة الفلانية والمطرب الفلاني، والحياة الخاصة لعادات الذين ينشرون الفسق والفجور بين الناس، مثل بعض الممثلين والمطربين، وبعض لاعبي الكرة المعروفين بتدني المستوى الأخلاقي لهم، أو أحاديث غيبة عن صديق أو مدرس.

كل هذا حرام، لو كان على سبيل التفكه والتلذذ، أما إن كان ذلك على سبيل النقد

والتحذيرَ منهم فإن ذلك لا يسمى باطلاً ولكن احرص على صدق النية.

قال رسول الله ﷺ: **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة** " رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح. وثبت عن ابن مسعود قوله: أعظم الناس خطايا يوم القيامة.. أكثرهم خوضاً في الباطل.

وقال سلمان: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في معصية الله.

البعد عن المراء والجدل:

المراد بالمراء: الجدل الذي لا يراد منه الوصول إلى حق، ولا يكون على سبيل البحث عن أي شيء غير واضح. وإنما المقصود منه تعجيز الطرف الآخر وإفحامه حتى وإن كنت غير محق.

قال رسول الله ﷺ: " **ما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل** " (رواه الترمذي).

والإسلام يدعو إلى حرية النقاش، وعلى المسلم أن يتعود على ذلك، ولكن النقاش الهادف الذي يهدف للبحث عن حقيقة، أما إذا تحولت النية فأصبح الهدف منها، هزيمة الطرف الآخر فإن الحقيقة تضيع وتنفر النفوس من بعضها البعض.

وعلى المسلم إذا شعر أن الجدال بينه وبين أخيه سيصل إلى نقطة النفور أن يهدئ الموقف ويواصل الحوار بعدها فإن لم يستطع فلينه الحوار حتى وإن تنازل عن رأيه الذي يعلم أنه حق.

قال رسول الله ﷺ: " **أنا زعيم بيت في ربض الجنة** (ما يحيط بها خارجاً عنها) **لمن ترك المراء** (الجدال) **وإن كان محقاً** " (رواه أبو داود).

قال مالك بن أنس: المراء يقس القلوب ويورث الضغائن.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا نتعلم العلم لثلاث ولا نتركه لثلاث:

لا نتعلمه لنتمارى به، ولا نباهي به، ولا لنرائي به، ولا نتركه حياءً من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل عنه.

وترك المراء يكون بصورة تهدئ الموقف، وتحفظ ماء وجه الطرف الآخر، فلا تظهر له أنك تركت المراء لغضب منك أو لأن عقله ضعيف ولا يستحق استكمال النقاش معه، وهناك بعض الجمل التي تحقق الغرض مثل:

١ – ربما تكون على حق..

٢ – فلنعلق الأمر الآن.. ونعود للنقاش فيه مرة أخرى لعل أحدنا يعثر على الجديد.

٣ – أتفق معك في عدة أمور مثل كذا وكذا، أما باقي الأمور فاعذرني فيها..

وحكم المراء أنه معصية.. لأنه يؤدى إلى الغضب وتنافر النفوس.. والأخطر.. أن المراء قد يحدث بلبلة عند الطرف الأقل ثقافة وعلماً ودراية بالموضوع، إذا كان الطرف الآخر لا هم له إلا إظهار جهله وعجزه فيلبس عليه حقائق ما هي بحقائق ويسرد وقائع وأحاديث لم تحدث بغرض إقناعه بالكذب، فينقل الكلام والقصص بلا أمانة حتى ينتصر لوجهة نظره، ويستسلم الطرف الآخر الأقل علماً ودراية للأمر ويظل يفكر فيه فيقتنع بالباطل على أنه حق.

وقد حدث هذا بالفعل في السنوات الأخيرة، من شباب جهل أصول دينه وحدود المفاهيم الإسلامية وشحن بالغرور وادعاء العلم مما سبب ضلالاً وفتناً كلنا على علم بها.

البعد عن التكلف في الكلام

- يجب على المسلم عدم التكلف في الكلام، وذلك بأن يأتي بألفاظ في أثناء كلامه لا يفهمها الطرف الآخر بغرض إظهار الثقافة والمعرفة، وربما يحب بعض خطباء المساجد استخدام بعض ألفاظ صعبة لإظهار العلم واكتساب الثقة، ولكن الذي يعنينا الآن هو الأحاديث الشبابية، فالتكلف فيها لا يكون عن طريق الألفاظ العربية الغريبة وإنما عن طريق المصطلحات الإنجليزية، فكثيراً ما نجد شاباً يتحدث حديثاً عادياً ثم يقذف ببعض الكلمات الإنجليزية في وسط حديثه وهو يعلم أن مستمعه لا يفهمها، وإنما قالها على سبيل التكلف والتعالي وهو نوع من النقص يعانى منه المتحدث ويسبب إحراجاً شديداً للطرف الآخر لأنه لا يستطيع مواصلة الحديث بنجاح. وغالباً ما يخطئ في الرد فيصبح متهماً بالجهل ومثاراً للسخرية.
- كما يكره أن يبحث المسلم عن أخطاء الطرف الآخر لتكون مثار حديثه أو أخطاء الآخرين، إلا إذا كانت بسبب النصيحة العاقلة الحكيمة التي تعرف وقتها وشخصها، والنية تلعب دوراً كبيراً في هذه المسألة.
- كما يمنع التضييق على الغير، وذلك بسؤاله أسئلة عويصة وصعبة بغرض التعجيز، وهو سلوك يمارسه العديد من الطلبة مع المدرسين، وللأسف يمارسه المدرسون مع بعضهم البعض لإظهار تفوق مدرس على آخر، بأن يبعث مدرس سؤالاً أو مسألة صعبة مع طالب على أنها من الطالب نفسه، ويتعمد الطالب أن يسألها للمدرس أمام الفصل إمعاناً في إحراجه. وهى أفعال صبيانية تدل على نقص في الشخصية وسوء في النية.
- كما يجب على المسلم الفطن، عندما يسأل مدرساً أو شخصاً ما أن يتلمس فيمن يسأله القدرة على إجابة السؤال، فما الداعي أن يسأل مدرساً متواضعاً في مادته العلمية أو

شخصاً متوسط الثقافة سؤالاً صعباً لا يسأل إلا لمتمكن إلا إذا كنت سيئ النية، تهدف إلى التضييق والإحراج والتعسير (والمنظرة).

- كما يجب أن يستشعر المسلم حد الكلام الذي يجب أن يتحدث به مع الطرف الآخر.
- قال رسول الله ﷺ: **إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** (رواه الترمذي وحسنه).

والثرثارون: الذين يتحدثون بكثرة بصورة تضايق الطرف الآخر.

المتشدقون: المتطاولون على الناس بكلامهم.

المتفيهقون: الذين يريدون إبراز علمهم وثقافتهم بغرض التعالي على الناس.

فلا يزيد في حديث وهو يرى مستمعه متعباً أو متعجلاً أو متضايقاً من أمر ما فهو غير مستعد للحديث الآن.

وأيضاً: أن يتحرى المسلم أن يسأل الأسئلة المهمة المفيدة، لا الأسئلة التافهة التي لا تؤدى إلا لضياع الوقت والجهد.

قال الحسن البصري: شرار عباد الله ينتقون من شرار المسائل يعمون بها على عباد الله.

- أن يخاطب كل إنسان بما يناسبه شرعاً وعرفا.
- فالألفاظ التي تستخدمها مع شيخ كبير ليست هي نفس الألفاظ التي تستخدمها مع طفل، وليست التي سوف تستخدمها مع المدرس، والألفاظ التي تستخدمها مع زميل ملتزم دينياً، ليست هي الألفاظ التي ستستخدمها مع شخص قليل الحياء لا يعرف دينه ولا يلتزم بخلق.
- فالكبار كالأب والأم: لابد أن نحدثهم بصوت منخفض، وبتواضع وتؤدة، ولابد أن تسبق الحديث بحضرتك أو يا حاج أو يا شيخ.. إلخ.
- أما الأطفال: كإخوتك الصغار فتكلمهم برفق ولين وتناديهم بـ (يا حبيبي) مثلاً أو تلقبه باسم دلع خاص بالولد أو البنت، وتحدثهم في أمور تهمهم كالقصص الجميلة الهادفة أو الألعاب التي يحبونها.
- ولا ينبغي أبداً أن نصف الفاسقين والفاجرين الذين ينشرون الفساد من المطربين والراقصات والممثلين ولاعبي الكرة الفاسدين بألفاظ نجوم وكواكب وأبطال.... إلخ فهي تضليل لنا ولهم وللناس جميعاً.

أما مدح الإنسان لغيره، فقال العلماء:

إنه يجوز: إذا كان الممدوح عنده كمال إيمان وحسن دين بحيث لا يفتن ولا يغتر، وإن

خيف عليه شيء من ذلك كره مدحه كراهة شديدة.

إذن الشاهد من الأمر هو الفتنة والغرور.

أما إذا كان المدح على سبيل التشجيع كطالب كان متكاسلاً، فاجتهد، أو مسلم عاد للصلاة بعد انقطاع فهو أمر مطلوب.

قال رسول الله ﷺ في مدحه لعمر بن الخطاب: "**يا عمر ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً** (طريقاً) **إلا سلك فجاً غير فجك**".

فالرسول ﷺ يأمن على عمر من الغرور والفتنة.. فلا مانع إذن من مدحه بغرض التشجيع واستنفار الآخرين.

و قال رسول الله ﷺ لعلى: "**أنت منى وأنا منك**".

و قال رسول الله ﷺ لبلال: "**سمعت دقّ نعليك في الجنة**" (أي صوت مشيك فيهما).

و قال رسول الله ﷺ لأشجع عبد القيس: "**إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله: الحلم والأناة**".

***

آداب الطريق (الجلوس والمشي على الطريق)

الجلوس على الطريق..

سلوك سخيف وغير أخلاقي يكرهه الإسلام.. ومنظر لم يعد مقبولاً من أشخاص يحبون أن يتصفوا بالأدب والالتزام بالدين.

وللأسف يفعله الكثير من الطلبة في مظاهر شتى:

١- الجلوس على مصاطب أمام بعض المدارس لملاحقة الفتيات بالنظرات.

٢- الجلوس على سلم الكباري العلوية.

٣- الجلوس على مصاطب أمام البيوت.

٤- إخراج الكراسي أمام المحال التجارية والجلوس عليها.

ولقد كره الإسلام الجلوس على الطريق. حتى هم النبي ﷺ أن يمنعه ويحرمه، للأسباب الآتية:

١) التعرض للوقوع في الممنوع شرعاً، مثل النظر إلى النساء، مع الأخذ في الاعتبار أن النساء في عهد الرسول الله ﷺ كن يلتزمن بالزى الشرعي الذي لا يثير غريزة ولا يحرك شهوة، فما بالك الآن بما تلبسه الفتيات من ملابس محرمة تفسد الشباب، وتدعوهم إلى الرذيلة.

٢) مضايقة المارين والمارات، فإن الشخص المار رجلاً كان أو امرأة أمامهم يشعر أنه مراقب من هذه المجموعة الجالسة ويخشى أن يلمحوا فيه عيباً، في ملبس أو مشية أو يتحدثوا عنه بكلمة يكرهها ويظل هكذا حتى يبتعد عنهم بمسافة تريحه من هذا الهاجس المقلق نوعاً ما.

ولكن المستوى الاقتصادي الذي كان يعيش فيه معظم الصحابة في هذا الوقت كان ضعيفاً نوعاً ما، فكانت البيئة ضيقة، وليست فيها أماكن تصلح لمثل هذه الجلسات الدائمة أو شبه الدائمة، لذلك سمح النبي ﷺ بالجلوس عليها، مع الالتزام بآداب الجلوس في الطرقات.

وفى وقتنا هذا لم يعد أحد منا في حاجة لأن يجلس على الطريق، فهناك من الأماكن داخل البيوت وخارجها ما يسع من تريد أن تجلس معهم في سعة وحرية.. ولذلك ندعو إلى عدم الجلوس على الطريق من الأساس إلا إذا كانت هناك ضرورة قصوى، تحددها حالة بعينها.

أما الذي سنتحدث عنه الآن هو آداب المشي على الطريق، وقد ذكر ذلك في عدة

آداب سنضيفها إلى آداب الجلوس على الطريق.

آداب المشي على الطريق:

١- غض البصر

لا ينكر أحد أن غض البصر وأنت سائر في الطريق – أي طريق – لهو أمر صعب وشاق على النفس. ليس لكثرة المارات من النساء فقط ولكن للتنافس الشديد بينهن في لفت أنظار المارة من الشباب إليهن، فيتبارين في الزينة والتعري – كل هذا معروف – واعلم أنه كلما صعب العمل كلما زاد أجره فجاهد نفسك قدر المستطاع، واصرف نظرك بسرعة، واذكر الله كثيراً في الطريق، واطلب العون على ذلك بالدعاء الكثير، وستأتي كلمة خاصة عن غض البصر – إن شاء الله – .

٢ – كف الأذى عن المارين بقول أو فعل

– إيذاء المارين بالقول: مثل:

أ- السب.

ب- مناداة أحد زملائك باسم يكرهه.

ج- السخرية من أحد المارين، كالسخرية من العيوب الجسدية كالطول أو القصر والسمنة والنحافة.

د- الغمز واللمز، مثل الكلمات السخيفة التي تقال على البنات من قبيل المعاكسات. وهي إحدى الخطايا التي يتبارى فيها الشباب والطلبة في هذه الأيام.

– والإيذاء بالفعل مثل:

٣- ألا يحمل ما يزعج الناس مثل:

أ – جهاز (كاسيت) عالي الصوت. ب – سلاح يشهره في وجه الناس بصورة مخيفة مثل: خنجر أو مطواة أو مسدس محشو بالطلقات يخشى الناس من خروج طلقاته (وهي عادة حمقاء اعتادها بعض الناس في الأفراح وحدثت منها الكثير من الحوادث) أو عصا أو كرباج ولو احتاج الأمر في بعض المواقف لأن يحمل أحد الأشخاص سلاحاً من قبيل الضرورة، فكل جزار في سوق يحمل خنجراً فليمسك السلاح من الموضع الذي لا يؤذي الآخرين.

عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها** ثم ليأخذ بنصالها، قال: فقال أبو موسى: والله ما متنا حتى سددناها بعضنا في وجوه بعض" (رواه مسلم).

عن أبى هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: "**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**" (رواه مسلم).

وكم من الحوادث حدثت بين الأصدقاء الأحباء من جراء نوع من التهريج السخيف بالسلاح وانتهى بعضها بقتل أحدهم وسجن الآخر.

قال رسول الله ﷺ: "**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**" (رواه مسلم).

والمقصود أنه قد يغلبه الشيطان فيحرك يده فتؤذى الآخرين أو تقتلهم ظلماً فيكون جزاؤه النار.

جـ - عمل مقالب في المارة كالمقالب التي نراها في الكاميرا الخفية مثل:

- طلب مساعدة من شخص لكي يحمل صندوقاً فإذا لبى طلبك أفزعته بخروج طفل من الصندوق، فهذا حرام من وجهين لأنك أخفت الرجل أولاً، وثانياً: لأنك جعلته يندم على فعل الخير.
- وينبغي الإشارة إلى أن العديد من برامج الكاميرا الخفية تتسبب في إيذاء مشاعر الناس وإحراجهم وربما مشاكل نفسية تستمر فترة طويلة.

٣ - **إفشاء السلام** "بإلقائه على الواقف. ورد السلام على من يلقيه عليك من المارين.

٤ - **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مثل:**

أ- دعوة زميل للصلاة في المسجد إذا كنت ماراً به في وقت آذان.

ب-التصالح بين متخاصمين علا صوتهما في الشارع على قدر استطاعتك.

ج- نصيحة بعض الشباب الذي يقف لمعاكسة الفتيات.

د- نصيحة بعض الشباب الذي تعود على سب الدين دون وعى أو فهم.

٦ - **تشميت العاطس.** ٧ - **مساعدة من يحمل متاعه على سيارة أو دابة.**

٨ - **إغاثة الملهوف.** كشخص يبحث عن ابن ضائع له، أو شخص يبحث عن سيارة لنقل قريب له حدث له مكروه كحادث سيارة مثلاً، فحاول المساعدة بقدر الإمكان.

٩ - **إرشاد ابن السبيل:**

كثيراً ما نجد أشخاص يريدون الاستفسار عن عنوان لشخص أو مكان ما، ولقد درج الناس على تضليل هؤلاء الأشخاص بعدم الدقة في الوصف، أو بالإفتاء عن جهل، وتكون النتيجة تعذيب الرجل وضياع وقته، فيراعى في هذا الأمر الدقة في الوصف، أو توصيله إلى

المكان إن أمكنك هذا في حالة العلم بالأمر، أما في حالة الجهل به، فحاول أن تدله على من يعرف، أو قل لا أعرف. فهذا خير له ولك.

١٠ – نصرة المظلوم مثل:

١- التدخل في مشادة تعرف تفاصيلها (بين شخصين) ثم تقول كلمة الحق لنصرة المظلوم على الظالم، ولكن بصورة تهدئ الموقف ولا تشعله.

٢- قد يتعرض الإنسان لموقف يرى فيه جريمة ترتكب مثل جريمة سرقة، فعليه أن يمتلك الشجاعة لنصر المسروق وتخبر عن السارق إذا أمكنك ذلك وتحضرني قصة طريفة في هذا الموضوع:

رأي أحد الأشخاص شخصاً يسرق في الشارع، فخشي من السارق أن يناله بأذى، فانتظر حتى سرق السارق وهرب إلى مسافة بعيدة جداً، عندها جاء هذا الشخص إلى الرجل المسروق وقال له: هل ترى هذا الرجل الذي يجرى بعيداً.. قال له: نعم.

فقال له: لقد سرقك !!!

١١- ذكر الله تعالى:

من الحقائق الغريبة والمثيرة للدهشة، أن الإنسان قد يستطيع أن ينجز أعمال مهمة وضخمة في أوقات لا يمكن أن يتخيل أن تصلح لإنجاز أي شيء، منها أوقات السير في الطريق، مثل وقت الذهاب إلى المدرسة والعودة منها، والذهاب والعودة من الدروس الخصوصية والذهاب لشراء حاجيات المنزل أو حاجياتك الشخصية أو شراء الخبز... إلخ.

ويرجع عدم التفات الشخص إلى هذه الأوقات إلى أنها أوقات مجزأة بصورة تشعر الشخص أو الطالب أنها لا تصلح لشيء ولكن التجربة أثبتت أنها تصلح للآتي:

١- قراءة أذكار الصباح والمساء مرة يومياً.

٢- الاستغفار مائة مرة في اليوم.

٣- التسبيح والتهليل والتكبير مائة مرة في اليوم.

٤- تسميع ربعين من القرآن يومياً.

٥- حفظ ٥ آيات يومياً إذا كنت تركب وسيلة مواصلات يومياً لمدة ربع ساعة فقط.

والمفاجأة الكبرى أن طالباً مثل طالب الجامعة يستطيع بهذه الطريقة أن يحفظ القرآن كاملاً وبإتقان شديد في وسيلة المواصلات والسير في الشارع في مدة أقصاها أربع سنوات فقط.. هي فترة الدراسة المعتادة في الجامعة.

انظر كم من الثواب ستناله وكم من الحسنات ستحصيها، وكم من الحصون ستضعها

كل ثانية بينك وبين الشيطان إذا ذكرت الله في الطريق.

١٢ – إبعاد الأذى عن الطريق

- مثل إبعاد حجارة في وسط الطريق، أو زجاج مكسور قد يؤذى أحد الأطفال الحفاة الذين يلعبون في الشارع ليل نهار.
- والأولى بالطبع ألا يعوق هو السير في الطريق كأن يضع دراجة أو سيارة في وسط الطريق أو أمام محل تجارى فينغلق، ولا يحشر نفسه في مكان مزدحم بالنساء، ولا يلقى بفضلات الأطعمة في وسط الطريق.
- قال رسول الله ﷺ: "إن شجرة كانت تؤذى المسلمين فجاء رجل فقطعها فدخل الجنة" (رواه مسلم).
- عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ: قال: «**بينما رجل يمشى بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره** (أبعده) **فشكر الله له فغفر له**» (رواه مسلم).
- عن أبى برزة قال: قلت يا نبي الله: علمني شيئاً أنتفع به، قال: "**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**" (رواه مسلم).

١٣ – التواضع في أثناء المشي والتسامح مع من تعاملهم.

يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[الفرقان].

- يمشي الطلبة والشبان الآن في الطريق وكأنهم امتلكوه، صوت مرتفع، وتشابك الأيدي، وسير بالأربعة في وسط الطريق، واستعراض للعضلات بالملابس الضيقة التي تبرز الجسد، وتكبر في المشية والإشارة والكلام واستعراض للملابس الغالية، وكلها صفات لا تليق بالمسلم.
- لقد وصف القرآن مشية المسلم، بأنها مشية فيها سكينة ووقار وتواضع وليس فيها تعال ولا افتخار في مخاطبة الناس، حتى إذا خاطبهم الناس بجهل، حاول احتواء الموقف وعدم تصعيده لتمر الأمور بسلام بقدر الإمكان.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء:٣٧].
- وعن أبى هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً** (كبراً) " (متفق عليه).

- وليس المقصود هنا ألا يلبس المسلم الجديد النظيف، لا فليلبس ما شاء مما أحل الله، ولكن المقصود هو عدم التفاخر بما يلبسه أمام الناس لإشعارهم أنه الأغنى والأفضل وأن غيره هو الأقل.

- قال رسول الله ﷺ: "**بينما رجل يمشي في حلة**(ثوب حسن) **تعجبه نفسه، مرجل رأسه** (سوى شعره بالمشط) **يختال في مشيته** (يميل ويتبختر) **إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض** (يغوص في الأرض) **إلى يوم القيامة**". (متفق عليه).

١٤- أن يحرص على الوصايا النبوية إذا كان مسافراً مع غيره وهي:

١- اتخاذ مسئول للمجموعة، قال رسول الله ﷺ: "**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**".

٢- التعاون والتحاب والإيثار بين المجموعة.

٣- الحرص على النظام.

٤- عدم ارتكاب المعاصي أثناء السفر.

***

آداب المجالس

وهل حياتنا إلا مجالس..

وهل حياة الطالب إلا تنقل من مجلس إلى مجلس.. وكلمة مجلس تأتى من الجلوس، فالفصل الدراسي مجلس، وفى الدرس الخصوصي مجلس، وفى البيت وسط والديك وإخوانك مجلس، ومع أصدقائك في منزلك أو منزل أحدكم أو مكان عام مجلس..

ورغم هذا العدد الهائل من المجالس التي نجلسها في حياتنا، وعلى كثرتها وتنوعها، لا يعرف الطالب قوانينها التي وضعها الإسلام، فأفرد لها آيات من القرآن الكريم وأجرى كلمات الهدى في أحاديث عديدة على لسان معلم البشر محمد رسول الله ﷺ.

وعدم تعلم قوانين المجالس - والتي سماها الإسلام آداباً، دلالة على أدب المسلم وذوقه - يؤدى كما سنرى بعد قليل إلى وجود الضغينة بين النفوس والفرقة بين الأصدقاء وعدم الرغبة في الحديث واللقاء بين الناس، وإيذاء الآخرين بصنوف مختلفة من أنواع الإيذاء..

لذا.. لم يكن الموضوع بسيطاً أو سهلاً.. ولذا كان لابد أن يضع الإسلام قواعده وتفصيلاته بدقة.. ولذا.. كان لابد أن نتعلم جميعاً..

آداب المجالس..

تعالوا معاً نتعلم من إسلامنا العظيم شيئاً جديداً.

أنواع المجالس:

*** أولاً- المجالس المحرمة:**

كل مجلس يجتمع على معصية فهو حرام، غضب الله على من اجتمعوا فيه... مثل:

١- مجموعة من الطلبة اجتمعوا لمشاهدة فيلم فيديو خليع أو مواقع إلكترونية إباحية.

٢- مجموعة من الطلبة اجتمعوا للجلوس على مقهى لشرب السجائر أو الشيشة ولعب ألعاب محرمة مثل الطاولة (أو أي لعبة تلعب بالنرد "الزهر") أو سماع أو مشاهدة الأغاني المحرمة (الفيديو كليب)، وهى ٩٩٪ من الأغاني الموجودة في السوق الغنائي الآن.

٣- مجموعة من الطلبة اجتمعوا على مجلس يتناولون فيه غيرهم بالغيبة والنميمة والأحاديث الفاحشة مثل أحاديث وصف البنات والمغامرات التي تحدث معهم والأحاديث التليفونية التي تتم بينهم أو تبادل النكات الجنسية الفاجرة.

٤- مجالس الغش بين الطلبة في الامتحانات.

*** ثانياً- المجالس التي يرضى الله عنها:**

بخلاف المجالس المحرمة التي ذكرناها، فهي مجالس حلال إن شاء الله، طالما لم تهدف إلى معصية ولم تحتوى على محرمات تغضب الله وتؤذى العباد.

*** ثالثاً- من حيث عدد من يجلس فيها:**

١- المجالس العامة: مثل مجالس العلم في المساجد أو المدارس أو المضايف العامة (الاستراحات).

٢- المجالس الخاصة: وهى المجالس التي يدعى إليها عدد معين من الناس مثل: الدرس الخصوصي للطلبة، جلسة مجموعة من الأصدقاء عند صديق لهم، أو مجالس الإدارات والشركات وغيرها.

وهذه المجالس كلها آداب يطلب من المسلم الحرص عليها، لتظل الروابط بين المسلمين محكومة بأصول من الذوق الرفيع والنظام الجميل، وبإعطاء كل ذي حق حقه.

ومن هذه الآداب:

١- **مراعاة آداب الدخول:** (أو آداب الاستئذان وسنفرد لها حلقة كاملة بإذن الله).

٢- حسن المجالس:

أ- اللطف في المحادثة فيتجنب مضايقته بكلمة سخرية أو استهزاء أو تذكيره بأمر يحرجه، أو التعالي عليه في الحديث، أو إنقاص قدره وامتهان عقله.

ب- عدم الجدال الذي يؤدى إلى شحن النفوس والفرقة.

ج- أن يحرص على البشاشة وطيب الكلام.

د- عدم استخدام شيء ملك له إلا بإذنه مثل استخدام التليفون بالتحديد لأنه من الخدمات المكلفة مادياً، ينبغي ألا تكرر الأمر كثيراً عند الاستئذان منه. لأنه سيوافق بدافع الحرج منك، وقد تكون سبباً في إفساد أحد الأجهزة دون قصد، أو أدوات يضعها على مكتبه أو جهاز كمبيوتر أو تليفزيون أو فيديو... إلخ.

هـ- عدم العبث بأشياء تعتبر من خصوصياته مثل فتح كراسة خاصة به على المكتب، فقد تحوى أسراراً لا يريد لأحد أن يطلع عليها، وبالمثل التقليب في ملفات الكمبيوتر، أو التقليب في مكتبة كتبه أو شرائطه، كل ذلك لابد أن يكون بإذن مسبق منه.

***

اختيار الأصدقاء

الواقع يشهد أن العشرات مما نعرفهم، كانوا شبابا معروفين بحسن الخلق وجمال الطبع، ويعرف عن آبائهم الاحترام والوقار وحسن السيرة،فإذا بهم ينقلبون على أعقابهم.. انقلابا غريبا عجيباً مدهشا لآبائهم وأصدقائهم.. بل وربما لأنفسهم أيضاً..

وتنطلق عشرات الأسئلة من الأفواه والعقول، وتطرق أبواب مئات الإجابات..

وبعد عناء..تنكشف الحقيقة..

إنه..الصديق..

يا إلهي..ألهذه الدرجة يؤثر الصديق على الصديق.. ألهذه الدرجة يستطيع الصديق أن يمحو سنوات وسنوات من ذاكرة صديقه ويهوى به إلى هوة سحيقة بإرادته واختياره.

إنني لا أبالغ..هوة سحيقة..سحيقة.. أوهناك هوة أكثر سحقا من الكفر..

ولكي أثبت لكم ما أقول سأحكى لكم مأساة رجل خسر ملايين الجنيهات وعشرات القصور وألوف الخدم وهى على بعد أمتار منها..

ويا للهول..فقد خسرها بإرادته الكاملة واختياره الحر.. أتعرفون ماذا خسر.. لقد خسر الجنة..وإلى الأبد.

بطل المأساة.. رجل اسمه عقبة بن أبى معيط..

كان كافراً كمعظم أهل مكة.. كثيرا ما سمع كلام النبيﷺ.. ولم يلق بالا لحديثه..

ولكنه في لحظة صدق نادرة كانت أشبه بصفقة كصفقات رجال الأعمال التي قد ترفعه في لحظة إلى السماء..

تأثر.. ورق قلبه.. ووعى عقله..وأراد أن يسلم.. لقد قرر أن يذهب لمحمد ويعقد الصفقة..

الجنة مقابل الإسلام. إنها صفقة تجدر أن تكون سراً لا يطلع عليه أحد.

ولكن هل يخفى على صديقه الحميم هذا السر وإن أخفاه على الناس..كل الناس.

ما كان هذا أن يحدث.. وقرر أن يخبر صديقه الحميم.

يا إلهي..

كم كنت غبيا يا عقبة عندما اتخذت هذا القرار.. ألم تستطع أن تصبر حتى الصباح دون أن تكشف السر لصديقك الذي تعلم تماما أنه لن يوافقك..

بل لن يسامحك.. بل لن يتركك حتى تقوم بعكس ما كنت تنوى..ألم تكن تعلم أن هذا حتماً ولا بد أن يكون موقفاً طبيعياً من ألد أعداء النبي (أبو جهل)؟!

ألم تكن تتوقع أن يجن جنونه لما تقول..؟!

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد..

لقد فاجأ أبو جهل التاريخ بطلبه من عقبه أنه لن يتخذه صديقاً بعد اليوم إلا إذا ذهب إلى محمد في اليوم التالي وبصق على وجهه..

يا لها من جرأة.. وثقة في النفس.. ويا لها من مفاجأة..

ولكن المفاجأة الكبرى هي التي فاجئنا بها عقبة..

لقد قبل عقبة أن يفعل.. بل فعل.. وفعل.. وفعل.. حتى كان من أشد الناس إيذاء للنبي.. وظل بعدها عقبة كافراً حتى الموت. هنيئاً لك يا عقبة ما أنت فيه.

فلم أر في حياتي مغفلاً مثلك.

لقد حشر عقبة مع من أحب.. (أبو جهل).. وذهبا معاً إلى الجحيم.

وعلى جانب آخر كان هناك من هو على وعد بالحشر مع من أحب أيضاً..ولكن في جنات النعيم..

تأكلني الغيرة أحياناً كلما قرأت أن عياش بن أبى ربيعة كان صديقاً لعمر.. وأي عمر.. إنه عمر بن الخطاب.. الفاروق.. هنيئاً لك يا عياش بصداقة الفوز العظيم..

أتذكر يوم الهجرة للمدينة..كان موعدك مع صديقك عمر... وكانت النية صادقة.. والعزم قوى..

ولكن حيلة أمك كانت أقوى..

لقد بلغك وأنت في الطريق أن أمك تنشدك الرجوع وإلا فستقف في الشمس لا تتحرك وتحرم على نفسها الاغتسال حتى يصبها المرض.

رق قلبك يومها.. واهتزت مشاعرك واضطربت أفكارك..

وكنت في حاجة إلى صديق.. ولقد كان.. عمر..

فلقد حاول أن يقنعك أنه مجرد كلام يصعب تنفيذه،فإن صبرت أمك اليوم على حر الشمس فلن تصبر غداً.. وإن حرمت على نفسها الاغتسال اليوم فستغتسل غداً..

كلام منطقي مقنع..لكن العاطفة غلبتك وقررت الرجوع..

فماذا يفعل الصديق عمر وقد أعيته الحيلة؟ لا أمل إذن في إقناعك بالاستمرار..

ولكن ربما هناك أمل في عودتك مرة أخرى.. أعطاك حبيبك وصديقك ناقته لتتذكره كلما ركبتها أو رأيتها..

كنت أتمنى أن تشرح لنا ما قيمة ناقة في وقتكم لنعرف كم أحبك صديقك عمر..

ولكنى سأقر بها..إنها تعادل في زمننا هذا.. سيارة..

نعم سيارة... تركها عمر لصديقه عياش ليتذكره بها.. مجرد أن يتذكره..

ما أجمل الصداقة لو كانت من أجل الله.. حتما ستصل بالصديقين إلى الفوز والنجاة..

ولقد فزت يا عياش بعد أن ثبت..وعندما حانت الفرصة عدت وقررت الهجرة للمدينة لتقابل محمداً وصحبه.. وتعانقت مع الحبيب..عمر..

هنيئا لك يا عياش.. لقد حشرت مع من أحببت.

وحقيقة.. فإنه لا يتحمل إنسان أن ينصحه آخر بأن يقطع علاقته بصديق له قد ارتبط به منذ فترة طويلة، بدعوى أنه إنسان يفتقر إلى الأخلاق ويدعو إلى الرذيلة ويشجع على الفساد والفشل، وغالباً ما فشلت كل نصائح الآباء في هذا الشأن عندما يلاحظون أن شخصاً ما يؤثر عليهم بالسلب، وربما ينظر الأب إلى هذا الموضوع من زاوية واحدة فقط.. هي زاوية المذاكرة، ويلاحظ ارتباط هذا الصديق بضعف المستوى الدراسي.. وهى زاوية قوية لا شك، إلا أننا عندما ننظر لهذا الموضوع بمنظار الإسلام.. فإننا لا نستطيع أن نتجاهل زوايا أخرى عديدة وخطيرة.

أثر الصديق على الصديق

وصعوبة الأمر تكمن في أن المرء منا لا يرى في صديقه ما يراه الآخرون، فهو يرى فيه الأنيس والرفيق، وأنه الشخص الوحيد الذي يتفهم أفكاره ورغباته وطموحاته، وكل هذا شيء جميل ولكن المشكلة تأتى من أن هذا الصديق قد يتفق معنا في الخطأ ويشترك معنا في السقوط في مستنقع الفساد واللا أخلاقيات، والأخطر من ذلك أنه ربما يدعونا إلى محرمات لم نكن قد عاهدناها طيلة حياتنا، ولكننا نقبلها منه بدافع الحرج أو تحت ضغط نفسي معين

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله:

إن الصديق العظيم قد يقود صديقه إلى النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة أما الصديق الغبي فهو شؤم على صاحبه قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى**

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان].

نقل الطباع والسلوكيات:

من السهل أن تحدث عملية انتقال للطباع والعادات بين الصديق وصديقه وجميل أن تنتقل الأخلاق الحسنة من طرف إلى آخر، إنما الخطير أن تنتقل العادات الرذيلة والأخلاق الفاسدة كالاستهانة بالصلاة والسب ومعاكسة الفتيات وشرب السجائر.. مثلاً.. الكثير من الطلبة المدخنين لو سألتهم كيف عرفوا طريق التدخين، يجيبون أنها جاءت عن طريق صديق مدخن كان قد عرض عليه سيجارة في وقت تصادف فيه أنه يمر بمشكلة أو أزمة نفسية ولا يزال هذا الصديق يقنعه بالتدخين وأن (نفسًا واحداً سينسيه الدنيا) حتى يدخن، والمرة الأولى تأتي بالمرة الثانية والثالثة إلى أن ينضم إلى شلة المدخنين، وبذلك يضع نفسه على أول عتبة الإدمان والمخدرات، وكم من طالب متفوق ومجتهد أغراه صديقه بالنزوات وتضييع الوقت وإهمال المذاكرة، وباعتراف عدد غير قليل من طلبة الثانوية العامة بالتحديد، أن المجاميع القليلة التي حصلوا عليها كانت بسبب المذاكرة الجماعية التي تنقلب إلى جلسات فرفشة وهو أمر يستميل النفس ويأخذها بعيداً عن الالتزام والجدية. أما المعاكسات فحدث عنها ولا حرج، فالجميع يتسابق في معرفة أكبر عدد من البنات وأخذ أرقام تليفوناتهم ويفوز من يستطيع أن يحصل على أكبر عدد من أرقام التليفونات أو (يعلق) أكبر عدد من البنات والطرق اشتكت من كثرة المعاكسات التي تتم عليها طالما هناك شباب وفتيات وكأننا أناس لا دين لنا ولا حياء!!

ومن المفيد أن نذكر هنا ملاحظتين:

الأولى- في مجتمعنا عادة ما يكون الشخص ذو الخلق السيئ هو الشخص الأقوى الذي يستطيع أن ينقل سلوكه وتصرفاته إلى الآخرين الهادئين المستسلمين أو ضعاف الشخصية.

مثال: ما يحدث في الميكروباص أو الميني باص حيث نجد هذه النوعية هم الذين يقومون بالغناء الفاحش، ومعاكسة البنات بأعلى صوتهم وهن سائرات في الشوارع ونجد الهادئ الخلوق هو الهادئ الساكن الذي يتردد كثيرا قبل الاعتراض لعدم افتعال المشاكل.

الثانية- عدوى انتقال السيئات يكون أكثر سرعة من عدوى انتقال الحسنات فالهدم أسرع من البناء وانتقال المرض أسرع من اتباع إجراءات الشفاء من المرض.

الثالثة- كلما كانت الصلة قوية بين الصديقين كلما كانت الاستجابة ونقل الطباع سهلا وسريعا، ولخطورة الأمر، وحماية للخلق الحسن والعادات الكريمة فلقد شدد الرسول ﷺ على تخير الجليس (لاحظ الجليس وليس الصديق) فقال: **«مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب**

الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه». (رواه أبو داود).

فإذا كان هذا هو حال الجليس.. فما بالك بالصاحب والصديق؟

إن صداقة الأتقياء الأذكياء قد ترفع إلى القمة أما صداقة السفهاء فهي منزلق سريع إلى الحضيض قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية].

صداقة الإنترنت

وإذا كانت هذه الصداقة السيئة تتيح هذه الأفعال، وهى تتم بين صديقين مسلمين، هناك أمل أن يعودا في يوم من الأيام إلى الله، وأن يمتنعا عن أفعال محرمة في يوم يشعرون فيه أن هناك إلهاً سوف يحاسبهم وعذاباً ينتظرهم، إلا أن الأدهى والأمر هي صداقات من نوع جديد، من أجانب تتم عن طريق المراسلات أو عبر الإنترنت.. وهو أمر مثير للعجب!

إذ كيف يصادق المرء آخر في دولة كفرنسا أو إنجلترا حيث الاختلاف الجذري في القيم والأفكار والسلوك. إنها بلا شك مهلكة.

أسس اختيار الأصدقاء

ولا يتصور أحد من الحديث السابق أننا نهاجم الصداقة في حد ذاتها...

بل إننا فقط نهاجم صداقة السوء التي يحاول أحد أطرافها أو الأطراف جميعها هدم الأخلاق والقيم الدينية والاتفاق معاً على السير في طريق شيطاني لا آخر له إلا الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.. وفى الوقت نفسه ندعو إلى الصداقة الحقيقية التي نبحث عنها.. هي صداقة الوفاء والنصح وتحمل المسئولية والتشجيع على الطاعات والوقوف مع الصديق عند الأزمات.. فشتان بين ما نهاجمه وبين المجموعة التي تعرف ربها وتخشى أن تغضبه، إذا أخطأ الواحد منهم أو ارتكب معصية تجد من يذكره وإذا حضرت الصلاة تجد الجميع ينهضون للصلاة في المسجد مهما تكن الظروف حتى إن الفرد الذي لا يتحرك للصلاة يمنعه الخجل ألا يصلى معهم، فيتغلب على كسله ويهب إلى الصلاة، وإذا تلفظ شخص ما بلفظ محرم تجد استهجان كل من حوله يشعر وكأنه شخص غريب عنهم فلا يلبث أن يعود.

إن الصداقة هي توحد المشاعر والأفكار بين شخصين أو أكثر والخطورة أن تتوحد هذه المشاعر والأفكار في طريق مليء بالمعصية والمحرمات وغضب الله، قال رسول الله ﷺ: **"المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"** صدق رسول الله ﷺ.

كيف نختار صديقاً ؟

وأنت عندما تصادق شخصاً ما.. فإنه لا يشاركك طعامك وشرابك وبعض أوقاتك

فقط، بل إنه في الحقيقة يشاركك أفكارك وهمومك وطموحاتك، يطلب رأيك وأنت تطلب رأيه، وتتفقان أكثر ما تختلفان.. إنه في الواقع يشاركك حياتك. وإذا كانت الحياة طريق واحد يسير فيه الصديق وصديقه على السواء.. فإن المصير واحد أيضاً، والمصير عند المسلم أحد أمرين لا ثالث لهما: إما الجنة وإما النار. ولذلك كان لزاماً عليك أن تفكر وتفكر في مواصفات شخص سينتهي الأمر بكما في النهاية إلى مصير واحد.

وهذه المواصفات هي:

أولاً- الالتزام بفرائض الدين وهي في هذه السن الصلاة والصيام. فليس من المعقول أن نصادق شخصاً يختلف معك حين يؤذن المؤذن هل تصلى أم لا !! أو أن يسخر منك حين أداء الصلاة، والطامة الكبرى أن يستدرجك هو إلى المعصية، كأن يعطلك عن أداء الفريضة، أو يجعلك تتكاسل عنها، وتصبح بذلك على (دينه) أي على سلوكه وطريقته في الحياة وهو ما حذرنا منه رسول الله ﷺ حيث قال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" صدق رسول الله ﷺ.

ثانياً- أن يكون مستقيم الخلق: فيحفظ لسانه عن السب والشتائم، ويراعى الله فلا يقوم بمعاكسة الفتيات في الطريق، فهذا الشخص لا تستأمنه على نفسك أو على أهل بيتك فهو إن دخل بيتك سيستحل النظر إلى أقرب الناس إليك.

ثالثاً- ألا يكون مستهتراً: فيدفعك بسلوكه إلى إضاعة وقتك بصورة تصرفك عن المذاكرة والالتزام بمسئوليات الحياة تجاه نفسك وأسرتك ودينك.

هذا هو الحد الأدنى الذي يجب أن يتوافر في صديق ترى فيه المعين على مصاعب الحياة، والرفيق في طريق يرضى الله ورسوله ﷺ وينتهي بالجنة بإذن الله.

رابعا- أن تقوم الصداقة على أساس من الحب في الله.. وهو الحب الصادق المخلص الذي لا تعيبه مصلحة أو غرض قال رسول الله ﷺ: **"ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه"**. هذان الصديقان المتحابان يكونان في حماية الله ورعايته.

روى عن رسول الله ﷺ قال: **«قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلى..وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلى وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلى وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلى»** (رواه أحمد والطبراني).

خامسا- يجب أن تعتمد الصداقة على صدق العقيدة وسمو الأعمال وحسن العشرة وفى الأثر:

من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم.فهو ممن

كملت مرؤته وظهرت عدالته ووجبت إخوته).

وإذا نشأت الصداقة بين اثنين فإن عمرها يطول بمقدار طاعة الصديقين لله ويقصر عمرها إذا طالتها المعصية وتسرب إليها النفاق والفساد.... ففي الحديث: (........ والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما).

من أجل ذلك كان أصحاب الرسول ﷺ يتواصون بينهم بالطاعة ليحتفظوا بما بينهم من محبة.

عن أبي قلابة قال: التقى رجلان في السوق فقال أحدهما للآخر:تعال نستغفر الله في غفلة الناس ففعلا،فمات أحدهما فلقيه الآخر في النوم فقال: علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق).

عن أنس بن مالك: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة فقال ذات يوم لرجل ! فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ؟ فقال النبي **«رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»** (رواه أحمد والطبراني).

سادساً- التقارب في التفكير والطباع فقد قيل: (رب أخ لك لم تلده أمك) فقد تلتقي بشخص تشعر معه بسرعة التجاوب والانجذاب إليه وكأنك تعرفه منذ سنين ففي الحديث.

«الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» (رواه البخاري).

أيها الطالب إنك بهذه الشروط تضع عقداً غاية في الخطورة اسمه عقد الصداقة وهو عقد كبير القيمة عظيم الأثر.

قال تعالى في وصف حال المشركين حين يقاسون العذاب: ﴿ **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١)** ﴾[الشعراء].

قال رسول الله ﷺ: **«لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»** (رواه أبو داود).

الشتائم والسخرية

أبداً لم تعد المدرسة محراباً للعلم وقبلة للتعلم.

بل ساحة للشتائم والسخرية ومذبحة للأخلاق.. ومأساة أخلاقية تحدث كل ساعة بل كل دقيقة.. أبطالها طلبة. عبارات الاستهزاء. وآلاف الشتائم تنطلق من أفواه تنتظر الشهادة على أصحابها يوم القيامة.. أصحابها طلبة..

والهواء الذي أنعم الله به علينا لنحيا في عبادته انتظاراً لجنته..لوث بأقذر الألفاظ وأحط الكلام.

تعالوا نناقش المشكلة:

أعتقد أن الألفاظ النابية وعبارات السخرية أصبحت جزءا لا يتجزأ من اللغة الرسمية لطلبة ثانوي الآن وللأسف أخذت الكثير من ألفاظها من طائفة السائقين والصناع غير الملتزمين والمعروف عن الأغلبية العظمى منهم الانحطاط الأخلاقي والثقافي، ولذلك عدة أسباب:

١- ضعف الوازع الديني عند الطلبة الذي يعود أصلاً إلى ضعف التنشئة الدينية في الأسرة والمجتمع. وهو ما يدفع الطالب ليس من السخرية من زملائه فقط بل السخرية من الدين نفسه أو من زملائه المتفوقين.

٢- النفور من التعليم واعتباره شيئاً غير مفيد، والتهرب منه نوع من (الفهلوة) مما يجعل عقلية الطالب في أدنى مستوياتها الثقافية.

٣- أخذ الطالب ثقافته الرئيسية من وسائل الإعلام، كالسينما والتليفزيون بما تنشره من ألفاظ غريبة وأفكار تدعو إلى الفاحشة والفجور.

٤- يتضامن عامل الإعلام مع ضعف التنشئة الدينية مع مرحلة المراهقة في إغراق الطالب في الأحاديث الجنسية الفاجرة، وتعلم بعض ألفاظها وأخلاقها بكل جرأة وفجور على الملأ.

رأي الإسلام

* حرص الإسلام حرصاً شديداً على مشاعر الآخرين، فطلب من المسلم أن يكون عف اللسان رقيق المشاعر، فلا يؤذى غيره بالكلام أو حتى بالإشارة أو التلميح.

* أولاً- في مسألة السخرية

* السخرية: تعنى الاستهانة والتحقير والتنبيه إلى العيوب والنقائص على وجه يضحك الناس منه، وهذا قد يكون بالكلام، وقد يكون بالمحاكاة والتمثيل بالفعل أو القول

وقد يكون بالإشارة والإيماء، والسخرية والاستهزاء محرمان في حق من يتأذى بهما، بمعنى أن:

١- لا يجوز لطالب أن يسخر من زميله وهو يعلم أنه لا يقبل ذلك ويؤذيه في مشاعره.

٢- إذا كان هذا الزميل يقبل السخرية (على أن تكون هذه السخرية بصورة غير محرمة لا تحوى ألفاظاً محرمة) فلا شيء فيها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات].

وقال رسول الله ﷺ: "**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**" (رواه البخاري ومسلم والنسائي).

وفى مسألة السب واللعن: فلقد قال رسول الله ﷺ: "**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**" (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي).

سباب: هو أن يشتمه بما فيه وبما ليس فيه.

كفر: هو كفر إن استحله، أو مثل الكفر في العذاب الشديد إن لم يستحله.

عن رسول الله ﷺ: "**المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم**" (رواه مسلم وأبو داود والترمذي).

المستبان: المتشاتمان على البادئ منهما: إن شتم أحدهما الآخر فالذنب على البادئ حتى يأخذ المشتوم حقه. حتى يتعدى المظلوم: حتى يأخذ حقه.

قال رسول الله ﷺ: "**لا يكون اللعّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**" (رواه مسلم وأبو داود).

الشفيع: الذي يشفع في غيره. شهداء: أي تقبل شهادتهم

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأيناه أن قد أتى باباً من الكبائر" رواه الطبراني بإسناد جيد.

قال رسول الله ﷺ: "**إن العبد إذا لعن شيئاً، صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإن لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعن، فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها**" (رواه أبو داود).

قال رسول الله ﷺ: "**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**" (رواه

الترمذي وحسنه).

الفاحش: الذي يتكلم بالكلام القبيح مثل الكلام في مغامرات الجنس، والنكت الجنسية، والكلام الشائن عن البنات، وغيرها من الأعمال الفاجرة وكل ذلك على سبيل التفكه والسمر.

وخطورة اللسان تكمن في أن كلمة واحدة قد تكون سبباً:

١- في إشعال فتنة (حالات السب بين الشباب في الأرياف والصعيد قد تؤدى إلى جرائم القتل التي تستمر فيما يعرف بجرائم الثأر في الصعيد).

٢- فقدان صديق نتيجة كلام سيء من شخص لشخص.

٣- خسران دين مثل الطالب الذي يسب دينه أو يسخر من المتدينين فهو فاسق على الأقل، وكفره العلماء إن قصد سب الدين فعلاً، وعليه الشهادة والاغتسال لدخول الإسلام من جديد.

٤- الوقوع في كبيرة من الكبائر مثل سب الأب أو الأم وعقوق الوالدين، لذا حذر الإسلام من خطورة اللسان ودعا إلى عفته في الأحاديث الآتية:

قال رسول الله ﷺ: " طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته " رواه الطبراني وحسن إسناده.

طوبى: دعاء بالحياة الطيبة.

قال رسول الله ﷺ: " **من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة** " (رواه البخاري والترمذي).

ما بين لحييه: اللسان أو الفم بمعنى ألا يدخله طعام حرام. ما بين رجليه: الفرج

قال رسول الله ﷺ: " **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب** " (رواه البخاري ومسلم والنسائي).

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: " **تقوى الله وحسن الخلق** ".

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: " **الأجوفان الفم والفرج** ". (رواه الترمذي وصححه).

قال رسول الله ﷺ: " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت** " (متفق عليه).

قال رسول الله ﷺ: " **والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض أحوج إلى طول سجن من لسان** " (رواه الطبراني).

والعلاج:

في كل الأحوال لا يتأتى العلاج إلا إذا كان هناك رغبة صادقة وإرادة قوية ومجاهدة نفس، ونفس طويل وترقب لألاعيب الشيطان

ولكي نتخلص من انفلات اللسان في السخرية والشتائم ينبغي الآتي:

١- عملية الإحلال.. بمعنى إحلال الكلمات المهذبة بدلاً من الألفاظ البذيئة، وألفاظ الطاعة بدلاً من عبارات المعصية.ويأتي ذلك من تعويد اللسان على قراءة القرآن بكثرة، وذكر الله ما استطعت.

٢- العزم على الإقلال تدريجياً من الشتائم التي تسيل من لسانك كل يوم، وكذلك عبارات ومواقف السخرية التي تدبرها لزملائك لتنتزع منهم الضحكات وربما لتشعر بقيمتك بينهم، فإرضاء الله خير من إرضاء أصدقائك، ويكون ذلك عن طريق برنامج زمني تصنعه لنفسك وتحاسب نفسك عليه يومياً.

٣- الاستغفار عشر مرات عن كل خطأ وقعت فيه بسبب لسانك.

٤- الابتعاد عن صداقة السوء ما استطعت أو على الأقل عدم الانقياد لهم (لا يكن أحدكم إمعة) فهي البيئة العفنة التي ينبت منها مثل هذا الكلام القبيح.

٥- تعديل الصحبة والانخراط مع أصدقاء آخرين ينطق لسانهم الكلام الطيب المبارك (مثل الحلقات المسجدية).

٦- العبادة والقرب من الله والدعاء لنفسك بالهداية.

***

بر الوالدين

الموضوع اليوم يحمل كثيراً من المرارة..

وهو شعور طبيعي عندما يسيء إليك من تحسن إليه.. عندما ينكر جميلك من ضحيت من أجله مرات ومرات..

موضوع اليوم هو ظلم الأبناء للآباء..

يتفانى الآباء في تربية أبنائهم.. يتحملون الجهد البدني والنفسي والحرمان المادي من أجل أن يرسموا البسمة على وجوه أبنائهم.. تتوقف سعادتهم على سعادة أبنائهم.. وترهن راحتهم براحة أولادهم.. يكبر الأبناء.. فيرسموا الحزن على وجوه آبائهم.. ويزرعوا الألم في قلوبهم..

تبدأ الأصوات في الارتفاع.. وتطلب الطلبات بلهجة الأوامر..

يكبر الأبناء.. فيتجاهلون مشاعر الأب والأم.. ويفضلون عليهم الصديق.. ويعترضون على نصائحهم بقسوة..

نتحدث اليوم على سلوك اجتماعي مفزع يمارسه للأسف الكثير من الطلبة والشباب.. اسمه عقوق الوالدين.

فتعالوا نناقش الأمر معاً.

تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه الأسرة على الإطلاق ؛ ففي الأسرة التي يقل فيها احترام الأبناء للآباء تتقلص مسافة الود والحب بينهم ويصبح الخوف من الله مجرد كلمة ليس لها تأثير على سلوك الأبناء وتصرفاتهم مع آبائهم..

كل ذلك يؤدى إلي:

١- ضياع سلطة الآباء وممارسة حقهم في التوجيه والإرشاد لأبنائهم.

٢- رغبة الابن في الانفلات من الأسرة والابتعاد عنها وتكوين صداقات خارجية يستمد منها ثقافته وأفكاره والتي غالباً ما تكون صداقة سوء. وهو ما يدفع العديد من الطلبة في هذه السن للانحراف.

٣- اضطرابات نفسية تحدث للابن نتيجة لحالات الاكتئاب المستمرة التي تنتج عن شعوره بخطأ ما يفعله من عقوق والديه وربما تعرضه لعذاب الله، وكثرة المشكلات التي تنجم عن عدم التفاهم وتضارب آراء الابن والأب.

متى ولماذا تنشأ المشكلة ؟

تمر الأمور بهدوء نسبي في العلاقة بين الآباء والأبناء حتى المرحلة الابتدائية، من حيث طاعة الابن لوالديه وقبوله لتوجيهاتهم دون معارضة تذكر، ثم تبدأ المشكلة في الظهور مع المرحلة الإعدادية وبداية دخول الابن في مرحلة المراهقة، وتعظم المشكلة وتصل إلى أعلى منحنياتها عند وصول مرحلة المراهقة لأعلى منحنياتها أيضاً عند دخول المرحلة الثانوية.

فيزداد الاعتراض وعدم قبول التوجيهات، وأحياناً التمرد وتضطرب الأسرة علاوة على اضطرابها أصلاً من مشكلة موجودة اسمها مشكلة الثانوية العامة.

وتنشأ المشكلة في مرحلة المراهقة بالتحديد، لطبيعة التغيرات النفسية والعقلية والجسمية التي تحدث للمراهق، مما يؤدى إلى زيادة الانفعالات وعدم القدرة على السيطرة عليها وسرعة الغضب الغير مبرر في أحيان كثيرة والذي قد يعقبه ندم، والرغبة في إثبات الذات والانفراد بقرارات فردية دون الرجوع إلى الأب والأم واستشارتهما. وهذه التغيرات تحدث للجميع ولكنها تسبب مشكلة لمعظم المراهقين، ويزيد منها أو يحدها مدى قوة الوازع الديني لدى المراهق، فكلما كانت النشأة الدينية قوية، كلما أمكن التحكم في هذه المشاعر ومراقبة التصرفات، وكذلك كلما ضعفت النشأة الدينية كلما طاشت التصرفات وانفلت اللسان بما يغضب الله و يغضب الأب والأم.

وقبل أن نتحدث عن علامات عقوق الوالدين وعلامات برهما، نذكر أولاً الأدلة التي ساقها القرآن والحديث في شأن هذا الأمر الخطير..

أولاً - التحذير من عقوق الوالدين

* عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» - ثلاثاً- قلنا: بلى يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. (متفق عليه).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**» (متفق عليه).

* قال تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾**﴾[الإسراء].

ثانياً- في الحث على طاعة الوالدين وبرهما حتى وإن كانا كافرين

* قال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[لقمان].

أدلة أخرى في بر الوالدين:

* قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان].

* وهنا على وهن: ضعفا على ضعف.

* فصاله: فطامه.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله ؟قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت:ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» (متفق عليه).

* عن أنس رضي الله عنه قال:أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه.قال: «**هل بقى من والديك أحد؟**» قال: أمي.قال:«**قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد**». (رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير الأوسط وإسناده جيد). كذلك قال المنذري.

عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك من أم؟**» قال نعم. قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجلها» (رواه بن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد).

* الجنة عند رجليها:المقصود.. أن الجنة تكتب لمن ذل لأمه وبر بها.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**» (رواه أحمد).

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم**» (رواه الطبراني بإسناد حسن).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**رغم أنفه ثم رغم أنفه رغم أنفه**» قيل من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**» (رواه مسلم).

* رغم أنفه: المراد: عاش ذليلا مهينا ومات كذلك.

* أن دمعة الوالدين بسبب ظلم الأولاد يجعلها الله ناراً، وإن أية دعوة منهما مستجابة ولو كانا كافرين.

ظلم الأبناء لآبائهم يجعل غضب الله لا يفارقهم وكنوز الدنيا كلها لن تنفعهم، ولابد أن يلقى العاق لوالديه من أبنائه مثل ما فعل في أبويه، والله غالب على أمره، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ولو كان المظلوم كافراً فما بالك وإن كان أماً أو أباً مسلماً.

وإذا صادفتك مشكلة في حياتك أو ابتلاء أو شعرت بغضب الله عليك.. ففكر أول ما تفكر في علاقتك بوالديك، فإن كل الأعمال حسابها عند الله يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فعقابه في الدنيا والآخرة.

معنى البر وعلاقته بالطاعة

البر: هو كلمة جامعة لكل خير، والعقوق كلمة جامعة لكل شر.

والبر يكون في طاعة الوالدين إلا إذا كانت في معصية الله فلا يجوز طاعة الوالدين في هذه الحالة.. بناء على القاعدة الشهيرة (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

وكمثال: على بعض الأمور التي من واجبك ألا تطعهما فيها:

١- إذا أمرك والداك بعدم الصلاة في المسجد.

٢- إذا أمرك والداك بعدم الذهاب إلى حلقة لحفظ القرآن أو لتعلم الدين (إذا كان الأب مرتاباً فيمن تحضر معهم في المسجد أو رأيت أن هذه النقطة بالتحديد هي التي تعوق اقتناعه بحضورك لخوفه من مشاكل الجماعات الإسلامية التي حدثت في مصر في الفترة الأخيرة فادعه للحضور معك للمسجد للتعرف على من يدرس لك ويتحدث معهم ويطمئن لهم).

٣- أب تاجر يأمر ابنه بالغش في التجارة (كغش الميزان) أو الكذب على المشترى لإخفاء عيوب السلعة.

٤- أب يأمر ابنه بقطع الرحم مثل عدم زيارة ابن العم أو ابن الخال لأسباب عائلية..

علامات البار بوالديه:

١- عند دخوله المنزل يلقى السلام ويفرد الأب والأم بتحية خاصة، مثل: كيف حالك يا حاجة وكيف حالك يا حاج، أو تقبيل يديهما.

٢- عند الخروج يستأذنهما في الخروج ويحدد لهم وجهته، ومتى سيأتي، وتحديد كيفية الاتصال به إن أمكن، ويسألهما إن كانا يطلبان منه قضاء شيء.

٣- طلب الدعاء قبل الخروج.

٤- السؤال المستمر عن ما يطلبانه، وتلبية ما يطلبانه بسرعة.

٥- تقديم مساعدات خفيفة للأم في شئون المنزل بقدر الإمكان، وللأب إذا كان من أصحاب الأعمال الحرة.

٦- أن يقدم لهما بعض ما يحبانه من أشياء ولو بسيطة مثل الفاكهة أو الحلوى وخلافه.

٧- تقديم الهدايا من وقت لآخر.

٨- دعوتهم إلى رحلة قصيرة في الهواء الطلق أو في المزارع، وبين الأشجار أو على شاطئ نهر أو بحر.

٩- إشعارهما بتأثره حين يرى أحدهما متعباً أو مجهداً من عمله.

١٠-لا يجلس وأبوه واقف إلا في الحالات المأذون فيها عادة والتي هي من طبيعة الأسرة.

١١-لا يكلف أباه أو أمه بعمل أشياء لا يستطيعان القيام بها مثل: إجهاد الآباء في شراء ملابس غالية الثمن، أو الاشتراك في الدروس الخصوصية الضروري منها وغير الضروري، ولا يرهق الأم في طلباته المنزلية ولا يعترض على طعامها.

١٢-يفسح لأبيه وأمه إذا كان راكباً سيارة ولا يجلس قبلهما ويقوم قبلهما ليفسح لهما طريق النزول.

١٣-إذا حدث لهما حادث لا قدر الله، لا يفارقهما حتى يزول أثر الحادث.

١٤-لا يبخل عليهما بمال.

١٥-يكون أسرع الناس إجابة لأبويه وأشدهما حرصاً عليهما.

١٦-يوفر لهما الراحة ولو على حساب راحته ولا يدخر جهداً في إرضائهما.

ملاحظة:

أمرنا الله بالصبر على الوالدين فربما تكون لهما بعض التصرفات التي تدعو إلى النقد، وخصوصا إذا كانا كبارا في السن، ويدعونا الله هنا إلى تحملهم وعدم إظهار الشعور بالضيق حتى بقول كلمة (أف)، والصبر ثوابه الجنة.

علامات العاق لوالديه:

١- كل همه أن يأخذ ولا يعطى، ويخدم ولا يخدم.

٢- يتحدث إلى الناس خارج المنزل بطيب الكلام، وأرق الألفاظ، ويختار لأبيه وأمه الأحجار الكلامية والألفاظ التي تفتقر إلى أدنى درجة من الذوق والأدب.

٣- يبش في وجوه الناس ويعبس في وجه أبيه وأمه.

٤- دائم النكران لفضلهما، وإظهارهما بمظهر المقصرين في حقه.

٥- يهجم عليهما بقسوة إذا سمع منهما ما لا يرضيه.

٦- كثير الطلبات من أمه وأبيه إلى الحد الذي يرهقهما إرهاقاً شديداً.

٧- كثير السخرية من تصرفاتهما ودائم التمرد على أوامرهما.

٨- يفتقد لذوقيات المجلس والنقاش معهما، فإن وقف أبوه جلس هو ومد رجليه وإن ناقشه أظهر له ضحالة تفكيره وعاب رأيه.

أبصر أبو هريرة رضي الله عنه رجلين فقال لأحدهما:ما هذا منك (يعني ما صلتك به)؟فقال:أبي..فقال أبو هريرة: لا تسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله.

٩- إذا ناداه لا يجيب، وإذا أمره لا يستجيب. وإن أعانهما بمال تكبر واستعلى. وإن قضى لهما حاجة تأمر واستقوى. يدير ظهره لأبويه وهو يكلمهما، ويشير إليهما زاجراً أن لم يرض كلامهما.

١٠-يشعر بالخزي من فقر أبيه أمام الناس أو من عمله المتواضع، ويخجل من ذكره وسط أصدقائه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول اللهﷺ: **«ثلاث دعوات لاشك في إجابتهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده»** (رواه الترمذي وحسنه).

العلاج:

١- الندم على كل ما فعلت ولابد من الاستغفار الدائم.

٢- سماع شريط كاسيت أو قراءة موضوع عن عقوبة عقوق الوالدين أكثر من مرة.

٣- الدعاء لله بكثرة بأن يشرح صدرك لأبويك ويغرس في قلبك حبهما وطاعتهما.

٤- عمل برنامج يتضمن عمل كل يوم أو كل يومين حسب قدرتك وطاقتك، تبدأ أولاً في تقليل التصرفات التي تؤدى إلى عقوق والديك واحداً تلو الآخر، ثم عمل برنامج آخر لبدء تنفيذ التصرفات التي تؤدى إلى برهما تصرفاً تلو الآخر.

٥- الأمر يتطلب جهاد نفس غير عادى في البداية، وربما يشعر من حولك بالاستغراب، سيكون شعوراً مبدئياً ثم يزول بعد فترة.

٦- الصبر واستكمال الطريق للنهاية حتى لا تسقط مرة أخرى في براثن العقوق.

٧- قد يستمر هذا البرنامج ثلاثة أو أربعة شهور للوصول إلى درجة جيدة من البر لوالديك.

عوائق أمام بر الوالدين:

١- عدم فهم الأب لطبيعة مرحلة المراهقة وعدم احتوائه لابنه في هذه المرحلة مما يزيد مسافة الخلاف بينه وبين ابنه، وعلى الابن أن يصبر على ذلك، ويضع خطوط حمراء للنقاش مع الأب والأم أيضاً، وهى ألا يرفع صوته عليهما مهما حدث، وألا يتلفظ بلفظ جارح أو به سخرية.

٢- عصبية الابن المبالغ فيها، ويجب أن يضبط الابن حالة العصبية هذه حتى وإن كانت عن طريق العلاج النفسي.

٣- عدم الصبر وعدم مجاهدة النفس يجعلك تسقط في منتصف الطريق.

٤- تأثير أصدقاء السوء وقدرتهم على الإبعاد عن طريق الله وبالتالي ينعدم الدافع الأول والأساسي لبر الوالدين.

***



غض البصر

غض البصر يعنى صرف النظر ..

وعندما نقول غض البصر ونقف .. فإننا نقصد صرف النظر عن الفتيات في الشارع، في المدرسة ، في التليفزيون ، في وسائل الإعلام .... إلخ .

والقضية كبيرة وخطيرة .. في مجتمع ترك المجال للمرأة لتبرز زينتها ومفاتنها ، بل وتـاجر بالمرأة في وسائل الإعلام ليحصد من ورائها المال بدعوى التقدم والحضارة ..

وطالب ثانوي .. مظلوم في هذه المعمعة اللا أخلاقية .

ولا يدرى ماذا يفعل .. في مشكلة تؤثر تأثيراً هائلاً على حياته ودينه وآخرته .

تعالوا نناقش المشكلة .. ونبحث عن الحل .

١) **خطورة النظر للمرأة** .

.. النظرة بريد الزنى ..

حديث بسيط .. ولكن عميق يوضح خطورة النظرة الحرام ببلاغة رائعة ..

فنظرة الفتى إلى الفتاة يوقع في قلبه الإعجاب بها ، ثم التفكير بعـدها في الحـديث معهـا بافتعال أي سبب ، ثم يتبع الحديث أحاديث أخرى .. وتنشأ العلاقة ..

وتطور إلى أن تصل إلى مرحلة أخطر وأخطر ليست بعيـدة عـن مجتمعنـا الآن .. الزنـى والزواج العرفي .. الاسم العصري لجريمة الزنى - ، وجرائم أخلاقية تنهش في جسد المجتمـع الضعيف ..

والبداية ..كانت نظرة .

إن النظرة تولد الخطرة (أي الخاطر) ، ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تولد الفكرة شـهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عازمة جازمة ، فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع مانع .

ولهذا قيل:

كـــل الحـــوادث مبـــدأها مـــن النظـــر

ومعظـــم النـــار مـــن مستـــصغر الـــشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتك السهام بلا قوس ولا وتر

أحاديث تحذر من فتنة النظر :

١- قال النبي ﷺ "**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي ، أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**" (رواه الطبراني).

٢- قال النبي ﷺ "**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء (أي فتنة النساء)، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**". (رواه مسلم)

٣- عن جرير بن عبدالله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني فقال : "**اصرف بصرك**" (رواه مسلم) وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب "**يا علي.. لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**" (رواه الترمذي وأبو داود وحسنه الألباني).

٤- وقال ﷺ: "**العينان تزنيان، وزناهما النظر**" (متفق عليه).

وكان السلف الصالح يبالغون في غض البصر خوفاً من الوقوع في عقوبته .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام "**النظر يزرع في القلب الشهوة وكفى بها خطيئة**".

ويقول تعالى في سورة النور:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور:٣٠-٣١].

ويلاحظ أن الآيتين أمرتا بالغض من البصر لا بغض البصر، ولم تقل: "ويحفظوا من فروجهم" كما قالت ﴿**يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ فإن الفرج مأمور بحفظه جملة دون تسامح في شيء منه. أما البصر فقد سمح الله للناس بشيء منه رفعا للحرج، ورعاية للمصلحة كما سنرى. فالغض من البصر ليس معناه إقفال العين عن النظر، ولا إطراق الرأس إلى الأرض،

فليس هذا بمراد ولا مستطاع. كما أن الغض من الصوت في قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[لقمان:١٩]، ليس معناه إغلاق الشفتين عن الكلام، وإنما معنى الغض من البصر خفضه، وعدم إرساله طليق العنان يلتهم الغاديات والرائحات أو الغادين والرائحين. فإذا نظر إلى الجنس الآخر لم يغلغل النظر إلى محاسنه، ولم يطل الالتفات إليه والتحديق به.

عقوبات النظر إلى المحرمات:

١- فساد القلب ، فالنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية .

٢- نسيان العلم : فقد الشافعي بعض قدرته على الحفظ لأنه نظر إلى كعب امرأة .

٣- نزول البلاء .

٤- الغفلة عن الله والدار الآخرة .

فإن القلب إذا شغل بالمحرمات أورثه ذلك كسلاً عن ذكر الله وملازمة الطاعات .

فوائد غض البصر

١- تخليص القلب من ألم الحسرة ، فإن من أطلق نظره دامت حسرته .

٢- يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفى الوجه وفى الجوارح .

٣- يورث صحة الفراسة قال شجاع الكرماني: من عمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وأكل من الحلال ، لم تخطئ فراسته .

٤- يفتح طرق العلم وأبوابه .

٥- يورث قوة القلب وثباته وشجاعته ، قال بعض الشيوخ ، الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ، ولا يجدونه إلا في طاعة الله .

٦- يورث في القلب سروراً وفرحة منشأها الحرص على طاعة الله ، فلذة العفة أعظم من لذة الذنب .

٧- يخلص القلب من أسر الشهوة .

٨- أنه يسد عن العبد باباً من أبواب جهنم .

٩- يقوى العقل ويزيده ويثبته ، فإن إطلاق البصر لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه .

١٠- يفرغ القلب من الانشغال بالدنيا

كيف نغض البصر ؟

١ – لا يمكن أن يقوم الإنسان بعمل أياً كان إلا إذا امتلك إرادة هذا العمل . لابد أن مع الإنسان إرادة على غض البصر .

وسنورد الوسائل العامة ثم نتبعها بأساليب خاصة لغض البصر ..

أ – الوسائل الأساسية :

١- الحرص على العبادة (الصلاة في جماعة ، قراءة وحفظ القرآن ...إلخ) فإن العبادة تحقق الصلة بالله ومن اتصل بالله حرص على ألا يغضبه بنظرة عابرة .

٢- مداومة الذكر وقراءة القرآن في أوقات الفراغ قدر الإمكان.. فإن الذكر يبعد الشيطان عن الإنسان فلا يوسوس له ويدفعه إلى الحرام .

٣- صحبة الأخيار .. وعدم اصطحاب أصدقاء السوء .. فإن معظم حديثهم عن الفتيات وأمور الخلاعة .

أساليب خاصة حسب المكان

في الشارع :

١- لا تلتفت برأسك في الشارع بل وحاول أن تجعل بصرك إلى أسفل ، وإذا وقع نظرك على امرأة .. استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، واستجمع إيمانك وإرادتك .. ورغبتك في إرضاء الله ، واصرف بصرك .

٢- داوم على الذكر وأنت تسير في الشارع .. ولو حاولت أن تقرأ آيات من القرآن مما حفظت يكون أفضل .

٣- إذا أمكنك أن تسير في شوارع جانبية غير مزدحمة يكون أفضل من أن تسير في شوارع رئيسية مزدحمة بالنساء فيصبح الأمر أكثر صعوبة .

٤- لا تجلس في الطريق .. ولا تقف في مكان يمر به نساء كثيراً ، إذا اضطررت إلى الوقوف مع زميل للنقاش في أمر ما (تذكر آداب الجلوس في الطريق) .

٥- إذا دخلت محلاً للشراء وبائعته فتاة .. حاول أن تقلل النظر إليها وأنت تتحدث بقدر الإمكان .

٦- عدم شراء المجلات والجرائد الصفراء أو النظر إليها عند بائع الجرائد .

في الدرس الخصوصي أو في الفصل المشترك :

١- اجتهد ألا تشترك في درس خاص به فتيات .

٢- حاول أن تجلس في الأمام في الفصل لا في الخلف فلا يقع نظرك على فتاة .

٣- كن يقظاً لمداخل الشيطان .. فهو يدفعك دائماً إلى إنشاء علاقة مع فتاة بأسلوب متدرج يبدأ بسؤال دراسي مثلاً .. ثم يتطور إلى مسائل شخصية .

ثالثاً- في المنزل :

١- ونعنى بالمنزل – التليفزيون بالقطع .. ونحن ننصح للمبتدئين في عملية التدريب على غض البصر .. بالامتناع نهائياً عن مشاهدة التليفزيون سيسأل الآن.

٢- أريد أن أشاهد مباريات كرة القدم ولا أستطيع أن أمتنع عنها .

٣- يوجد في التليفزيون برامج دينية هادفة وأفلام أجنبية ليس فيها إثارة فلماذا لا أشاهدها.

ونحن نقر ذلك فعلاً ولكن المشكلة الرئيسية .. أنه ربما يكون قبل البرنامج الديني .. إعلان راقص مثير للغريزة يجعلك تنصرف أصلاً عن مشاهدة البرنامج الديني، وربما يكون قبل الفيلم الأجنبي أو المباراة أو بين الشوطين أغنية فيديو كليب تجعلك تضيع كل ما اجتهدت فيه من محاولات غض البصر.

وربما تكون أكبر مشكلة هو مشاهدة المباريات التي يتعلق بها الكثير من الطلبة .. فينصح في هذه الحالة .. بأن نغلق التليفزيون بين الشوطين بحيث تقتصر المشاهدة على الشوطين فقط.

فى وسائل المواصلات :

- احرص على أن يكون معك مصحف صغير في جيبك لتقرأ فيه في وسيلة المواصلات، وهذا يشغلك عن النظر إلى الطريق.

وسائل خاصة :

- الصوم : قال رسول الله ﷺ: **«من استطاع منكم الباءة فليتزوج»**.

- عمل ورد محاسبة يومي لعدد المرات التي لم تغض فيها بصرك في اليوم والليلة ، ومتابعة ذلك مع نفسك وربما آخرين .

- اجعل زميلك ينصحك وانصح أنت زميلك .

- أكثر من الدعاء لنفسك بأن يقويك على غض البصر ويرزقك العفة .

مرحلة متقدمة

بعد فترة من التدريب ..امش في الشوارع المزدحمة .. واختبر قوتك على غض البصر .. وقيم نفسك .. هل زادت قوتك على مسألة غض البصر أم لا؟ .. تحت شعار (الهجوم خير وسيلة للدفاع).

رابعاً - موضوعات فكرية



يشغل ذهن الإنسان عموماً والطالب خصوصاً مجموعة من الأسئلة والتي يمكن أن نطلق عليها (الأسئلة الصعبة) في حياة الإنسان مثل، ما الفائدة من التعليم إذا كان هناك وسائل أخرى لكسب الرزق أفضل، وما هي الكلية التي سأدخلها، وهل علاقة الفتى بالفتاة حلال أم حرام، وكيف أواجه معيشة الحياة الصعبة في ظل أزمة السكن والغلاء الفاحش للأسعار ومشكلة البطالة.

أسئلة كثيرة وصعبة ولكن العامل المشترك فيها أنك آجلاً أو عاجلاً ستجيب عليها بنفسك مع مرور الزمن وتتابع الأحداث، وتغير المواقف وأن الإجابة ستصلك بطريقة أو بأخرى لأنك ستمر بها حتماً كل حسب ظروفه.

إلا أن السؤال الذي يمكن أن نصفه بأنه الأصعب على الإطلاق، وهو السؤال الوحيد الذي تمر بجزء من إجابته في حياتك فقط بينما يتبقى الجزء الآخر من الإجابة بعد مماتك.. هو:

لماذا أعيش ؟ وما الهدف من الحياة ؟

ولماذا خلقت من الأساس؟ وهل المعقول أنني خلقت كي أتعلم، وأتخرج، وأعمل، وأتزوج، وأنجب ثم أموت.

ولن نقول أن هذا السؤال يلح على الإنسان في حياته إلحاحاً يؤرقه ويزعجه ويجعله يبحث عن الإجابة، فلا يفعل ذلك إلا ندرة من البشر الذين لا يستسلمون للواقع ويشغلون ذهنهم بالبحث والتفكير للوصول إلى حقائق الحياة.

إلا أن مثل هذا السؤال يمر على الذهن حتماً في وقت من الأوقات..

والمعظم الأعم من البشر يتجاهلون البحث عن الإجابة بالتفكير أو حتى السؤال. ويستسلمون للتعامل مع واقع الحياة كما رأوها ورآهم من قبلهم ويبدءون في التفكير في أسباب محمسة للحياة.

وابتكار هدف يسعى كل فرد إلى تحقيقه.

وليس صحيحاً أن هناك إنسان بلا هدف، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش اللحظة القادمة إلا إذا كان هناك ما يدعوه لكي يعيش هذه اللحظة، وفقدان الهدف يعنى فقدان

الأمل وهو ما يعنى اليأس الذي يؤدى إلى الاكتئاب الشديد أو الانتحار في بعض الأحيان.

ولذلك فإن البحث عن هدف للحياة ضرورة حتمية لكل فرد.

كيف يضع الطلبة أهدافهم ؟

يضع الطالب أهدافه في الحياة كالآتي:

١- الطالب المتفوق علمياً غير الملتزم دينياً يضع هدفه دخول إحدى كليات القمة كالطب أو الهندسة، وربما يفكر في التفوق داخل الكلية نفسها ليصبح معيداً أو حاصلاً على شهادة الدكتوراه. وهذا الهدف يؤدى به بالتبعية، لكي يضع هدف الشهرة في حسبانه كعالم شهير مثل أحمد زويل أو مجدي يعقوب، أو يحلم بصوره في الجرائد أو في برامج التليفزيون. وربما يتوقف هدفه عند حلم التفوق العلمي والبحث عن عمل يتناسب مع مكانته العلمية ويحقق له دخلاً مناسباً لاستمرار حياته بعد الزواج.

٢- الطالب المتوسط علمياً غير الملتزم دينياً، يعتبر الانتهاء من عملية التعليم هدفاً في حد ذاته قيماً. ليبدأ بعدها حياته العادية في البحث عن عمل مناسب ليتزوج ويعيش حياة مستقرة هادئة بين زوجته وأولاده من ناحية وأصدقائه خارج البيت من ناحية أخرى.

٣- الطالب الضعيف علمياً، ودينياً، يجعل هدفه في الحياة (اللا هدف) فكل طلبه من الحياة هو المتعة بكل أنواعها، يتساوى في ذلك المتعة الحلال والحرام لديه وهى تنتقل بين إهمال المذاكرة والشغب داخل الحصص المدرسية ثم معاكسة الفتيات في الخارج وإقامة علاقات عاطفية ومتابعة مباريات كرة القدم بشغف وبتعصب والاهتمام بها اهتماماً مبالغاً فيه والرغبة في الحصول على المال لإنفاقها على متعه الشخصية، وهى طائفة تخرج للمجتمع لتفسده أخلاقياً وتدمره دينياً.

٤- الطالب الضعيف علمياً والملتزم دينياً إلى حد ما، يشترك مع الصنف الثالث في رغبته في الراحة والمتعة ولكن بعيداً عن المحرمات.

٥- الطالب المتفوق علمياً والملتزم دينياً، يتفق مع الصنف الأول في الرغبة الأولى بينما يضع رغبته الثانية الفوز بالجنة.

إلا أن هذه الأصناف الخمسة... بينها يوجد حالات قليلة أو ربما نادرة نجملها فيما يلي:

١- الطالب الذي يضع هدفاً له أن يكون ممثلاً شهيراً أو لاعب كرة أو ضابط طيران أو شرطة.. هي في الأغلب الأعم ليست أهدافاً حقيقية، إنما يمكن إدراجها تحت بند أحلام اليقظة التي كثيراً ما تحدث كنتيجة طبيعة مرحلة المراهقة التي يمر بها الطالب في هذه المرحلة، ومع ذلك فإننا لا ننكر أنها قد تكون أهدافاً ويمكن تحقيقها في

بعض الحالات.

٢- من الحالات النادرة جداً أن يضع طالب ما هدفه الأول إرضاء الله والفوز بالجنة وجعل كل ما في حياته في خدمة هذا الهدف وهو نموذج موجود بالفعل ولكن كما قلنا نادر الوجود.

كيف حدد الإسلام هدف المسلم من الحياة؟

يقول الله عز وجل في سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾[الملك].

ويقول عز من قائل في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾.

ويقول تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة:٣٠].

ويقول تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾.

من هذه الآيات نستطيع أن نحدد الهدف من الحياة كالآتي:

١- أن الله خلق الإنسان لعبادته.

٢- أن الله خلق البشر ليختبر أعمالهم في الدنيا ويجازيهم عليها في الآخرة.

٣- أن الله يريد من الإنسان أن تكون صلاته وعبادته وحياته ومماته لله وحده.

٤- أن الله يريد من الإنسان أن يكون خليفته في الأرض، فينفذ أوامره أولاً، ويطمئن أن البشر من حوله ينفذوها ثانياً.

وهناك يقفز السؤال المباشر..

وهل يريد الله منا أن نجلس في المساجد نتعبد ونصلى ونقرأ القرآن ولا نتعلم ونترك أشغالنا وأعمالنا ونهجر الحياة.

وهذا خطأ جسيم يقع فيه المسلمون في فهم دينهم.

١- الخطأ الأول في مفهوم معنى العبادة: فالشائع أن العبادة هي إقامة الصلاة والصيام وقراءة القرآن والاعتكاف في المسجد......إلخ.

وما عدا ذلك فهو من أمور الدنيا التي ليس لها علاقة بالله.

والصحيح أن الصلاة والصيام وغيرهما.. يطلق عليها (عبادات) والعبادات هي جزء من العبادة أما العبادة فهي (كل عمل يرجى به التقرب إلى الله).

- فالمذاكرة إذا بغى بها وجه الله فهي عبادة.
- والرياضة إذا بغى بها وجه الله فهي عبادة.
- وبر الوالدين وزيارة الأقارب والأصدقاء إذا بغى بها وجه الله فهي عبادة.
- وأوقات المرح إذا بغى بها وجه الله فهي عبادة.
- والنوم والطعام والشراب إذا بغى بها وجه الله فهي عبادة.

وأي عمل تقوم به ويمكن أن تقوم به إذا كانت نيتك فيه إرضاء الله ونيل ثوابه فهي عبادة.

إذن العبادة ليست في المسجد فقط وإنما عبادة الله تكون في كل مكان وفى أي وقت طالما أن المقصود بها وجه الله عز وجل.

٢- الخطأ الثاني الذي يقع فيه المسلمون اعتقادهم الشديد الخطورة أن الدين الإسلامي ليس له دخل بشئون الحياة اليومية، وأنه منعزل عن حياتنا فلا ينبغي أن نتحدث فيه ونحن في النادي أو في المدرسة أو في الشارع اعتقاداً منا أنه لا ينظم حياتنا ولا يهيمن عليها وليس به قواعد وقوانين خاصة بهذه الشئون في حياتنا.

والصحيح.. أن الإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة في شئون الإنسان وفى شأن الدنيا والآخرة وفى كل عصر من العصور مهما طال الزمن وامتد ولكل البشر عربياً كان أم أجنبياً، إلا ذكرها بتفصيل دقيق ليس فيه ثغرة ولا شك. ولم يترك إلا أموراً ترك الإنسان حر التفكير والتصرف فيها بناء على قواعد ثابتة وصفها ولا حياد عنها.

فالإسلام دين شامل شمل جميع جوانب الحياة من سياسة واقتصاد وعلاقات اجتماعية ورياضة وفن وثقافة وتعليم وأدب وذوق.

ولموضوع شمولية الإسلام حديث خاص كنا قد تناولناه في لقاء سابق.

والآن يسأل سائل..

ما هي تلك النية التي تحول أعمالنا اليوم إلى عبادة مثل المذاكرة والنوم والرياضة والطعام والشراب... إلخ.

وربما تتعدد النوايا الحسنة في عمل واحد إلا أننا نقترح النوايا الآتية:

١- المذاكرة:

أ- تنفيذ أمر رسول الله ﷺ "**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**".

ب-الفوز بالجنة لقوله ﷺ "**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة**".

ج- خدمة المسلمين ونفع الغير – فكلما كان المسلم متفوقاً في دراسته. كلما كان متمكناً من عمله بعد التخرج سواء في الهندسة أو الطب أو التدريس أو تعلم حرفة كالسباكة والكهرباء... إلخ. كلما كان نافعاً لغيره من المسلمين في شئون حياتهم وكلما كان بليداً مهملاً في دراسته كلما كان ضعيفاً في تخصصه لا ينفع الآخرين بل يضرهم.

د- تحسين صورة الإسلام في وجوه زملائك، الذين ينظرون إلى المتدينين دائماً نظرة تخلف ودروشة وجهل.

٢- **الطعام والشراب**: التقوى على عبادة الله، لأن العبادة من صلاة وصيام وباقي أعمال اليوم من مذاكرة وخدمة المنزل.. الخ تحتاج إلى بدن قوى يتحمل المشقة.

٣- **النوم**: أخذ قسط من الراحة لصلاة الفجر أو صلاة القيام أو القيام بواجبات اليوم التالي في سبيل الله.

٤- **لعب الكرة**: تقوية البدن استجابة لحديث النبي ﷺ: "**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**".

٥- **المرح مع الأصدقاء**: التسرية عن النفس لتنشيطها للقيام بالواجبات المكلف بها من قبل الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: "**ساعة وساعة**" وليس المقصود هنا ساعة حلال وساعة حرام، إنما المقصود وقت للجد ووقت للترويح.

وهكذا باقي أعمال اليوم.. يسبقها نية حسنة، فتتحول إلى عبادة.

- الإخلاص في النية لا يأتي من أول يوم ولا أول شهر، إنما يأتي بالتدريب النفسي عليها حتى يتحقق الإخلاص (راجع درس النية).
- إن رؤية الطريق الصحيح - طريق الله – لهو هداية لا يعطيها الله إلا لمن بحث عنها ورغب فيها وبات يحلم بالجنة والنعيم ولكنه حلم المستيقظ الواعي الذي يعرف أن لكل شيء ثمن، فكما أن للتفوق ثمن، والثراء والغنى ثمن، فإن للجنة وهى أعظم من الدنيا ملايين المرات – لتحتاج إلى ثمن وجهد ومشقة.

فاعرف طريقك أخي الطالب.. واعرف لماذا خلقت ولماذا تحيا وعلى أي شيء تموت.

الطلبة والأجازة

- ينتظر كل طالب أجازة نهاية العام والتي تمتد قرابة ثلاثة أشهر بعد عام طويل من الدراسة، ينتظره الطلبة للتخفيف من عناء المذاكرة، والتسرية عن النفس وممارسة المواهب ومزاولة الأنشطة، وهو أمر مشروع طالما أنه يتم في دائرة الحلال، وأمر غير مشروع ولا يباركه الله إذا دخل في دائرة الحرام.

- وثلاثة شهور تساوى ربع السنة، أي أن الطالب يقضى ربع سنواته الدراسية في أجازة تقريباً. وهو وقت كبير نحن مسئولون عنه كمسلمين، ومن السفه أن يضيع كله في التسلية والمرح وكأننا خلقنا لنلعب ونلهو لا لنعبد الله. وكأننا خلقنا بلا هدف أو هوية لا من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار.

- يقول النبي ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه) صدق رسول الله ﷺ.

نظرة الطلبة إلى الأجازة:

طول فترة العام الدراسي وكثرة القيود المفروضة أثناءه من الخروج من المنزل والدخول فيه، وكثرة الأوامر والإكثار من ساعات المذاكرة تجعل الطالب ينتظر الأجازة بفارغ الصبر، ينقلب إلى النقيض تماماً ويبدأ في التخطيط في كيفية الانطلاق والحرية في الأجازة، وفى الخروج للرحلات، والسهر مع الأصدقاء، ومشاهدة التليفزيون، ومباريات الكرة، ولعب مباريات الكرة أو أي لعبة رياضية أخرى يومياً وسماع شرائط الأغاني، وكثرة النوم... إلخ.

المهم أن وجهة نظر الطالب للأجازة أنها وقت للترفيه فقط ولا يجوز الاستفادة منها من أي جهة أخرى.

ونحن مع الطالب في أحقيته في الترفيه المشروع الحلال في الأجازة إلا أن لدينا بعض الملاحظات نرجو أن ينظر إليها بعين العناية والاعتبار:

١- الترفيه جزء من الحياة وليس الحياة كلها، ومن نظر إلى الحياة كلها على أنها ترفيه لا يعرف عن الإسلام شيئاً، ولا يعرف شيئاً عن دينه الذي كرمه الله به ليكون خليفته في الأرض وحامل رسالته بين الناس.

٢- الوقت هو الحياة، تضييع الوقت بهذه الصورة السهلة ليست من صفات المسلمين الملتزمين، إنما من صفات المسلمين الذين ألقوا بدينهم وراء ظهورهم، وأخذوا يتلقون دروساً من الشيطان عن الطريقة المثلى لتضييع كل لحظة من وقتهم.

٣- الفراغ أخطر أسلحة الشيطان إذا كان الطالب له اهتمامات تافهة رخيصة.

٤- الله سيسألنا عن وقتنا وسنحاسب عليه يوم القيامة ، لأن الله لم يخلق الإنسان ليلعب بل خلقه ليعبده ويحمل رسالته ويبلغها للناس.

٥- الإسلام لا يحرم الترفيه ولكن يضع له ضوابط تحوله من دائرة الحرام إلى دائرة الحلال.

٦- الأجازة فرصة ذهبية لتغيير النفس وإصلاحها من عيوب كثيرة يعانى منها، وهى فرصة قوية للتقرب إلى الله مع صحبة من الأصدقاء الصالحين رواد المساجد، وهى فرصة ذهبية للتقرب خطوات وخطوات من الجنة.. لمن أراد، وأيضاً فرصة ذهبية للتقرب من النار لمن أراد.

وعلى هذا فنحن نقترح على الطالب الأهداف الآتية في الأجازة

ثم نقترح عليه برنامجاً تنفيذياً لها:

الأهداف:

١- مزاولة الأنشطة الرياضية المحببة بغرض تقوية الجسم لقوله ﷺ " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "

٢- علاج العيوب الدينية الخطيرة التي تقذف بالمسلم إلى النار، كترك الصلاة والسب والشتائم والأخلاق الفاسدة عموماً.

٣- تعلم العلوم الشرعية الأساسية والتزود من الثقافة الدينية. مثل:

أ – قراءة القرآن وحفظه. ب – القراءة في كتب الفقه لتعلم أحكام الدين.

جـ – القراءة في كتب الأخلاق الإسلامية.

د – حضور الحلقات المسجدية لتعلم الدين بين الصحبة الصالحة وسماع شرائط لعلماء الدين والدعاة.

هـ- علاج بعض العيوب العلمية التي نعانى منها أثناء الدراسة مثل الضعف في اللغة العربية أو الإنجليزية أو الرياضيات.... إلخ.

و- التزود من علوم المستقبل مثل علم الكمبيوتر، واللغة الإنجليزية.

ونحن نقترح برنامجاً تنفيذياً كالآتي:

العمل	عدد ساعات العمل في الأسبوع	برنامج العمل خلال الأسبوع
تعلم الكمبيوتر	٩	٣محاضرات *٣ساعات
التدريبات الرياضية	٦	٣تمرينات رياضية *ساعتين
حفظ القرآن	٣,٥	نصف ساعة يوميا
دروس في للغة الإنجليزية	٦	٣دروس أسبوعية *ساعتين
قراءة حرة في اللغة الإنجليزية	٢	ساعتان أسبوعيا
نشاطات في خدمة المجتمع	١٥	٦ايام*٢,٥ ساعة
النوم	٥٦	٨ساعات يوميا
الأوقات البينية والروتينية	٢٨	٤ساعات أسبوعيا
الطوارئ	١٢,٥	١٢,٥ساعة خلال الأسبوع
	المجموع ١٣٨ ساعة من أصل ١٦٨ساعة في الأسبوع	

يتبقى٣٠ ساعة كاملة تستطيع أن تضعها في أهداف أخرى مثل زيارة الأصدقاء.. المصيف.. المناسبات الاجتماعية...إلخ.

لابد من متابعة أسبوعية لما تم إنجازه وإلى أن تتعود النظام لا تيأس إذا ما كان إنجازك في الأسبوع الأول والثاني ضعيفا، ولكن باستمرارك وإصرارك على بنود جدولك ستفوز إن شاء الله.

الطلبة والعمل أثناء الأجازة

تزداد الظروف الاقتصادية في مصر سوءاً يوماً بعد يوم مما أدى إلى تورط البيوت المصرية في مصاريف الدراسة، وهو ما دفع عدداً ليس قليلاً من الطلاب للعمل أثناء الأجازة بغرض تدبير جزء من مصاريفهم ومساعدة المنزل في مصاريف الدراسة.

وسنذكر بعض الملاحظات في هذا الموضوع:

١- جميل أن يعمل الطالب من أجل مساعدة والديه في المصاريف، ولكننا مع ذلك لا ننصح بلجوء الطالب للعمل إلا لضرورة قصوى للأسباب الآتية:

أ – غالباً ما يكون تشغيل الطلبة أثناء الأجازة عملاً غير مجز مادياً، ويضيع جزء كبير من أجره في المواصلات ومصاريف الطعام، ويستغل فيه صاحب العمل الطلبة بشكل قاس لعلمه بمدى احتياجهم الشديد للمال وعدم اعتراضهم أياً كانت الظروف، وكثيراً ما يتعرض الطالب لإهانات من صاحب العمل، كما أنه عمل يومي بلا حقوق أو ضمانات من السهل أن يطرده صاحب العمل في أي وقت.

ب– النقطة الثانية هي النقطة الأخطر، لأنها تمس الأخلاق والدين، فعمل الطلبة أثناء الأجازة غالباً ما يكون عملاً يدوياً وبالتالي سيجد الطالب نفسه وسط الحرفيين وهي طائفة من المجتمع متدنية أخلاقياً، إلا القلة النادرة منهم، وسيجد نفسه مجبراً على التطبع بطباعهم، والتلفظ بألفاظهم، وربما يكتسب منهم بعض الأخلاقيات المنحرفة، وربما لا يسمح صاحب العمل له بالصلاة أثناء العمل، فيكسب الطالب بعض المال ولكنه يخسر الكثير في دينه.

يفضل أن يبحث الطالب عن عمل في وسط أكثر احتراماً وحفظاً لدينه، فليوازن الطالب بين حاجياته المادية والخسائر النفسية والدينية التي سوف تحدث له وليتخذ القرار السليم بشأن العمل.

ولكن إذا اضطرتك الظروف للعمل أرجوك لا تتنازل عن حضور ولو لقاء واحد في الأسبوع.. حفاظاً على دينك.

والآن إليكم برنامجنا أثناء العطلة الصيفية وهو......(يعلن المشرف عن برنامج الصيف).

***

رمضان فرصة للتغيير

أحبائي وإخواني..كل عام وأنتم طيبون وتقبل الله منا ومنكم..أخيرا عاد إليكم الشهر الحبيب إلى نفوسنا جميعاً، شهر لا تعرف من أين تأتى إليك السعادة وأنت تستقبله..تشعر فيه وكأنك لست أنت..هدوء وروحانية واستعداد للعبادة ورغبة في إقلال من المعاصي وزيادة القرب من الله.

إنه شهر رمضان..الشهر الذي كرمه الله على باقي شهور السنة،ففتح فيه أبواب الجنة وأغلق فيه أبواب الجحيم. وسلسل الشياطين.وجعل فيه السنة بثواب الفريضة وثواب الفريضة بسبعين مثلها.

لكن المحزن في الأمر أن معظم الطلبة يتعاملون مع الشهر الكريم بطريقة غاية في الخطأ. فهم يرون أن شهر رمضان معناه التسلية والترفيه وتضييع الوقت !!! تليفزيون وسمر مع الأصدقاء وغياب من المدرسة وعدد كبير من ساعات النوم وأكل مالا يؤكل من الطعام طوال العام.!!! والنتيجة أن يفقد الطالب الفرصة التي منحها الله له في شهر رمضان وللاستزادة من العبادة وترويض النفس على الطاعة والتقرب من الله بقوة وبسرعة لا يمكن أن تتوفر بقية شهور السنة...

وهذا التصور خاطئ يجعل معدلات المذاكرة في رمضان هي أقل معدلات السنة على الإطلاق، ويجعل عدد ساعات النوم هي أكثر معدلات النوم أثناء الدراسة على الإطلاق!!

يبدأ الطالب شهر رمضان بحماسة كبيرة في العبادة تتمثل في المحافظة على الصلاة في المسجد وقراءة القرآن وربما صلاة القيام..ثم يبدأ العد التنازلي بعد أربعة أو خمسة أيام على الأكثر ليصبح اليوم بعد ذلك عاديا وربما ثقيلا على البعض الذي يتفانى في تضييع الوقت حتى تحين لحظة الإفطار.

أحبائي الطلبة.. دعونا نصحح فكرتنا عن أعظم شهور السنة.. شهر رمضان.. ونستثمره في مراجعة علاقتنا بالله وتغيير أنفسنا تغيرا حقيقيا.. تغيير في العادات والسلوك والأفكار.

تعالوا نناقش معا ثماني وصايا ثمينة نتمنى أن نستقبل بها الشهر الحبيب:

١- إن لم تكن تصلى.. فانتهز الفرصة فورا لبدء الصلاة، فالإيمانيات مرتفعة والشياطين مسلسلة ولن تعانى من سخرية الأصدقاء في هذا الشهر،والجميع يتوافدون إلى المسجد بصورة تلقائية،انتهز الفرصة واعقد النية على بدء الصلاة من أول يوم في رمضان واعزم على الاستمرار بعد ذلك بإذن الله.

٢- واظب على الصلاة في المسجد مهما تكن الظروف،وحاول التنسيق مع مدرسي

الدروس الخصوصية بشأن وقت الصلاة، ولا تدع السنن فهي بثواب الفريضة في شهر رمضان،كما تحسب الفريضة بسبعين مثلها.

٣- اشترى مصحفا صغيرا واجعله معك باستمرار، واستغل الحصص الاحتياطية في القراءة أو الحفظ، فإن لم تحن الفرصة فخصص نصف ساعة يوميا لقراءة جزء على الأقل حتى تختم القرآن حتى نهاية الشهر الكريم، بإذن الله.

٤- معظم الطلبة يتكاسلون عن المذاكرة في شهر رمضان ويزيد النوم بدرجة ملحوظة،كما تضيع ساعات طويلة أمام التليفزيون، فاحذر هروب الوقت منك واعلم أن رمضان شهر الجهاد وليس شهر الكسل.

٥- احرص على صلاة القيام في المسجد، فهي زاد للروح لن تشعر به إلا بعد الصلاة.

٦- اعتكف ولو جزئيا في العشر الأواخر من رمضان، أو حتى ساعة يوميا أو في المنزل، فلقد كان النبي ﷺ يشمر(يجتهد) في العشر الأواخر من رمضان.

٧- احرص على الاستزادة من المعلومات الدينية عن طريق حضور الحلقات المسجدية وما أكثرها في رمضان وعن طريق سماع شرائط العلماء وهى كثيرة ومتوفرة.

٨- رمضان فرصة ذهبية لتغيير شخصيتك، فعد أخطاءك واسرد معاصيك وقرر الابتعاد عن المحرمات..فالذي يبتعد عن المحرمات في شهر رمضان (قادر على الابتعاد عن الحرام طيلة عمره.فلتكن إنساناً جديدا بعد رمضان بإذن الله.

أخي الحبيب..

لماذا لا تبدأ التغيير من الآن.. ما الذي يمنعك ؟؟..الشيطان ؟.. إن الله سيسلسله من أجلك في شهر رمضان...

الأصدقاء ؟..فتذكر أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

التليفزيون ؟..فتذكر أنه حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات.

أخي الحبيب..

إن الجنة تفتح ذراعيها لك.. في فرصة لا تحدث إلا كل عام..فهل تغتنم الفرصة؟.

اللهم بلغنا شهر رمضان واكتب لنا الصلاح والهداية فيه يا رب العالمين..

***

شمولية الإسلام

للأسف الشديد... لقد ظل الغزو الفكري يرمح في بلاد المسلمين وبين أوساط الشباب والكبار يشوه أفكار الإسلام شيئاً فشيئاً، وروج لأفكار هدامة مثل أن الإسلام دين رجعية، وأنه دين تزمت وتشدد، وأنه دين لوقت معين ولا يصلح ديناً لكل الأزمان وغيرها من الأفكار الخبيثة التي غزت عقول الشباب والكبار.

إلا أن الضربة القوية التي غزا بها أعداؤنا عقولنا، فأفسدوا فيها ما شاءوا أن يفسدوا طواعية منا وربما حباً ورغبة.. هي تشويه فكرة شمولية الإسلام، والتأكيد على أن دين الإسلام دين عبادة تؤدى في المساجد، فإذا خرجت من المسجد فاترك الدين وراءك، واحذر أن يتدخل في أي شأن من شئون الدنيا، فلا علاقة له بالتعليم والعلم، ولا شأن له بالتجارة والاقتصاد، ولا كلمة له في السياسة والحروب، ولا داعي لذكره في الأخلاق والمعاملات، ومن السذاجة أن نتخذ منه قواعد وأحكام في الفن والرياضة.

إنه لا يتعدى أن يكون علاقة بين العبد وبه..... لا غير.

وعلى مدار سنوات وسنوات.. نشأت أجيال وأجيال من المسلمين، لا ترى في الإسلام دين حياة بل تراه طقوساً وعبادات ووضعوا الإسلام داخل جدران المساجد، فلا يتذكره إن تذكره إلا في أوقات الصلاة – إن صلى – أو في مناسبات معينة كرمضان وبعض المناسبات الدينية.

استغراب الشباب من شمولية الإسلام:

إلا أن الأدهى والأمر.. هو التعجب الشديد الذي يصيب الناس والشباب خاصة، عندما تشرح لهم فكرة الإسلام الحقيقية بشموله وعمومه، وتدخله في كل كبيرة وصغيرة من شئوننا. فلم يترك لنا شيئاً حتى أمرنا فيه بشيء أو نصحنا فيه نصيحة أو وضح لنا حدوده.. ويظل على تعجبه هذا وهو يسأل نفسه.. كيف..

وما علاقة الدين بالرياضة، وهل معقول أن يقبل الدين التمثيل ويسمح بالمسلسلات والأفلام، وما دخل الدين بالمذاكرة.. إلخ.

إن شمولية الإسلام.. لأمر بالغ الصعوبة أن يقتنع به الشباب الآن، لأنه يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن يرى فيها الشباب كيف يطبق الإسلام عملياً، إلا أننا هنا نوضح نظرياً شمولية الإسلام، كيف شمل الإسلام كل مناحي الحياة. تعالوا نعرف عن ديننا العظيم شيئاً جديداً.

ما معنى شمولية الإسلام؟

ليس أبلغ لوصف شمولية الإسلام من قول أحد العلماء في ذلك:

الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً:

فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة.

وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة.

وهو ثقافة وقانون أو جيش وفكرة.

كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواءً بسواء.

انظر كيف وصف الإسلام كله في كلمات قليلة بسيطة معبرة ..

لنأخذها شطراً شطراً.. فنشرحها ونستدل من الكتاب والسنة:

قال تعالى: "ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء"

أولاً- الإسلام

*** دولة ووطن أو حكومة وأمة..**

أي أن الإسلام يعنى بالسياسة فهو يوصى بالعدل في الحكم، وإصلاح حياة الناس والاهتمام بشئونهم من المرافق (كالمياه والكهرباء والنظافة... إلخ)، كما أنه يدعو إلى أن تتصل الدول الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، اتصالا مبنيا على القوة لا على الضعف والخنوع والاستسلام. ، كما يعنى بتربية الشعب على الإيمان بالله والعزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[البقرة:١٧٨].

*** وهو ثقافة وقوة.. أو علم وقضاء.**

فالإسلام وصلت به درجة اهتمامه بالعلم إلى أن جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، في الحديث "**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**"، ولقد دعا إلى الابتكار والإبداع لحماية الدين والتقدم على غيرنا من الأمم، إلا أننا لما تركنا الإسلام صرنا نوصف بالدول النامية. واللفظ الحقيقي، دول متخلفة متأخرة لا تعنى بتقدم ومنافسة، أي أنها أكثر ما يهمها أن تجد قوت يومها لتأكل وتنام. والثقافة تشمل كل ما ينشر العلم والعلوم وينمى العقول ويصحح الأفكار كالصحافة والتمثيل والغناء على أن يكون بشروط شرعية تخرجه من دائرة الحرام إلى دائرة الحلال. وهو أمر سنفرد له إن شاء الله تعالى لقاء خاصاً.

* كما يعنى بالعدل في القضاء.. يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]

*** وهو مادة وثروة.. أو كسب وغنى..**

فالإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه، إذ يقول نبيه ﷺ: **"نعم المال الصالح للرجل الصالح"**. ويقول ﷺ: **"من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له"**. والإسلام يدعو إلى الغنى والثراء في نفس الوقت الذي يدعو فيه إلى عدم عبادة المال، بل عبادة الله وجعل المال وسيلة من وسائل عبادته، لا تخرج به إلى دائرة الحرام.

*** وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة..**

والجهاد يعنى القوة، والقوة لها مصادر كثيرة، فهناك القوة الجسمانية والقوة العلمية والقوة المالية.... إلخ ولأن الإسلام يعنى بالقوة الجسمانية من أجل أن يصبح المسلم قادراً على طاعة الله وتأدية واجبات الإسلام التعبدية والاجتماعية، فلقد عنى بالرياضة، وقال النبي ﷺ "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف". وليس صحيحاً أن الإسلام يحرم مباريات الكرة أو غيرها، فلا جناح على من يشاهد المباريات أو يدخل في منافسات كروية على أن يلتزم بها بشروط تجعلها حلالاً كعدم اللعب عن مال وعدم السب واللعن في أثناء المباراة، وعدم التعصب الأعمى لفريق دون غيره، وعدم صرف المباريات الناس عن الصلاة وأداء الواجبات وهو موضوع سنفرد له الحديث بإذن الله.

*** كما هو عقيدة صحيحة وعبادة صادقة سواءً بسواء.**

وتكاد تكون هذه النقطة هي النقطة الوحيدة التي يقرها المسلمون في أمر دينهم.

وأخيراً إن الله أنزل دين الإسلام ليحيا به الناس فكيف يحيا به الناس وهو ناقص غير مكتمل، إن كمال الإسلام ودرايته بشئون البشر جميعاً.. عبر كل الأزمنة والعصور، هو الذي يجعل الآلاف كل يوم من الأوربيين والأمريكيين يدخلون فيه طواعية، وعن اقتناع كامل.. بأحقية هذا الدين واعتناقه، فهو دين الدنيا والآخرة.

يا إخوة.. لقد اقتنع غيرنا بديننا وشموليته وصلاحيته للحياة.. فمتى نقتنع نحن؟!

***

الاختلاط

نتحدث اليوم عن موضوع له أكبر الأثر على سلوكنا وفى حياتنا كشباب...

أحد الموضوعات التي تتميز بأن لها وجهين..

وجه طبيعي عادى لا يسبب ضرراً للشباب ولا يثير المشاكل للمجتمع...

ووجه آخر غير طبيعي وغير عادى فاسد قبيح مدمر يؤذى الشباب ويفسد المجتمع ويضر الوطن ويصيب الحاضر بالمرض ويقتل المستقبل...

إنه الاختلاط..

والاختلاط معناه وجود الفتيان والفتيات أو الشبان والبنات أو الطلبة والطالبات أو الرجال والنساء في مكان واحد بحيث يتمكن كل منهم من رؤية الآخر والحديث معه..

وفى مجتمعاتنا وفى أي مجتمع من الطبيعي أن يحدث هذا الاختلاط في السوق وفى العمل وفى الندوات العامة وفى الشارع وفى الحفلات العائلية..

وفى عصر الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كان يحدث هذا بل زادوا عليه بوجود النساء والرجال في المسجد في الصلاة وفى الدروس..

وشاركت النساء مع الرجال في كل غزوات الرسول..

وحضرت النساء أخطر الاجتماعات السياسية في التاريخ مثل حضورها مع الرجال في بيعة العقبة الأولى والثانية...

إذن وجود النساء مع الرجال في عصر الرسول مر بصورة طبيعية بل وإيجابية ومفيدة للمجتمع ومؤثرة في نصرة الإسلام وانتشاره..

لم يكن الأمر سلبياً أو مرضياً أو مرعباً أو مدمراً...

إذن ما الذي حدث..

ولماذا أصبح الاختلاط في عصرنا ينشر المعصية ويشيع الرذيلة ويصيب بالتخلف؟

إن هذا الفارق الرهيب يأتي للآتي:

أولاً- في حالة التعامل الفردي..كان التعامل بين الرجل والمرأة يتم في إطار شرعي منضبط ، فالتعامل لا يتم إلا عند الضرورة فقط..زى المرأة ملتزم بضوابط الشرع من غطاء الرأس وملابس فضفاضة لا تكشف عورة ولا تشف عنها، التحدث بوقار واحترام.. وعلى هذا فإن التعامل كان يتم في حدود ضيقة حيث يمثل استثناء من القاعدة وعندما يتم بصورة لا تخرق قواعد الدين.

ثانياً- في حالة الحضور الجماعي كالحضور في المسجد للصلاة أو الندوات أو حضور الاجتماعات، كان يحدث فصل بين الرجال والنساء.

وبهذه الصورة كان تواجد الرجال مع النساء لا يسبب أي مشكلة ومرت الأمور بسلام دون أزمات أو تأثيرات سلبية على مجتمع يريد أن يؤسس بنيانه على أسس قوية ومتينة من حسن الخلق.

لكن الأزمة نشأت عندما تم تكسير الإطار الإسلامي الرباني واستبداله بإطار غربي ظن البعض أنه تقدمي وحضاري ومناسب للعصر.. وأن تواجد الفتى مع الفتاة يجب ألا يتم دون قيود ودون حساسيات ودون تدخل للحلال والحرام، فأصبح تحدث الفتى مع الفتاة والعكس لا يتطلب ضرورة، بل اعتبر كل منهما الآخر كفرد من بني جنسه يمكن أن يتخذه صديقاً له، يحدثه تليفونياً ويلتقي به في نزهة أو حفلة ، وبطبيعة الحال فهذا التفكير لا يفرض على الفتاة الالتزام بزى إسلامي يمنع الإثارة ويحجم الشهوة، بل إن الذي يحدث العكس فالفتاة تتعمد أن تتزين قدر الإمكان، والفتى يتصنع الأسباب للتحدث مع الفتاة وترتيب لقاءات معها..

هذا الفكر تسبب في أن تحول محراب العلم -الجامعة- إلى كرنفالات للأزياء المثيرة وملتقى للعشاق ومصدراً للزواج غير الشرعي.. بل أصبحت في بعض الجامعات وكراً للمخدرات والأعمال المنافية للآداب.

وهجم الاختلاط بهذا الأسلوب وهذا الفكر المدمر وتغلغل في كل مناحي الحياة وأصبح له أنصار يدافعون عنه بصفته مظهراً من مظاهر الحضارة الغربية المتقدمة ويرونه وجهاً من حرية المرأة التي ينشدونها ودافعاً للتقدم الذي تنشده البلاد..

إلا أن الواقع كان يشهد تخلفاً علمياً وتدهوراً أخلاقياً وجرائم تعدت أرقامها الخطوط الحمراء وأمراضاً اجتماعية خطيرة كالخيانات الزوجية وارتفاع مرعب في نسب الطلاق خصوصاً بين الشباب.

وفى واحد من أخطر المجالات على الإطلاق والذي يحدث فيه الاختلاط بصورة فجة ومرعبة سواء في التعليم الثانوي أو التعليم الجامعي تعالوا نرصد آراء الناس والخبراء..

في تحقيق نشر بباب المجتمع بإحدى الجرائد، كان التحقيق يدور حول الاختلاط ويريد أن يبرز فكرة أن الاختلاط في المراحل التعليمية المختلفة له نتائج إيجابية سواء بالبعد عن أسباب الشذوذ الجنسي أو الارتفاع بهم إلى التنافس الدراسي الذي يؤدى حتماً إلى التفوق.

بعثت إحدى القراء برسالة إلى الجريدة تحكى لهم تجربتها مع الاختلاط والنتائج التي وصلت إليها من أثر هذه التجربة..

سنورد الرسالة كما هي وسنترك للطلبة الذين عايشوا تجربة الاختلاط الحكم عليها..

تقول القارئة في الرسالة:

إلى أصحاب الرؤى التقدمية للاختلاط، أقول لهم إنني واحدة ممن عاصرت تلك المصيبة المسماة بالاختلاط المدرسي منذ عامي الأول بالدراسة وحتى آخر يوم بالجامعة ولم أستشعر له مثل تلك الإيجابيات التي ذكرها الأساتذة في التحقيق، وإنما رأيت له سلبيات عديدة استشعرها بإحساس الأنثى حيث لم تكن لدى رؤية دينية أو فلسفية أو تربوية في هذا الوقت..

ومن هذه السلبيات:

١- جنوح بعض الزملاء من الأولاد إلى الاعتداء اللفظي أو الجسدي على بعض المدرسين،لأنه أهانه أمام زميلاته البنات،وهو لا يريد أن يظهر أمامهن بمظهر الطفل الصغير الذي لا حول له ولا قوة.

٢- ميل الكثير من البنات إلى الغياب الدوري كل شهر مع موعد حيضهن،لحيائهن من زملائهن الذين يدركون أعراض الألم على وجوه البنات،آخذين في الهمز واللمز، ويتطوع أكثرهم لعرض أسباب الألم على زملائه الذكور،مما كان يؤثر على تفوقهن الدراسي.

٣- تآكل الحياء الفطري في نفس الطالبة والطالب، ونشأة نوع من الجرأة، والاعتياد على الاختلاط غير المحدود.

٤- نشوب مشاجرات بين الطلبة على إحدى البنات وتحول ساحات المدارس إلى مسارح غرامية وعراكية، وتناولت الصحف مثل هذه الأحداث بشكل موسع في الفترة الأخيرة.

إني أعود وأسأل الطلبة.. أليس ما ورد في الرسالة حقيقة..

أليست هذه مشاهد نراها كل يوم في مسارح المدارس الثانوية..

هل أدى الاختلاط إلى تفوق دراسي وتقدم علمي؟

أعتقد أن الإجابات معروفة..

والمفارقة العجيبة.. إن المدارس الغربية والأمريكية قد لاحظت هذه الأمور في مدارسها المختلطة فأخذ عدد من الدارسين والكتاب للمناداة بالفصل بين الطلبة خصوصاً في فترة المراهقة وانتشرت العديد من مدارس التعليم المنفصل في أمريكا وأكدت الأبحاث أنها أكثر كفاءة وأكثر أماناً..

وفى دراسة لكاتبة كويتية عن الاختلاط تقول:

أضحى الاختلاط في المدارس والجامعات العربية وباء لا يهدد فقط أخلاقيات تحصيل العلم وآدابه،ناهيك عن تخريب الإيمان،بل يجعل من هذه المؤسسات كرنفالاً لعرض الأزياء وحقلاً للتنفيس عن عواطف المراهقين واندفاعاتهم.

تسلل الاختلاط إلى مؤسساتنا التعليمية كغيره من البلاد التي اقتحمت حياتنا الاجتماعية بأسلوب الأمر الواقع حتى غداً هذا هو الأصل،ولما طالب المصلحون بالعدول عنه بعد ثبوت أضراره وانعدام فوائده، هاجت الدنيا وماجت وارتفع صوت اللا دينيين يتهم كل مصلح وكل صاحب غيرة بالتخلف والظلامية، ولا ندرى ما العلاقة بين التقدم والتعليم المختلط ؟!

وفى هدوء وبأسلوب علمي وبخطوات مدروسة يتراجع التعليم المختلط في أمريكا، وتتزايد مدارس الجنس الواحد وكليات البنات.فقد توصلت الكثير من الأبحاث إلى أن خللاً يعوق العملية التعليمية ، وفتحت الطريق إلى التعليم المنفصل الذي ينتشر بشدة.

أما في مجتمعاتنا فمازال العلمانيون يقاتلون حتى آخر رمق في حياة الأمة من أجل التعليم المختلط!!!

وإليكم تجربة من إحدى الولايات الأمريكية في مسألة الاختلاط هي ولاية فرجينيا الأمريكية...

فشل المسئولون في مدرسة (مار ستيلر) المتوسطية بولاية فرجينيا في الوصول إلى حل لمشكلات التشتت وضعف التحصيل التي يعانى منها الطلاب والطالبات وفى النهاية توصلوا إلى أن الاختلاط هو السبب فقرروا منعه داخل فصول الدراسة.... بعد فترة أثبتت التجارب نجاحها، واعترف الطلاب أنهم يشعرون بالارتياح وهم يلقون أبياتاً لشعر من قصائد شكسبير المقررة عليهم في غياب زميلاتهم بينما اعترفت الطالبات أنهن يفضلن إجراء تجارب الفيزياء في غياب الطلاب...

مدارس أخرى مثل مدرسة (روبرت كولمان)..حذت حذو مدرسة (ماستيلر) في تطبيق التعليم غير المختلط بعد أن أثبتت الأبحاث أن طالبات المدارس غير المختلطة يتميزون بالثقة في النفس ويحصلن على درجة عالية في المواد العلمية خاصة.

لقد ذكر أحد العلماء الأمريكيين يدعى (جورج بالوشى)في كتاب الثورة:

أن اختلاط الرجال بالنساء يثير في النفس الغريزة الجنسية بصورة تهدد كيان المجتمع كله..

وذكرت إحدى الجرائد اللبنانية:

أن ستين في المائة من الطلبة في المدرسة والجامعة لا يفكرون في دراستهم ومستقبلهم بالشكل الكافي، ويعود ذلك إلى أنهم يفكرون في الجنس أكثر..

إن الطلبة والطالبات في المدارس المختلطة يتشتت جزء كبير من تركيزهم في التفكير كل في الآخر.. في نظرته له عند كل تصرف وفى محاولة اجتذابه أو الصراع على أحدهم أو إحداهن وكلما زاد هذا التشتت الفكري تناقص التركيز في التحصيل الدراسي بالتـأكيد.

نشرت المجلة الأمريكية الشهيرة (نيوزويك) دراسة بعنوان التفريق أفضل جاء فيها أن التعليم المنفصل يحقق نتائج أفضل وقد ساقت براهين وأدلة قوية على ذلك هي:

١) خريجات كلية الإناث يتفوقن عدداً على جميع النساء في دليل المشاهير الأمريكي.

٢) ثلث النساء من أعضاء مجالس الإدارات في أكبر شركة أمريكية خريجات كليات نسائية.

٣) ٤٣٪ من شهادات الدكتوراه في الرياضيات و٥٠٪ من شهادات الدكتوراه في الهندسة حصلن عليها خريجات خمس كليات إناث.

٤) خريجات كليات البنات يتفوقن على خريجات الكليات المختلطة في عدد درجات الدكتوراه وفى المرتبات والرضا عن العمل.

أثر الاختلاط على الالتزام الديني

إن مصيبة الاختلاط لا تسبب التأخر الدراسي فقط، بل تؤثر على الالتزام الديني أيضاً، فالطالب الذي تتأجج لديه الشهوة باستمرار يكون أبعد ما يكون عن التفكير في تعاليم الدين والالتزام بها، فهو يعلم في قرارة نفسه أن تعاليم الدين من حفاظ على الصلاة وقراءة قرآن وتواضع وذوق على طرفي نقيض مما يفكر فيه من شهوة والنظرة الحرام وحب الظهور.. فيظل يبتعد ويبتعد عن طريق الله حتى يتملكه الشيطان وربما تقع مصائب وكوارث نسمع عنها كل يوم.

ألا يكفى كل هذا لمعرفة الحقيقة..

إن البعد عن الإسلام قد أوقع شباب الأمة في مستنقع لا سبيل للخروج منه إلا بالعودة إلى دين العفة والخلق والطهارة والاعتدال.

الاختلاط في العائلات

يحدث الاختلاط في العائلات بصورة خاطئة ينتج عنها مشاكل عديدة حيث إنها لا تستند إلى شرع، إنما تستند إلى عادات وتقاليد موروثة، مثل الجلوس مع أخ الزوج أو زوج الأخت أو أبناء العم وأبناء الخال والخالة ونحوهم من غير محرم،أو بزى غير شرعي أو الاثنين معاً. فهؤلاء ليسوا من المحارم، وليس لهم النظر إلا إلى وجهها،،حتى لا يفتتن بها فيقعا في الحرام.وقد يخترق العائلة شخص خارج نطاق القرابة أو النسب فيما يسمى في بعض الأسر.. صديق العائلة.

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**» [متفق عليه]، والمراد بالحمو: أخو الزوج وعمه ونحوهما؛ وذلك لأنهم يدخلون البيت بدون ريبة، ولكنهم ليسوا بمحارم بمجرد قرابتهم لزوجها، وعلى ذلك لا يجوز لها أن تكشف لهم عن زينتها ولو كانوا صالحين موثوقاً بهم؛ لأن الله حصر جواز إبداء الزينة في أناس بيَّنهم في الآية السابقة، وليس أخ الزوج ولا عمه ونحوهم منهم، وقال في الحديث المتفق عليه «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»، والمراد بذي المحرم: من يحرم عليه نكاحها على التأبيد لنسب أو مصاهرة أو رضاع، كالأب والابن والأخ والعم ومن يجري مجراهم.

وإنما نهى رسول الله عن ذلك لئلا؛ يرخي لهم الشيطان عنان الغواية، ويمشي بينهم بالفساد، ويوسوس لهم، ويزين لهم المعصية. وقد ثبت عنه أنه قال: «**لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**» [رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه].

ومن جرت العادة في بلادهم بخلاف ذلك، بحجة أن ذلك عادة أهلهم، أو أهل بلدهم، فعليهم أن يجاهدوا أنفسهم في إزالة هذه العادة، وأن يتعاونوا في القضاء عليها، والتخلص من شرها؛ محافظة على الأعراض، وتعاوناً على البر والتقوى، وتنفيذاً لأمر الله عز وجل ورسوله، وأن يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى مما سلف منها، وأن يجتهدوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستمروا عليه، ولا تأخذهم في نصرة الحق وإبطال الباطل لومة لائم، ولا يردهم عن ذلك سخرية أو استهزاء من بعض الناس، فإن الواجب على المسلم اتباع شرع الله برضا وطواعية ورغبة فيما عند الله وخوف عقابه، ولو خالفه في ذلك أقرب الناس وأحب الناس إليه. ولا يجوز اتباع الأهواء والعادات التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإسلام هو دين الحق والهدى والعدالة في كل شيء، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والنهي عما يخالفها.

كيف يتجنب الطالب مضار الاختلاط؟

لابد أن يدرك الطالب أن وجوده في مجتمع مختلط، سيضر بسلوكه وأخلاقه ودينه وصحته النفسية ومستواه الدراسي، ومن ثم فعليه أن يحصن نفسه جيداً من أضراره كالآتي:

١-غض البصر. ٢-الابتعاد عن الدروس الخصوصية المشتركة.

٣- عدم محاولة التحدث مع الفتيات مطلقاً،ولا يحاول التحجج بأن هناك ضرورة علمية كأخذ ملزمة أو السؤال في جزئية يصعب فهمها، فهي أمور يستطيع قطعاً الاستعانة بأحد زملائه فيه، وهي بلا شك مداخل من الشيطان يشده بها إلى المعصية.

وأخيراً... فإننا نود أن نشير إلى عدة نقاط مهمة:

أولاً- إن الإسلام نظر لقضية الاختلاط على أنها ضرورة وليست أصلا.

ثانيا- أن الله فطر الفتى والفتاة لينجذب كل منهما للآخر، ولكنه وضع ضوابط لتفادى أضرار هذا الانجذاب، مثل زى الفتاه المحتشم الذي يستر شعرها وجسدها ولا يظهر مفاتنها، وأن يكون سلوك كل من الطرفين وقوراً محترماً ليس فيه نية استمالة للطرف الآخر.

ثالثا- إن الله وضع طرقاً تحمى المجتمع من الفساد الخلقي عند التقارب بين الطرفين بغرض الزواج، فبدأت بكيفية الاختيار ثم الخطبة ثم الزواج.

إن العلاقة بين الفتى والفتاة علاقة حساسة ينبغي النظر إليها بالكثير من الحرص لنحمى أنفسنا وإخواننا وأخواتنا ومجتمعنا من أخطار نفسية واجتماعية نطالعها ليل نهار بأسى وبحزن.. وبعجز أيضاً..

يا إخوة.. نحن الذين نصنع المشكلة بأيدينا..وبأيدينا أن نقى أنفسنا شرها إذا تذكرنا أننا مسلمون ينبغي علينا أن نتبع ديناً اسمه الإسلام وضعه الله وجاء به محمد ﷺ وضرب الصحابة به المثل..وجئنا نحن لنضعه في خانة الديانة في البطاقة الشخصية.

الإسلام والجنس

الغريزة الجنسية أهم وأخطر الغرائز التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وهى غريزة على خطورتها وأهميتها تناولها الإسلام بحساسية بالغة ووضع لها ضوابط تحكمها لكي تسير في الاتجاه الصحيح ولا تشرد بعيداً فتتسبب في فساد الإنسان والمجتمع والبشرية.

لماذا خلق الله غريزة الجنس في الإنسان ؟

- خلق الله غريزة الجنس في الإنسان بهدف إعمار الكون، فبدونها لن يقبل الإنسان على الزواج، وبإقبال الإنسان على الزواج، تحدث عملية التناسل البشرى وتنشأ أجيال من البشر يعمرون الأرض، وبدون هذه الغريزة يتوقف النسل البشرى وتتوقف الحياة كلها.

خطورة الغريزة الجنسية:

خطورة غريزة الجنس أنها قوية وكثيراً ما تتحكم في العقل وتجعله يفعل ما لا يؤمن به، ويرتكب أفعالاً يعلم تمام العلم أنها خطأ أو حرام وتجعله ينكر أفكاره وآراءه لإرضاء شهوته، ولإدراك قوى الشيطان بمدى قوة تأثير الغريزة الجنسية على الإنسان فقد دبرت المؤامرات والحيل من قبل أعداء الإسلام في تدمير الشباب مثل:

١- إقناع المرأة بالتبرج والعرى وترويج أن هذا تحرر وتقدمية وما عداه فهو تخلف ورجعية.

٢- الهجوم الشديد على الحجاب سواء في الدول الإسلامية أو غير الإسلامية، حتى لو وصل الأمر في دولة مثل فرنسا لتدخل الرئيس شيراك نفسه في المسألة حتى تم إصدار قانون يمنع ارتداء الحجاب في المدارس.

٣- نشر الأفلام الإباحية عن طريق الفيديو والدش.

٤- الخلاعة والعرى في وسائل الإعلام المحلية مثل: التليفزيون، والمجلات، ومعظم الجرائد حتى خرجت جرائد قذرة تعتمد أساساً في توزيعها على الصور والموضوعات الجنسية.

٥- استخدام الجنس أيضاً في إغراء بعض العلماء الأفذاذ بغرض الاستفادة بعلمهم وعدم تسخيره لبلادهم.

٦- استخدام الجنس في تجنيد الجواسيس.

وطالب ثانوي من السهل أن يتأثر بشدة بشهوة الجنس بحكم أنها جديدة عليه وفى غياب التربية الدينية والأخلاق والقدوة من السهل جداً أن تدفعه شهوة الجنس إلى طريق الخطأ مثل:

١- مراقبة الفتيات في الشوارع وأمام المدارس، وفى الأفلام والمسلسلات حتى إن هناك بعض الطلبة لا يشاهدون التليفزيون إلا من أجل تتبع المشاهد الخليعة فيه.

٢- إقامة علاقات عاطفية لا تقوم على أساس شرعي مما يؤدى إلى وقوع الفواحش في المجتمع (ومنها انتشار ظاهرة الزواج العرفي).

٣- ابتعاد الطالب عن الدين وجادة الطريق، فالطالب الذي يقيم علاقة مع فتاة لن يفكر في المسجد والصلاة وقراءة القرآن، والطالب الذي يبحث عن المشاهد الخليعة في الأفلام والمسلسلات من الصعب أن يفكر في حضور ندوة في المسجد أو مقرأة.

٤- قد تتمكن الشهوة من بعض الطلبة حتى تصل الدرجة إلى أن يعمل ويكسب من أجل إنفاق هذه الأموال على شهوته الجنسية بشتى الوسائل مثل الذهاب في رحلات ومصايف لرؤية البنات على الشاطئ وإقامة صداقات هناك وشراء أفلام إباحية ودخول السينما..... إلخ.

كيف حصن الإسلام المسلم من خطورة الشهوة الجنسية؟

خلق الله الشهوات في الإنسان ليختبره، فإن استخدمها في الحدود التي رسمها الله له فضله الله على الملائكة وفاز بالسعادة والرضا في الدنيا والآخرة، وإن أطلق العنان لشهواته دون وازع من دين وضابط من خلق، كان مثل الحيوان لا عقل له ولا هدف إلا إرضاء شهوته، ولقد أراد الله أن يلتزم الإنسان فخلق فيه الشهوة ثم علمه كيف يقودها ويحركها ويتحكم فيها لا العكس. ولكي يتمكن الإنسان من تحصين نفسه من هجوم شهوة الجنس والتحكم فيها ينبغي اتباع الوسائل الآتية:

١- غض البصر.

٢- الابتعاد عن المثيرات مثل: بعض الأفلام والبرامج في التليفزيون وبعض الصحف والمجلات الخليعة.

٣- العبادة وذكر الله كثيراً.

٤- الارتباط بالقرآن بصلة وثيقة، وحمل مصحف صغير في الجيب للقراءة فيه في أي وقت فراغ، وتسميع ما تحفظ منه وأنت سائر في الشارع أو في وسيلة المواصلات.

٥- الصحبة الصالحة. فإن الشيطان قريب من الواحد ومن الاثنين أبعد.

الكلام في المسائل الجنسية:

- إسلامنا العظيم دين شامل كامل جاء لتنظيم حياة البشر، بالطريقة التي تريحهم وتسعدهم، والإسلام لم يترك الحديث في أي مجال من مجالات الحياة، في العبادة والعلم والفن والرياضة والسياسة، حتى الجنس تناوله الإسلام بالحديث واعتبرها قضية خطيرة بالنسبة للمسلم، وعدم الإلمام بالمعلومات الصحية الخاصة بها قد يعرض المسلم لمشاكل

صحية ونفسية واجتماعية.

– صحية: في إصابته بأمراض جنسية إذا ما حدث انحراف أخلاقي وديني بإقامة ممارسات تغضب الله.

– نفسية: في التوتر من الهواجس الفكرية المصاحبة لبعض المشاكل الجنسية مثل الأضرار التي تسببها العادة السرية وهل هي صحية أم لا وهل العادة السرية حرام أم حلال. وكيف يتغلب الفرد على هذه المشكلة؟

– اجتماعية: فقد تتسبب ضعف المعلومات الجنسية وأخذها من مصادر خاصة مثل المجلات والأفلام الجنسية إلى حدوث مشاكل زوجية ربما تنتهي بالطلاق وهو ما يحدث بنسبة ليست قليلة بمصر.

إلا أن الواقع يفرض حقيقة، أن معظم الشباب يمارس العادة السرية سواء من اقتنع بحرمتها أو لا، سواء من اقتنع بضررها أم لا، وبعض من هؤلاء يفكر كيف يتخلص منها، إما للضرر الصحي أو إما لأنه يشعر أن هذا الفعل لا يتفق أبداً مع التدين واحترام النفس ووقارها.. ونحن نناقش الأمر من هذه الزاوية.. وننصح بعدة نقاط للإقلاع عن ممارسة العادة السرية:

١- الرغبة الصادقة في الامتناع عن هذه العادة واستجماع الإرادة لتحقيق الهدف، وذلك بمنع السبب الأساسي لممارسة العادة السرية بقدر الإمكان، وهو الإثارة الجنسية سواء مما تشاهده في التليفزيون أو الشارع أو المجلات... إلخ. وربما تستخدم في ذلك وسائل قد تبدو أنها قاسية ولكنها مفيدة وفعالة:

لا تشاهد التليفزيون مطلقاً، على الأقل لمدة شهرين، أولاً: لا تقوم أنت بفتحه، فإذا دخلت ووجدته مفتوحاً، اصرف نظرك واجلس في حجرة أخرى، ولاشك أن هناك بعض البرامج الهادفة في التليفزيون كالبرامج الدينية والعلمية ولكن ضبط قناة واحدة فقط قد ينقلك من قناة تذيع برنامج كله ورع وتقوى إلى قناة أخرى تذيع أغنية فيديو كليب ورقص وفجور، للأسف الأخير يمحو الأول لقوته وشدته، مع ضعف الإنسان، ولذلك ترى أنه من الأولى ألا تقوم بفتح التليفزيون مطلقاً على المفيد والضار على السواء، على الأقل حتى تقلع عن هذه العادة.

٢- غض البصر عن فتيات الشارع والمدرسة ما استطعت، عملياً تستطيع أن تفادى ٩٠٪ من النظرات المحرمة إذا أردت، فإذا وقع بصرك على فتاة جاهد نفسك وغض بصرك وتذكر ثواب الله وجزاءه.، استعن بذكر الله وبتسميع ما تحفظ من القرآن وأنت سائر في الشارع، وإن كنت مع زميل فلينصح بعضكم بعضاً بغض البصر.

٣- الصحبة الصالحة والبعد عن الصحبة الفاسدة الدائمة البحث عن إثارة الغريزة في

كلامها وأفعالها وأفكارها.

٤- الإقلاع عن العادة السرية بالتدريج. من ٤ مرات في الأسبوع إلى ٣ ثم ٢ إلى ١ وهكذا إلى أن تنتهي تماماً، حسب قدرتك الشخصية.

٥- كثرة العبادة والدعاء لنفسك.

٦- من المتوقع أن تسقط وتشعر أنه لا فائدة مما تفعل وأن الشهوة تتحكم فيك كما تشاء وأنه لا أمل في الإقلاع عنها، فاعلم أن هذا من ألاعيب الشيطان فإذا سقطت فقم مرة أخرى وانهض وحاول وجاهد وستحقق هدفك يوماً إن شاء الله. واعلم أنه كلما زادت روحانياتك وصلتك بالقرآن وبالله زادت قوتك وقوة إرادتك وضعف شيطانك. واعلم أيضاً أن الفراغ الفكري وعدم التفكير في أمور مهمة وجادة تدفع الإنسان إلى التفكير في الشهوات وكيفية تلبيتها.

***

المؤامرة على الشباب المسلم

مظاهر الحقد على الإسلام:

لقد ظهرت بالفعل مظاهر ودلائل حقد الغرب على المسلمين في مواقف عديدة، واضحة وضوح الشمس.. ومن هذه المواقف التي لا يختلف عليها اثنان ما يلي:

١- قضية فلسطين: وانحياز أمريكا السافر والوقح لمناصرة الجرائم اليهودية في شعب فلسطين المسلم من قتل وتشريد واعتقال واغتيال للقيادات الإسلامية فإذا تحدثت أمريكا قالت أن ما يفعله اليهود دفاع عن النفس، إزاء ما يفعله الفلسطينيون من عمليات إرهابية، والمقصود بها العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المجاهدون للدفاع عن أرضهم ودينهم.

٢- عمليات القتل الجماعي والذبح التي قام بها الصرب على أهل المسلمين في دولة البوسنة في التسعينات، كان واضحاً جلياً لكل ذي عينين أنها حرب صليبية دينية المقصود بها المسلم دون أي سبب آخر، حتى إن الطفل الصغير كان يذبح كالشاة لمجرد أن يعرف أن أبويه مسلمين، مع الأخذ في الاعتبار أن أهل البوسنة (إحدى دول يوغوسلافيا قبل انقسامها) كانوا بعيدين تماماً عن الإسلام، فلم يكونوا بالملتزمين الذين يخشى منهم القيام بثورة إسلامية داخل أوربا، ولكنه الحقد على الإسلام لا غير.

٣- في أوائل التسعينات قامت انتخابات حرة في الجزائر، ودخل فيها تيار إسلامي باسم جبهة الإنقاذ، واكتسحت الجبهة الانتخابات، وأصبحت ممثلة قانوناً لمجلس الشعب الجزائري، فإذا بأول حدث من نوعه في العالم ! تقوم الحكومة الجزائرية بإلغاء نتيجة الانتخابات بل وتدخلت فرنسا (التي كانت تحتل الجزائر في السابق) وتهدد بأنها ستتدخل عسكرياً في الجزائر إذا تمكنت جبهة الإنقاذ من الوصول إلى الحكم.. أي حقد وأي غل يا دعاة الحرية والمساواة.

٤- في عام ٢٠٠٤ صدر قانون فرنسي أذهل كل المسلمين، هو منع ارتداء الحجاب داخل المدارس أو المؤسسات الحكومية الفرنسية.

لماذا الشباب ؟

من هذا الدفع الخبيث.. والرغبة الشيطانية في القضاء على دين الله عز وجل، سهر شياطين الغرب الفاجر يخططون لدين الإسلام وكانت درة تخطيطهم القضاء على الشباب المسلم (فتيات وفتيان)، لعلمهم أن الشباب هم ساعد الأمة وقوتها وحركتها وعنفوانها، فإذا انهار الشباب وضعف إيمانهم وفسدت تربيتهم وضاعت أخلاقهم، ضاعت معهم الأمة

وسهل الانقضاض عليها والتحكم فيها كما هو الحال الآن، وكانت أهدافهم في ذلك كما يلي:

١- القضاء على روح التدين وإضعاف الصلة بالله.

٢- القضاء على الأخلاق.

٣- إدخال النموذج الغربي في المجتمع المسلم وجعله المثل الأعلى للشباب.

وكانت وسائلهم إلى ذلك:

١- الإعلام الفاسد: المتمثل في التليفزيون والسينما والمسرح والصحافة من جرائد ومجلات ماجنة وذلك على مستويين: الأول- ترويج مشاهد الجنس والفجور التي تجذب الشباب في الأفلام والمسلسلات، واعتبار ذلك نوعاً من الإبداع الفني. الثاني- ترويج الأفكار الهدامة التي تهاجم الإسلام وتدعو إلى الانحلال، مثل الدعوة إلى إقامة العلاقات المحرمة بين الفتى والفتاة تحت مسمى الحب والعلاقات العاطفية، وهو ما أدى إلى انتشار الفاحشة بين الشباب، وظهور كارثة اجتماعية في مصر بين شباب الجامعة اسمها الزواج العرفي.

٢- مؤامرة تحرير المرأة.. وإظهار أن تقدم المجتمع في سفور المرأة وتبرجها وعريها، وخرجت بيوت الأزياء اليهودية لتخرج كل عام أزياء جديدة عارية، ومجسدة لجسم المرأة، وتلبسها الفتيات فتفسد على الشباب دينهم وأخلاقهم.

٣- ترويج الجنس بين الشباب المتمثل في الأفلام الجنسية، التي كانت تروج من خلال محلات الفيديو وأصبحت الآن تروج من خلال الدش، وخرجت القنوات الفضائية شبه الجنسية في الفضائيات العربية مثل قنوات الأغاني العربية الماجنة، والتي يفتح عليها أصحاب المقاهي ليل نهار.

٤- إفساد القدوة، حيث تم إعلان القدوة التافهة في المجتمع مثل الممثلين الماجنين ولاعبي الكرة، لتتطلع إليهم أحلام الشباب ويفقدوا مع ذلك الأمل في فائدة التعليم على ما يفعله من جهد ومشقة.

٥- جعل أهداف الشباب كلها دنيوية تجعله لا علاقة له بالآخرة، مثل الرغبة في الغنى والثروة والشهرة، وحتى وإن تفوق علمياً فالهدف من ذلك المكانة الاجتماعية العالية التي يفتخر بها بين الناس، ولا مانع من ذلك أن يقدم علمه لدول أجنبية معادية مثل ما تفعله أمريكا من اجتذاب العقول العربية النابغة إليها

٦- الغزو الإعلامي الرهيب عن طريق الفضائيات، بما تحويه من أفلام أمريكية غاية في الإبهار، مما جعل الشباب يحب النموذج الأمريكي في نفس الوقت الذي تقتل فيه

أمريكا إخواناً لنا في فلسطين والعراق، مما يصرف الشباب شيئاً فشيئاً عن الثقافة العربية الإسلامية مستسلمين لثقافة جديدة اسمها الثقافة الأمريكية.

إن ما نراه اليوم من حال الشباب هو نتيجة لما تم تدبيره من أعدائنا، فانهيار الأخلاق والبعد عن الدين والتخلف العلمي وحالة الاستهتار واللامبالاة وعدم وضوح هدف من الحياة جعل شبابنا في حالة يرثى لها.. يتلاعب بنا الأعداء كيفما شاءوا، في وقت الحرب على العراق كنا نشاهد شباباً يشاهد قناة إخبارية مثل قناة الجزيرة تنقل لنا الأخبار المأساوية للحرب، ثم نجد نفس الشباب قد أداروا مؤشر القنوات على فيلم أمريكي مبهر يرونه وكأن على رؤوسهم الطير - أرأيتم كيف تلاعب بنا أعدائنا.

إن مهمتنا أمام أنفسنا وأمام ديننا ثقيلة لمواجهة هذا المخطط الرهيب الذي نواجهه به من أعدائنا، وإن الطريق لطويل ولكن نحتاج إلى الإيمان بالله وحبه.

وإليكم بعض النصائح التي أتمنى أن نلتزم بها أيها الأخوة الأحباب لنعود إلى ديننا الجميل وإلى ربنا العظيم:

١- الاعتزاز بديننا الإسلام.

٢- أن يتحول حبنا لرسول الله ﷺ إلى برنامج عملي.

٣- الفهم الشمولي للإسلام.

٤- الذكر الدائم لله بالقول والعمل.

٥- التحلي بالأخلاق الفاضلة وخصوصاً غض البصر والحياء.

٦- أن نفهم لماذا خلقنا ولماذا نعيش.

٧- أن نتعلق بالآخرة لا بالدنيا.

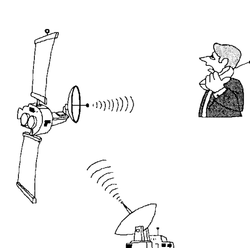
٨- أن نعرف مسئوليتنا تجاه ديننا.

٩- أن نتحلى بالإيجابية ونترك السلبية.

١٠- أن ندعو لأنفسنا ولغيرنا بالهداية والفوز بالجنة.

***

الغزو الفكري



أخطر أسلحة أعداء الإسلام لتدمير الأمة على الإطلاق سلاح أقوى من المدفع ومن الدبابة والصاروخ، وأمضى من الرصاص وأكثر دوياً من القنابل، سلاح يطول الفتى والفتاة والرجل والمرأة والطفل والعجوز وهم في بيوتهم وعلى فرشهم، سلاح يصوبه القتيل إلى نفسه عن طيب خاطر وراحة نفس بل ويسعى إليه في كثير من الأحيان..

إنه سلاح.. الغزو الفكري.. أصاب الجميع في مقتل، وأكثرهم الشباب، فضعف الإيمان ووهنت الأمة وتكالب عليها الأعداء.



ما معنى الغزو الفكري ؟

الغزو الفكري.. يعنى حرب العقول وغزوها بأفكار هدامة لصرفها عن دينها وتدمير أخلاقها فتسهل السيطرة عليها وقيادتها.

وهو غزو يتميز بأنه يستهين به كثير من الناس ويمضى بينهم في صمت ونعومة.

وسلاح هذا الغزو الكلمة والرأي والنظريات وخلابة المنطق وبراعة العرض وتحريف الكلم عن مواضعه، عن طريق وسائل الإعلام المختلفة مثل السينما والمسرح والتليفزيون والجرائد... إلخ.

ويتصف الغزو الفكري بالشمول والامتداد عبر الزمان والمكان، وتسبق حروب السلاح ومواكبها ثم تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه.

لماذا لجأ أعداء الإسلام إلى الغزو الفكري ؟

أدرك أعداء الإسلام من الأوربيين فشل حملاتهم الصليبية العسكرية المتكررة على العالم الإسلامي، إن هذه الحروب العسكرية وحدها لن تحقق لهم القضاء على المسلمين، وتبين لهم، بعد تجارب مريرة، أن الإسلام نفسه عقيدة ومنهاجاً هو المصدر الذي يمد المسلمين بعوامل القوة والثبات.

- يقول جلادستون "رئيس وزراء بريطانيا" في مجلس العموم البريطاني: (ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان).

• ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم).

• يقول المبشر تاكاي: (يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحاً).

• ويقول صموئيل زويمر ' رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين سنة ١٩٣٥م: (إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونوا بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية).

أساليب الغزو الفكري:

١ - الاستشراق:

المستشرق: هو كل من اهتم من غير المسلمين بدراسة الدين الإسلامي بدوافع شيطانية تهدف إلى زعزعة قيم الإسلام في نفوس المسلمين.

وكان المستشرقون يهدفون في كتاباتهم إلى ما يلي:

١- التشكيك في صحة العقيدة الإسلامية.

٢- تشويه صورة النبي ﷺ.

٣- تشويه صورة رجال الإسلام الأوائل الذين لهم منزلة خاصة عند المسلمين.

٤- تشويه تاريخ الإسلام.

٥- الإلحاح على أن الإسلام دين إرهابي انتشر بحد السيف.

٦- الإلحاح بأن الإسلام من تراث الماضي جاء لمدة محدودة وانتهى دوره. القول بأن الإسلام دين رجعي متخلف متأخر لا يصلح للتطبيق اليوم.

٧- الإلحاح بأن الإسلام دين عربي وليس ديناً عالمياً.

٨- الربط بين الإسلام وصورة المسلمين الحالية لتشويه صورة الإسلام بجعله سبباً لهذا التأخر.

٢ - التبشير (التنصير).

- التبشير: هي دعوة المسلمين إلى ترك دينهم والدخول في المسيحية، وهى حملات تستهدف المناطق الإسلامية الغارقة في الفقر، ويقوم المبشرون بالتأثير عليهم بالإغداق عليهم بالطعام والعيشة الكريمة بشرط ترك الإسلام والانضمام للمسيحية. وتنشط هذه الحركات في عدة دول في جنوب أفريقيا حيث الفقر والمجاعات والجهل الشديد بالإسلام.

٣- التغريب:

تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية تهدف إلى صنع حياة الأمم وبخاصة الإسلامية بالتبعية الكاملة للحضارة الغربية. ومن نتائج عملية التغريب:

١- فصل الدين عن حياة الناس الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية فيما يعرف بالنظام العلماني، فأصبح عامة المسلمين وبخاصة الشباب مقتنعون أن الإسلام دين عبادة فقط وأنه لا دخل له بحياة الناس.

٢- التقليد الأعمى للحضارة الغربية.

حيث امتد هذا التقليد ليشمل الجوانب الاجتماعية والأخلاقية. وهو أمر ظاهر جداً في حياتنا اليومية وخاصة بين الطلبة والشباب ويظهر ذلك في:

أ- ارتداء الملابس الأجنبية حتى وإن لم يفهم ما هو مكتوب عليها.

ب- ميل الشباب إلى الرقص والعربدة وعدم الوقار في المشي والكلمة واعتبار ذلك تقليداً للغرب المتقدمين.

ج- محاولة التحدث بألفاظ أجنبية وتسمية المحلات في المناطق الريفية بأسماء أجنبية تشبهاً بالغرب.

د- أصبحت أفكار الشباب وأهدافهم دنيوية تنحصر في الحصول على المال والثروة والزواج والشهوة والمتعة فقط، بينما ندر من الشباب من نجده يفكر في حلم دخول الجنة، ونصرة الإسلام وإصلاح المجتمع، والدعوة إلى الله.

هـ- انحلال وسائل الإعلام في السينما والتليفزيون والمسرح ومحاولة الوصول إلى النموذج الغربي في الإعلام بالتدريج، وخصوصاً في الفضائيات العربية.

و- تبرج الفتيات وانتشار فكرة (boy friend) (صديق الفتاة) في الجامعة بصورة كبيرة مما تبع ذلك من كارثة الزواج العرفي الذي يزلزل الأسر المصرية كل يوم، والعجيب أن هذا التقليد يأتي في التافه الرخيص فقط ولا يتطرق إلى الجاد النافع كالعلم والقراءة، وهناك أساليب أخرى غاية في الخطورة لا يتسع الحديث لها الآن ولكننا نذكرها سريعاً

مثل:

⇐ تغريب مناهج التعليم.

⇐ حض رجال الفكر والأدب على تبنى الأفكار الغربية المناهضة للإسلام.

⇐ تحريض المرأة المسلمة على نبذ الإسلام.

⇐ فرض النظم والقوانين الأوربية بالقوة.

⇐ زرع قيادات معادية للإسلام داخل البلاد الإسلامية.

⇐ مساندة الصهيونية.

⇐ نشر المذاهب اللا دينية والشعارات الهدامة

***

العلاقة بالجنس الآخر

تحدثنا في حلقة سابقة عن العلاقة بالجنس الآخر في موضوع انفعالات المراهق.. وكنا نريد أن نبحث ما مدى تأثير ظهور الغريزة الجنسية في انفعالات المراهق.. واليوم نتحدث عن العلاقة بالجنس الآخر من وجهة النظر الفكرية.. ما هي حدودها الشرعية، وكيف يتحدث الإسلام عنها وما آثار العلاقة الفاسدة على الفرد والمجتمع...، تعالوا نناقش هذا الموضوع الهام جداً.. والخطير جداً.

– مع بداية مرحلة المراهقة تتكون الأعضاء التناسلية لدى المراهق، ويبدأ الشعور بأخطر شهوة من شهوات النفس على الإطلاق وهى شهوة الجنس، وهو ما يدفعه تلقائياً وبدافع داخلي قوى للنظر للفتيات، ومع فساد المجتمع وكشف الفتيات عن مفاتنها في الشارع وفى المدرسة وفى وسائل الإعلام، تتأجج الشهوة ويتزايد التفكير في الجنس الآخر بصورة قوية، ومع النمو الانفعالي للمراهق تأخذ عاطفة الحب اتجاهاً جديداً ومغرياً وتبدأ في التفكير في إقامة علاقة عاطفية مع فتاة – تبدأ بالنظرة ثم بالحديث ثم اللقاء.

– وفى غياب الدين وإهمال المجتمع كله لقضية الأخلاق، والحديث عن زى المرأة المحتشم أنه تخلف ورجعية – تنتشر هذه العلاقات بصورة فاسدة تسقط المجتمع في براثن الرذيلة والفحش.

– ومظاهر العلاقة الفاسدة بين الفتى والفتاة.وحكايات الطلبة في هذا الموضوع ليس لها أول من آخر، وهى تبدأ بالمعاكسات في الشارع، وأمام مدارس البنات، والمكالمات التليفونية واللقاء في الدرس الخصوصي، وتتطور إلى أخذ مواعيد خارج المنزل دون علم الأهل، وفى بعض الأماكن التي يقطنها أولياء أمور سذج وأغبياء يسمحون لبناتهم بمقابلة شبان دون علمهم خارج المنزل، ولا عجب بعد ذلك أن نسمع عن انتشار جرائم الزنا في المجتمع وانتشار ظاهرة الزواج العرفي.

إن عدم فهم الطالب أو المراهق طبيعة هذه العلاقة وحدودها من وجهة نظر الإسلام الحنيف ليوقع الطالب والأسرة والمجتمع كله في مصائب وكوارث أخلاقية إما أنه من الصعب حلها، أو لا حل على الإطلاق.

ما رأي الإسلام في العلاقة بين الجنسين؟

تناول الإسلام هذه القضية باهتمام بالغ وحذر من عواقب إساءة استخدامها، والعجيب أن الجميع يعرف ذلك، ويعرف أن ما يقوم به حرام لا شك ولكن ينساق وراء شهواته ونزواته دون خوف من الله أو حتى على نفسه.

ونجمل رؤية الإسلام في العلاقة بين الجنسين في النقاط التالية:

١ - لحساسية المسألة وخطورتها وضع الإسلام قيوداً على النظرة للفتاة أصلاً من الفتى وألزم الفتاة بزى شرعي لا يلفت النظر ولا يثير الشهوة، فقال إن النظرة بريد الزنى، أي أن النظر إلى الفتاة أصلاً محرم إلا في ضرورات معروفة مثل:

- حالة البيع والشراء، إذا كانت التي تبيع فتاة والمشترى رجل أو العكس، فالنظر هنا ضروري على ألا يكون بشهوة وليس في مواضع فتنة من الجسد.

- النظر لمقدمة برنامج وهى محجبة، مثل المذيعات المحجبات اللائي يقدمن بعض البرامج في قناة اقرأ ونشرات الأخبار في قناة المنار.

شبهات حول النظر للمرأة:

- قد يقول قائل من الطلبة أنه يحتاج إلى أن يتحدث مع زميلة وبالتالي ينظر إليها إذا طلب منها مذكرة مثلاً أو كتاباً، وهذا حق يراد به باطل، فما الداعي أن تسأل زميلتك عن مذكرة أو كتاب، فلماذا لا تسأل زميلاً لك، ولكن الشيطان يرسم لنا طريق المعصية فنقتنع به ثم ندافع عنه على أنه الصواب.

- قد يقول آخر أن الأمر ليس بيدنا، فالنساء والفتيات ما أكثرهن في الطريق، ولن نستطيع أن نسير في الشارع مطأطئي الرؤوس فلا يبصر أحدنا طريقه، والحق أننا لا ننكر صعوبة الأمر، ولكن إذا حاول صادق النية أن يغض بصره فسيحد حتماً من نظراته المحرقة بدلاً من أن تقع نظراته على ١٠ في الطريق ستقع في ثلاثة، فإن جاهد نفسه وصرف بصره نجا من الإثم تماماً، لأن نظرة الفجأة الأولى لك والثانية عليك.

- أما إذا وقعت حالة الضرورة بأن أصبح الرجل مضطراً أن يتحدث إلى المرأة مثل حالات وجود موظفين من الرجال والنساء في مكان عمل واحد - فإن الإسلام يشدد على طريقة الحوار بين الجنسين كالآتي:

أن يقتصر الكلام على الموضوع المطلوب فقط، ولا يتخذه أحد الطرفين وسيلة للدخول في مسائل شخصية واستمالة كل طرف للآخر بكلام عذب جميل بغرض إقامة علاقة، وهذا لا يعنى أن يتم التعامل بين الطرفين بفظاظة وغلظة، ولكن الذوق والأدب في التعامل مطلوب وحتى البسمة مطلوبة ولكن بنية حسن التعامل وليس بنية إيقاع الطرف الآخر في براثن علاقة غير شرعية.

الحب:

هل حب الفتى للفتاة حرام أم حلال ؟ ولماذا يحل الناس الحب بين الزوجين أو حتى بين الخطيب وخطيبته ثم يحرمونه على الطالب والطالبة ويقولون لنا دائماً أنك ما زلت صغيراً على هذه المسائل ؟ ولماذا يحرم الحب وهو عاطفة جميلة نبيلة تسمو بالمشاعر وترقق

الإحساس وتسعد الإنسان ؟

الأسئلة السابقة هي جزء من الأسئلة الكثيرة التي يسألها المراهق نفسه دون إجابة، وفي نفس الوقت لا يجرؤ أن يسأل والديه هذه الأسئلة.

ونحن هنا نحاول الإجابة عليها من وجه نظر ديننا العظيم الإسلام.

الحب عاطفة جميلة لا شك تسمو بالمشاعر وترقق الإحساس وتدعو إلى العفو والرحمة والتسامح والتعاون وفعل الخيرات وإنكار الذات.

وهي عاطفة تدرب النفس عل العطاء وتقيد فيه الأنانية بشرط أن يكون هذا الحب حباً حقيقياً لذات الشخص لا لغناه أو لسلطانه، أو الجمال في حالة المرأة، فهي ميزات مثيرة للإعجاب وليست مثيرة للحب فمتى يزول هذا الإعجاب زالت، أما الحب فيبقى ولا يزول بزوالها بل ربما يقوى ويزداد، إلا أن الله لم يخلق عاطفة الحب في الإنسان ليوجهها إلى المرأة فقط بل جعل حب المرأة صنف من أصناف ومستوى ضمن مستويات ثلاثة هي:

الحب الأعلى:

حب الله والرسول والجهاد في سبيل الله.

الحب الأوسط:

حب الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة.

الحب الأدنى:

إيثار حب الأهل والعشيرة والأموال والمسكن على حب الله والرسول والجهاد في سبيل الله.

إن أعلى درجات الحب هو حب الله.. ولا تستقيم أصناف الحب وتسلك طريقها الصحيح إلا إذا كانت بعد حب الله فلا تفضل حب المال على الله، ولا تفضل حب الشهرة على الله، ولا تفضل حب المرأة على الله ، ولا تفضل حب النفس على الله ، ولا تفضل حب الأهل على الله.

وهذه هي النقطة الحاسمة في قضية الحب في مرحلة ثانوي.

إن تقييم العلاقات والعواطف لابد أن يكون بميزان الإسلام لا بأي ميزان آخر، فإذا استقر الميزان ناحية الله مضينا في طريقنا دونما خوف، وإذا استقر الميزان في الناحية الأخرى أدركنا دون شك أن الخسارة قادمة لا محالة في الدنيا والآخرة.

والمشكلة الأساسية في قضية الحب أنه كثيراً ما يطغى على العقل فلا يجعله يفكر بحرية

بل يجعله يفكر في الاتجاه الذي يرضى مشاعره ويتجنب صدمته، ولذلك وجب التفكير لكل منا في الخوض في غمار هذه العاطفة قبل أن يصبح مقيداً بعاطفة قوية لا تتيح له التفكير المنطقي والسليم.

إن عدداً من الأسئلة سيوضح الأمر ويكشف الحقيقة:

- إذا أحببت فتاة في سن ثانوي، ما هي الخطوة التي تتبع هذا الحب:

١- هل سأنوى خطبتها وزواجها؟

٢- هل الغرض أن نلتقي فقط ونتحدث، ثم نؤجل موضوع الخطبة والزواج إلى ما بعد الدراسة؟

٣- هل الغرض مسايرة الأصدقاء في تصرف معين بغرض التباهي وإثبات الذات؟

٤- هل هي تسلية لوقت محدود ثم تمضى هذه العلاقة إلى حال سبيلها؟

٥- إن الإجابة على هذه الأسئلة بصدق سيحسم المسألة في ذهن كل طالب دون شك:

- فإذا كانت النية هي الخطبة والزواج فلا نعتقد أن ظروف طالب ثانوي تؤهله لذلك في هذا التوقيت، وربما يكون التفكير أكثر منطقية بعد التخرج من الجامعة حيث يبدأ الشاب استعداده المادي للزواج.

- فإذا كان الغرض هو المقابلات وتبادل الحديث ثم تأجيل الخطبة والزواج إلى ما بعد الدراسة، فإن الإسلام يحرم صحبة الرجل للمرأة والفتى للفتاة إلا بسبب شرعي، ولا يوجد سبب شرعي لصحبة الرجل والمرأة إلا الخطبة أو الزواج - إذن هذا الاحتمال أيضاً يدخل في دائرة الحرام.

- وإذا كان الهدف أن أثبت ذاتي أمام أصدقائي، وأفتخر بعلاقاتي العاطفية المتعددة وأنني (دونجوان) المدرسة الذي ترتمي البنات تحت قدميه، فإنك لا شك تسير في طريق هلاك الدنيا وعذاب الآخرة.

- ولا فرق كبير بين جزاء الرابع والثالث.

- إذن نتيجة التماس حول الاحتمالات السابقة - تحسم الأمر - أن مسألة الحب مرتبطة في الإسلام بالعلاقة الشرعية، الزواج فقط، أما ما عدا ذلك فهو يقع في دائرة الحرام.

وقد يقول قائل: إن عاطفة الحب عاطفة لا إرادية لا يستطيع الواحد منا التحكم فيها، فربما يرى الطالب فتاة في المدرسة أو خارجها فيتعلق بها ويشغف بها حباً... فما ذنبي أنا في ذلك.. وهل يملك الإنسان قلبه ؟

ونقول له.. نعم معك حق.. عاطفة الحب لا إرادية وعفوية ومفاجئة - وقد يتعرض

أحدنا – أي أحد لهذا الهجوم العاطفي في أي مكان في الشارع، المدرسة، وسيلة المواصلات، في العمل.. إلا أن هناك نقطتين:

١ – أن ما يحدث فجأة نحن نقول عنه حباً تجاوزاً، ولكنه في الحقيقة يسمى إعجاب، لأن الحب لابد أن يكون مسبباً فإذا زالت أسبابه زال معها.. بمعنى إذا رأيت فتاة جميلة في الشارع فإنك تعجب بها وتنجذب إليها ويهيأ لك أنك تحبها، ولكن إذا حدث وحدثت هذه الفتاة فسخرت منك وتلفظت بألفاظ بذيئة، واكتشفت عدم وجود ذوق لديها في التعامل وجهلها وسطحيتها في التفكير.. هل تعتقد أن هذه العاطفة التي تشعر بها ستبقى!!

إن الحب مبنى على علاقة قوية يعرف فيها كل شخص الآخر ويدرسه جيداً، ويحدث توافق نفسي وعاطفي بين الطرفين ويشعران تقريباً أنهما شخص واحد.

٢ – وإعجابي بفتاة جميلة في الشارع أو المدرسة.. إلخ، يلفت نظرك إليها، ولكن المهم بعد ذلك.. هل تنساق وراء هذا الإعجاب للتفكير فيها ومحاولة الحديث معها وإقامة علاقة بينك وبينها. فإذا قلت ذلك وأحببتها ولم تكن نيتك رباط شرعي وهو الزواج (وهو مستحيل عملياً) فإن حبك لها سيوردك المهالك.

– والحل.. أن نبتعد عنها ونغض بصرنا ونتجنب رؤيتها هي وغيرها فإذا غاب النظر عنها، نام القلب عن العاطفة نحوها.

* إن عاطفة الحب لدى طالب ثانوي عاطفة جياشة لا يمكن أن نختزلها كلها في حب الفتيات، وهو النوع الوحيد الذي لا مجال له الآن ولسنوات أخرى قادمة، فإذا أراد الطالب أن يرضى ربه فليحصن نفسه من هذا الحب إلا أن يصبح قادراً مادياً، عندها يبدأ رحلة البحث عن زوجة صالحة يحبها وتحبه ويتفاهم معها وتتفاهم معه تحت مظلة شرع الله وبمباركته وحمايته.

– والتحصين يبدأ كما قلنا بغض البصر، وعدم الانجراف وراء الإعجاب بفتاة طويلاً، وطرد التفكير في المسائل العاطفية.

– ملء الفراغ الروحي لدى الطالب بحب الله وحب خدمة زملائه وحب العلم والتعلم وحب الدين وحب الوالدين والأخوة. فإن القلب كوب فارغ يستقبل ما تملؤه به، فسارع وأملأه بالصالح المفيد الآن.

– الصحبة الصالحة دائماً هي العامل المشترك في علاج أي خلق فاسد، والعون على طاعة الله، ولقاءات المساجد رحمة ومغفرة وطاعة وتربية لا يوازيها شيء آخر. فواظب عليه.

– كثرة العبادة وقراءة القرآن والأذكار تصرف الشيطان عنك وتصرفك عنه وتحميك من كل سوء.

خامساً – موضوعات مرحلة المراهقة

التغيرات النفسية للمراهق (حلقة ١،٢)

لا خلاف على أن مرحلة ثانوي تمثل مرحلة شائكة في حياة الطالب والأسرة على السواء. ولا خلاف على أن منحنى المشاكل يصل إلى أقصاه في فترة الثلاث سنوات التي يقضيها الطالب في المرحلة الثانوية.



والثابت أيضاً.. أن هذه المشاكل تتفاقم يوماً بعد يوم وتتعقد وتزيد ويفقد كل طرف الحيلة والوسيلة في التعامل مع الطرف الآخر، فلا الطالب قادر على التعامل مع الأسرة والمجتمع، ولا الأسرة والمجتمع وصلت إلى درجة فهم شخصية الطالب في هذه المرحلة...

ويسلم الجميع بأن المسألة لغز معقد يصعب حله ولا وسيلة معه إلا تجاهل الموقف بقدر الإمكان حتى تمر هذه المرحلة بسلام.. وتمر المرحلة بالفعل.. لكنها لا تمر بسلام..

فالتغييرات النفسية التي تحدث للطالب في هذه المرحلة والتي ينطبق عليها المصطلح الشهير (المراهقة) تشبه التغييرات التي يريد أن يحدثها عامل في قطعة حديد سائل لاستخدامه في غرض معين بعد صبه وتجمده، فإذا لم يفلح الصانع في تشكيل قطعة الحديد مع المهمة المعد لها فهل نعتبر أن عملية تشكيل قطعة الحديد مرت بنجاح.

أن الطالب يمر بانفعالات نفسية مختلفة وتغيرات جسمية عديدة، وإذا لم يتم التنبه لطريقة التعامل معها سواء من جانب الطالب نفسه أو من جانب الوالدين أو الأسرة أو من جانب المجتمع نفسه في المدرسة أو الشارع.. يخرج إلى المجتمع شباب معبأ بمشاكل نفسية تقتل الطموح وتدعو للسلبية وتصيب بالفشل.

هدفنا الآن أن نعرف أنفسنا جيداً – ماذا يحدث لنا في هذه المرحلة، وكيف نتعامل مع أنفسنا بصورة جيدة؟ أما كيف يتعامل الآخرون معنا؟ فهو أمر خارج أيدينا الآن..

تعالوا نتعرف على أنفسنا..

ما هي المراهقة ؟

المراهقة لغوياً من فعل راهق أو اجتهد للوصول إلى هدف ما.

والتعريف العلمي للمراهقة: هي مرحلة تحدث في سن معين يبدأ من ١٢ عاماً للذكور، و١١ عاماً للإناث (في مصر) وتحدث فيها تغيرات جسمية ونفسية وعقلية بهدف الوصول إلى مرحلة النضج.

والمراهقة ليست مرضاً ولا شيئاً ينبغي أن نخجل منه، إنما هي مرحلة كأي مرحلة يمر بها الإنسان كمرحلة الطفولة بكل خصائصها، ومرحلة الشيخوخة بكل أعراضها.

إلا أن مرحلة المراهقة تعد الأخطر على الإطلاق في حياة المرء لأن فيها يقع التشكيل النهائي لنفسية المراهق وعقليته بصورة كبيرة جداً. وبنسبة كبيرة جداً.

إن مرحلة المراهقة تشبه من يتعلم قيادة دراجة، فهو في الأصل يسير على قدميه مستقراً، والتعلم بالنسبة له مرحلة انتقالية، وفيها لا يستطيع المتدرب أن يتزن على الدراجة وقد يقع أو يصاب أو يصيب ماراً أمامه، ومع التدريب المستمر يصل إلى مرحلة القيادة باتزان ثم القيادة بثقة وعقل وحكمة.

وفى مرحلة الطفولة تنطلق المشاعر عفوية دون المرور على المعادلات العقلية التي تزن الشعور وتسمح له بالمرور من عدمه.

فالطفل يغضب دون أن يفكر هل هذا الغضب في محله أم لا، ويفرح دون أن يعرف هل من المفروض أن يفرح في هذا الموقف أم لا.. أما في مرحلة المراهقة فالمطلوب أن تأخذ المشاعر جواز مرور من العقل أولاً، وللتدريب على ذلك يظل المراهق في فترة تدريبية طيلة ٧ سنوات أو أكثر حتى يستطيع أن يقود دراجته باتزان وحكمة، فلا يصاب ولا يصيب أحداً. وتسير الحياة بعدها بهدوء ونجاح.

ما هي الانفعالات التي يمر بها المراهق؟

سرعة الغضب:

الغضب في حد ذاته ليس خطأ، فالغضب مطلوب في مواقف كثيرة، فهل من المعقول ألا يغضب الإنسان إذا أهينت كرامته أو كرامة أبيه أو أمه أو أخيه أو أخته، ومن منا لا يغضب إذا ظلم أو رأي الظلم واضحاً جلياً أمام عينيه. والغضب مطلوب إذا رأينا حرمة من حرمات الله تنتهك وفواحش ترتكب.

ليست المشكلة في الغضب إذن: إنما المشكلة في أمرين:

- الأمر الأول- انفلات مشاعر الغضب دون أن يمر الأمر على العقل فيقرر هل الأمر يستحق الغضب أم لا؟ وبأي درجة.
- الأمر الثاني- قدرتك على استغلال الغضب في إيذاء الآخرين بصورة كبيرة لما حدث لك من تغيرات جسمية ونفسية تمكنك من المشاجرات مع زملاء المدرسة وضرب

الإخوة في المنزل، وتكسير بعض الأدوات.

ومظاهر سرعة الغضب كثيرة... مثل:

١- العدوان على الآخرين، وكثرة المشاجرات بين طلاب ثانوي وربما بصورة يومية، وقد يصل الاعتداء إلى حد شج الرأس أو الضرب بسلاح قاتل كمطواة، وربما يكون العدوان من طالب على مدرس أو مدير مدرسة أو الإخوة في المنزل.

٢- كثرة الصياح والتهديد في المنزل للأم والأب، وبالذات الأم، وارتفاع الصوت في المناقشات اليومية، والتهديد بترك المنزل أو عدم المذاكرة للرسوب في المدرسة.

٣- قد تمتد الرغبة في العدوان إلى أحلام اليقظة، فيتخيل المراهق أنه أمام مجموعة من الشباب الأقوياء، وقد دخل معهم في مشاجرة حامية ينتصر فيها بالقطع انتصاراً باهراً لا يقل شيئاً عن مشاهد العنف في السينما الأمريكية.

٤- عدم تحمل الخلاف في الرأي واعتباره إهانة، مما يثير الضغينة بين الأصدقاء، ويشل القدرة على التفكير السليم.

٢ — القلق

ما هو القلق؟

- هو مركب انفعالي من الخوف المستمر مما يسبب تهديداً لكيان الفرد الجسمي والنفسي ويعوق أداءه أحياناً، وقد يكون القلق عادياً أو مرضياً.
- ويتعرض الطالب للقلق في مواقف شتى مثل:
  - القلق عند قرب الامتحانات.
  - القلق من سؤال المدرس له سؤالاً لا يعرف إجابته.
  - القلق من عدم الحصول على مجموع في الثانوية العامة.

والقلق نوعان:

الأول- قلق طبيعي ومطلوب.. وهو قلق محفز للعمل والنجاح والطالب الذي لا يقلق هذا النوع من القلق يطلق عليه لفظ مستهتر. فهو شخص لديه لا مبالاة بالأمور.

والثاني- قلق مرضي: وهو قلق يعوق الطالب عن الأداء بصورة تؤدى إلى النجاح فبعض الطلبة المتفوقين يفاجئوا الجميع بالحصول على مجاميع منخفضة في الثانوية العامة والسبب أن معدل القلق عندهم في فترة ما قبل الامتحانات وربما في الامتحان نفسه تزيد عن المعدلات المعقولة.. فيصاب بعدم التركيز وينسى المعلومات وبالتالي فقدان الدرجات.

وأعراض هذا القلق المرضى والذي يحتاج إلى تدخل طبي..

١- الشعور بالعصبية والتحفز.

٢- أعراض جسدية مثل خفقان القلب أو رعشة اليدين أو ضيق النفس أو برودة الأطراف أو اضطرابات المعدة وغير ذلك... وفى حالة خاصة قد يتكرر القلق من أشياء بعينها مرات ومرات بصورة تعوق الطالب عن التفكير في أي شيء إلا بانتهاء التفكير في هذا الأمر وهذا القلق ينشأ عن مرض معروف باسم الوسواس القهري وهو مرض يحتاج إلى تدخل الأطباء قطعاً.

وكما قلنا.. فإن النوع الأول من القلق مطلوب، وطبيعي وصحي ولا يبدده إلا الثقة التي تكتسبها تدريجيا من إتمام العمل، فالطالب الذي يقلق من امتحان بعد يومين. فإن الثقة التي يكتسبها نتيجة مذاكرته اليوم الأول تخفف كثيراً من حدة القلق ربما إلى النصف، وبمجرد انتهائه من المذاكرة يزول القلق إلا بالقدر الذي يجعله يضمن تركيزاً معقولاً أثناء الإجابة في الامتحان ما يتيح له استدعاء المعلومات بالسرعة المطلوبة.

الحب

الحب هو شعور ينبع من الارتباطات السارة وقضاء الحاجات والسلوك الحسن.

والحب أحد العواطف الجميلة التي دعا الإسلام إليها وأراد لها أن تنتشر في المجتمع.

وعاطفة الحب موجودة لدى الطفل، إما بصورة غريزية للأب والأم والإخوة أو بصور سببية، نتيجة لموقف معين أدى إلى وجود عاطفة بين الطفل وشخص آخر مثل تقديم هدية أو المشاركة في لعبة.. إلخ.

وتظل عاطفة الحب هكذا إلى أن تبدأ مرحلة المراهقة، ويبدأ نوع جديد من الحب نتيجة للتغير الفسيولوجي الذي يحدث له وهو نمو الأعضاء التناسلية، فيبدأ الاتجاه بعاطفة الحب نحو الفتاة.. وهذا الحدث يعتبر أخطر حدث على الإطلاق في حياة المراهق أو طالب الثانوي، لأن الطالب لا يجيد التعامل مع هذه العاطفة مطلقاً، فلا يعرف حدودها، ولذلك يحدث الآتي:

١- يغرق الطلبة في مغامرات عاطفية عديدة مع الفتيات اللاتي يمرون بنفس المرحلة ويعانون من نفس المشكلة.

٢- المعاناة التي تحدث للطلبة نتيجة المشاكل العاطفية المترتبة على هذه العلاقة، وارتباك الأسر ارتباكاً شديداً نتيجة علمهم بهذه العلاقة.

٣- سقوط بعض الطلبة في مشاكل أخلاقية ومخالفات دينية صارخة بسبب هذه العلاقات ومنها ظاهرة الزواج العرفي في مدارس ثانوي وفى الجامعة.

٤- ابتعاد الطالب عن الدين. ٥- ضعف التركيز في الدراسة.

وقضية الحب في مرحلة الثانوي قضية كبيرة سنفرد لها موضوعاً خاصاً إن شاء الله.

الاكتئاب:

شعور ينتج عن كتمان الانفعالات وعدم القدرة على التعبير عن النفس، وهو يؤدى إلى عدم أداء الأعمال بالكفاءة المطلوبة.

بمعنى: أنه ربما يتهم الأب ابنه بالتقصير في المذاكرة مما أدى إلى حصوله على درجة سيئة في امتحان ما، والحقيقة أن الابن ذاكر المادة ولكنه لم يستطع أن يقوم بتحصيل القدر الكافي من المعلومات لأسباب منها ضعف قدرته الذهنية أو عدم تركيزه وسرعة نسيانه وانشغاله بأمر ما يؤرقه. هنا.. الابن لا يستطيع أن يدافع عن نفسه فيكتم انفعالاته.. فيصاب بالاكتئاب.

وعند الإفصاح عن هذه الأسباب لصديق أو للأب نفسه يزول الاكتئاب ويعود الاستقرار النفسي، ويبدأ وضع الحلول.

وكثيراً ما يصاب الطالب في هذه المرحلة بالاكتئاب، نتيجة لعدم فهم المجتمع له.. واتهامه باستمرار دون مراعاة ظروفه ودوافعه.

اليأس:

مرحلة متقدمة جداً من الاكتئاب.. وتسبب اللامبالاة والأرق وفقدان الشهية والإمساك.

وليس شرطاً أن يكون اليأس كلياً.. أي من الحياة نفسها، ولكن غالباً ما يكون جزئياً.. مثل اليأس من النجاح أو من التفوق أو من دخول قسم العلمي أو اليأس من إمكانية التعامل مع شخص معين.... إلخ.

مما سبق نستنتج أن هذه الانفعالات طبيعية، والمطلوب هو السيطرة عليها في حدود المواقف لا أكثر. وهي تحدث وحدثت لكل البشر في هذه المرحلة للأسباب الآتية:

١- سرعة النمو. ٢- نمو الغريزة الجنسية.

٣- بقايا أفكار الطفولة.. مثل الإصرار على تلبية رغبة معينة دون التفكير في العواقب والعوائق (ملابس غالية - خروج ورحلات - دروس خصوصية لا تتحملها الأسرة).

٤- الأهواء النفسية مثل: حب الظهور، والإعجاب بالرأي.

٥- النمو العقلي: مما يترتب عليه تحليل التوجهات والأوامر والتفكير فيها وبالتالي عدم قبولها على ما هي عليه، والاعتراض عليها في الغالب.

مثل التفكير في طريقة تعامل والديه معه ومع إخوته، ويبدأ في ملاحظة هل الأدوار توزع بالتساوي بينهم أم أن الأب والأم يحابيان أحد إخوته على حسابه من ناحية أخرى؟

قد يرى الأب ينصحه بشيء لا يقوم به مثل شرب السجائر مثلاً، ويرى المجتمع نفسه يطالبه بأخلاقيات معينة عبر وسائل الإعلام، والمجتمع نفسه لا ينفذها.

عوامل تؤثر في انفعالات المراهق:

هناك عدة عوامل تغذى هذه الانفعالات وتزيد أو تقلل من حدوثها حسب شخصية المراهق والبيئة التي يعيش فيها وهي:

١- نقص كفاءة المراهق: فالمراهق خبرته في الحياة ضعيفة، سواء في أداء الأعمال المنزلية أو التعامل مع الكبار، ربما نتيجة لعدم تدريبه على ذلك منذ الصغر أو لقدراته المحدودة، أو لتمرده منذ الصغر على أبويه.. ما يزيد حجم الخطأ عنده في كل مهمة يكلف بها.. وبالتالي كثيراً ما يتعرض للوم.. مما يزيد من انفعالاته.

٢- الضغط الاجتماعي: كثيراً ما ينصح الكبار (مثل الأب والأم) نصائح ينظر الابن لها على أنها قيود غريبة تقيد حريته دون داعي، مثل اعتراض الآباء على الخروج من المنزل دون إذن، ودون تحديد المكان الذي سيذهب إليه، ومتى سيعود، أو اعتراض الأب والأم على صداقة بعض الأصدقاء السيئة السلوك.

٣- العلاقة بالجنس الآخر: وهي أخطر عامل يغذى هذه الانفعالات، فعند تمكن هذه العلاقة من المراهق يفقد عقله وتفكيره، وتشتعل لديه الرغبة في المظهرية، مما يؤدى إلى افتعال مشاجرات وزيادة أحلام اليقظة.

***

كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي؟ (١)

تحدثنا في المرة السابقة عن الانفعالات لدى المراهق، وقلنا إن هذه الانفعالات طبيعية في معظمها وهي تمثل مرحلة انتقالية للتكوين النفسي لدى المراهق، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج والرجولة.

والمشكلة التي تحدث هي عدم قدرة المراهق على التعامل مع هذه الانفعالات بطريقة سليمة تخرج به إلى بر الأمان، دون مشاكل نفسية واجتماعية.

وسنوضح في هذه الكلمة - إن شاء الله -.. الوسائل التي ينبغي أن يعرفها الطالب حتى يرعى هذه الانفعالات ويوظفها بطريقة سليمة.

المرونة النفسية وعدم الاندفاع في الغضب:

ينشأ الاندفاع الشديد للغضب من عدم إمرار الأفكار على العقل أولاً ليحدد الأسلوب الأمثل للرد على المواقف.

بمعنى أنه إذا تعرض الطالب مثلاً أثناء نقاش مع والديه لرأي مخالف فإن الطالب يندفع برفع الصوت أو بالإشارة باليد إشارة غير لائقة أو التفوه بألفاظ لا يصح أن تقال للوالدين، في حين أن الابن لو تأنى قليلاً في التفكير لثوان معدودة لخرج بصورة أفضل.

إن شحنة الغضب الزائدة داخل النفس من الممكن التخلص منها عن طريق بعض التدريبات النفسية، وهي التي ذكرها القرآن في سورة آل عمران ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٣٤]، أي أنه إذا استطاع الطالب أن يكبت هذه الشحنة الزائدة عن طريق جهاد النفس وتجميع الإرادة في المواقف التي تحدث له وبخاصة في المنزل فسيجد، بمرور الوقت، أن لديه قدرة أكبر على التحكم في انفعال الغضب الزائد.

الطالب أيضاً لابد أن ينمي قدرته على تقبل الرأي الآخر والتفكير فيه بأسلوب منطقي دون تسرع واتهام الآخرين بالغباء والتحيز والظلم.. إلى آخره، كما إنه عليه أن يتدرب على أن يتنازل عن بعض آرائه التي هو مقتنع بها في سبيل أشياء أخرى أهم مثل الحفاظ على العلاقة بين الأفراد، وعدم إحداث مشاكل داخل الأسرة، ولكن هذه القاعدة ليست عامة، فليس المطلوب التنازل عن كل الآراء والمواقف ولكن التنازل عن بعضها فقط، إلا أن هناك أموراً مصيرية تحدد حياة الفرد لا يمكن للمرء أن يتنازل فيها أبداً.

هناك عوامل أساسية في مساعدة الإنسان في حفظ انفعالاته وهي:

١- العبادة: فارتفاع الحالة الإيمانية الناتجة عن ملء الفراغ الروحي والاتصال بينك وبين الله، يهدئ النفس ويجعلها مطمئنة فلا تستفز بسهولة، ولا تنفلت أعصابك دون إرادتك.

٢- التعليم الذاتي: هناك مفاهيم لابد أن يرددها الإنسان في نفسه باستمرار فإذا نسيها ذكر نفسه بها، مثل أحاديث الترغيب والترهيب الخاصة بآفات اللسان وكظم الغيظ، والجزاء في الجنة والعقاب في النار.

ويمكن ذلك عن طريق سماع شرائط العلماء الذين تحدثوا في مثل هذه الموضوعات.

٣- ضبط الغريزة الجنسية: يعد ظهور الغريزة الجنسية نقطة التحول الرئيسية في حياة المراهق كما تعد أخطر المشاكل في حياته للأسباب الآتية:

١- تشتت الفكر، حيث إنه تمت إضافة عامل آخر يلح عليه في التفكير بصورة لا يمكن تجاهلها، ويزيد من ذلك مصادر الإثارة المتعددة، في مجتمع غير متدين سواء في الشارع أو المدارس المشتركة أو في وسائل الإعلام المحلية والفضائية. ودخول مؤثر الجنس في مواجهة مع أي مجال من مجالات الحياة الأخرى مثل المذاكرة أو الصلاة أو قراءة القرآن أو حتى النوم يجعل المسألة محسومة لصالحه بنسبة ٩٠ ٪، مما يفقد الطالب تركيزه في المذاكرة وفى مجالات أخرى متعددة.

٢- الاضطراب النفسي: الذي يحدث لدى المراهق لمواجهة مشكلة تفريغ الشهوة الجنسية في المصرف الطبيعي والشرعي الذي وضحه الإسلام لتفريغ شهوة الجنس وهو الزواج. ولذلك دعا الإسلام إلى زواج الشباب في سن مناسبة، ودعا الأهل لتيسير الزواج وعدم وضع العوائق في المهور، إلا أن ظروف المجتمع في الوقت الحالي جعلت الشباب يصرف شهوته بنسبة لا تقل عن ٩٨ ٪ عن طريق العادة السرية، وهى وبغض النظر عن شرعية العادة السرية، إلا أنها تسبب قلقاً للمراهق سواء كان متديناً أو غير متدين:

أ- فالمتدين يشعر بالذنب لاعتقاده بحرمتها، كما أنه يشعر بعدم احترامه لنفسه.

ب- وغير المتدين يخشى أضرارها الصحية التي تشيع عند طلبة ثانوي من ضعف البصر وقلة التركيز وألم المفاصل والتأثير على القدرة الجنسية بعد الزواج. وكثيراً ما يفكر المراهق بل ويقرر الامتناع عن العادة السرية، حتى لا يعاوده هذا القلق مرة أخرى، إلا أنه غالباً ما يفشل نتيجة لضعفه أمام نفسه، وعدم القدرة على مقاومة المثيرات من حوله فيعود مرة أخرى إلى ممارسة العادة السرية ويعود معها التفكير والقلق.

٣- معظم طلبة ثانوي يندفعون بقوة نحو عالم الجنس الجديد الغريب لمحاولة اكتشاف شيء

غامض بالنسبة لهم، وغياب المصادر العلمية السليمة لطبيعة المجتمع الذي يخشى الحديث في هذه المسائل بدافع الحياء، والخوف من أن يطلع الأولاد على مثل هذه المسائل لأنهم صغار !!! فيضطر المراهق للبحث عن هذه المعلومات عن طريق الأصدقاء والكتب والمجلات والأفلام المشينة. وبعد أن يعرف هذا العالم بهذه الطريقة يكون قد وصل فعلاً إلى مرحلة انحراف يصعب التراجع عنها، فيبدأ البحث عن أماكن بيع هذه الأفلام وأيضاً أماكن عرضها، وزاد من فرصتهم دخول هذه الأفلام التي يستقبلها أصحابها عن طريق الدش في عدد من المقاهي في أماكن مختلفة ، والذي لم تصل جرأته إلى هذا الحد، يظل يبحث عنها في أفلام التليفزيون العارية، وتصبح هذه الأفلام هي نقطة حديث هامة عند تقابل الأصدقاء في اليوم الدراسي التالي، ويمكن القول إن الحديث عن الجنس يعد القاسم المشترك بين أي صديقين في مرحلة ثانوي بنسبة لا تقل عن ٩٨٪.

كيف ضبط الغريزة الجنسية

ربما لا يجد بعض المراهقين داعياً لأن يضبط غريزته الجنسية ويسيطر عليها، فهي من وجهة نظره متعة لماذا يحرم نفسه منها حتى وإن كانت تؤدى به إلى أعمال محرمة مثل النظر إلى ما حرم الله، أو إقامة علاقات عاطفية محرمة...، إلا أنه في الحقيقة من الخطورة ألا يفكر المرء في ضبط غريزته الجنسية، للأسباب الآتية:

١- عبادة الشهوة... بصورة تجعلها هدفاً في حد ذاتها، ويصبح الهدف الأساسي من الحياة هو امتلاك الشهوات وهى فكرة مدمرة للنفس والمجتمع مثل:

أ) العديد من الحرفيين الذين يعملون بكثافة في سبيل أن ينفقوا ما اكتسبوا من مال على سهرة محرمة، أو في تناول المخدرات، أو في ملهى ليلى.

ب) حسام أبو الفتوح رجل الأعمال الشهير أنفق ثلاثة أرباع ثروته على النساء، والنتيجة الإفلاس والفضيحة والسجن.

ج) أيمن السويدى الذي تزوج المطربة ذكرى بعقد عرفي والنهاية مذبحة راح ضحيتها معه مدير أعماله وزوجته ذكرى.

٢- الانحراف الأخلاقي الرهيب من صداقة السوء إلى مشاهدة الأفلام المخلة إلى العلاقات العاطفية المنحرفة إلى الزنا وفى بعض الأحيان القتل.

٣- الإصابة بالأمراض الخبيثة في حالة ارتكاب الفاحشة، مثل الزهري والسيلان والإيدز.

وضبط الغريزة الجنسية يحتاج إلى:

١- الخوف من الله. عن طريق الاتصال به والاقتراب منه بالصلاة وقراءة القرآن وكثرة العبادة.

٢- البعد عن أصدقاء السوء فهي المقدمة الأولى لهذه الغريزة ولكل الغرائز.

٣- غض البصر، وهو صعب ! نعم ولكنه ممكن إلى درجة كبيرة إذا أردت، فلا تتلفت في الشارع على النساء ولا على الفتيات، وحاول أن تبتعد عن التليفزيون بقدر الإمكان.

٤- زيادة الذكر، والإكثار منه، فلا مانع أن تقرأ الأذكار أثناء السير، وكذلك ما تحفظ من القرآن الكريم فهو حماية ووقاية.

٥- الانخراط مع مجموعة صالحة تساعدك على طاعة الله.

٦- الدعاء لنفسك بكثرة في الصلاة.

إقامة العلاقات العاطفية:

عاطفة (حب الفتيات) أيضاً عاطفة جديدة تقتحم حياة المراهق بصورة قوية ويبدأ في النظر للفتاة بنظرة مختلفة، وقد تكون هذه الفتاة جارته أو قريبته أو طالبة معه في نفس المدرسة أو في مدرسة مجاورة، ويبدأ المراهق بالإحساس بمشاعر تشعره بالسعادة ويعرف أنها تسمى بالحب.

والحب أيضاً قضية غامضة لدى الطالب، فهي قضية غير محسومة دينياً من وجهة نظره، وكموضوع عام لا يعرف حدوده وضوابطه وهل من الطبيعي أن يسمح لمشاعره أن تتفق بهذه الصورة، وأن يكمل العلاقة بينه وبين من يحبها، وما مصير هذه العلاقة فيما بعد.

وفى كثير من الأحيان تبدأ العلاقة العاطفية فعلاً وتتطور إلى الاتصالات التليفونية والمقابلات بعد المدرسة أحياناً أو في الدروس الخصوصية، وأحياناً تتطور العلاقة إلى المقابلة في أماكن خارجية.

ورغم وعود الفتى للفتاة بأن نهاية هذه العلاقة بالزواج، إلا أنها تمر بمخالفات شرعية كثيرة، وربما تنتهي بمأساة أخلاقية.

وفى الطريق تحدث العديد من المشاكل التي ترهق الطالب نفسياً وتشتت ذهنه، وتصرف تفكيره عن الأمور الجادة وتبعده عن الاقتراب من الله، لأنه بدأ الطريق بطريقة غير شرعية.

***

كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي؟ (٢)

رعاية العقل

المعروف أن العقل هو المسئول عن عملية التفكير في الإنسان.. والمعروف أيضاً أن العقل هو القائد الذي يعطى الأوامر لكل أعضاء الجسم..

فحركات العين واليد والقدم واللسان.. تصدر بأوامر من العقل..

وأفكار الموضوعات وموضوعات الأفكار.. بتخطيط من العقل.

والقرارات الصعبة وأسلوب التصرف في المواقف المختلفة لابد أن تخرج بإمضاء من العقل..

والإيمان بالله.. وهو الشيء الذي خلقنا جميعاً من أجله..

لم نكن لنصل إليه.. إلا في وجود العقل..

وكتنبيه صريح في القرآن الكريم. ذكر الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ست عشرة مرة في الكتاب العزيز..

– ترى هل يرعى طالب ثانوي عقله ليجعله قادراً على التفكير النافع والتخطيط السليم. واتخاذ القرارات الصائبة..

– أم يجعله نهباً للأفكار الهدامة والموضوعات التافهة الرخيصة والقرارات الخائبة الفاشلة.

عن طالب ثانوي.. بين رعاية العقل.. وإهانة العقل..

دعونا نتحدث

* **رعاية العقل تعنى:** تغذيته بالأفكار الصحيحة التي تجعله قادراً على التفكير السليم واتخاذ القرارات الصائبة.. بناء على فهم لطبيعة الحياة والهدف منها..

وتحديد الهدف من الحياة هو الذي سيحدد بدوره نوع الرعاية.. فمن كان هدفه المتعة الزائلة، فسيغذى عقله بكل تافه رخيص ليس ذي قيمة.. ومن كان هدفه الفوز بجنة الله ورضوانه.. فسيغذى عقله بكل نافع مفيد، يرسم له الفوز العظيم.

والمشكلة أن طالب ثانوي الآن غير قادر على تحديد هدفه، فكانت النتيجة أن عقله يشحن بشحنات فاسدة من أفكار فاسدة ترسخ مع الزمن، وتصبح دستوراً للحياة مثل:

١) ينبغي أن نتمتع بأوقاتنا دون تقيد بالحلال والحرام.

٢) إذا كان لابد من التدين فليكن في الكبر عند سن الخمسين مثلاً أما الآن فعلينا أن نصل إلى أقصى متعة ممكنة في شبابنا.

٣) التدين خاص بالمناسبات فقط مثل شهر رمضان أو يوم الجمعة، أما باقي الأيام فلا داعي للتدين.

٤) المصلحة هي التي تحكم الحياة وليس الحلال والحرام، والغاية تبرر الوسيلة ولذلك يلجأ الطالب إلى الغش في الامتحانات دون الشعور بأي حرج داخلي، ويرى أن هذا هو الطبيعي.

٥) العلم ليس له قيمة، وما هو إلا واجهة اجتماعية فقط.

٦) الرجولة تعنى التمرد والسباق على الفتيات والقيام بالمغامرات في المدرسة وخارجها وفعل ما يخطئ فيه الكبار مثل شرب السجائر مثلاً.

٧) الحلم بأن يكون ممثلاً أو نجماً رياضياً مشهوراً وذا مال وسطوة.

٨) الجهل بأسماء الصحابة وسور القرآن ليس عيباً، والعيب في الجهل بأسماء المطربين والفنانين وعدم معرفة أحدث الأغاني.

٩) الدين ليس له دخل بالحياة، الدين ما هو إلا عبادة مسجدية.

مصادر التغذية الفاسدة للعقل:

١ – الإعلام السيئ:

أ – الأفلام والمسلسلات الماجنة. ب – البرامج التافهة .

جـ – الجرائد الصفراء مثل النبأ والأنباء وغيرها.

د – المجلات الرخيصة مثل حريتي والشبكة ومزيكا.... إلخ.

٢ – صداقة السوء. ٣ – بعض أفكار الأسرة.

كيف ترعى عقلك رعاية إسلامية سليمة؟

أولاً – القراءة أو الاستماع في المجالات الآتية:

١ – الحد الأدنى في القراءات الدينية:

أ – القرآن الكريم.

ب – الفقه (فقه الصلاة – الصيام – الطهارة والنجاسة) فقه السنة للشيخ سيد سابق.

جـ – أجزاء من سيرة الرسول ﷺ (الروحانيات – شرائط عمرو خالد).

د – العقيدة (ماذا يعنى انتمائي للإسلام).

هـ – الأخلاقيات (السلوك الاجتماعي في الإسلام) شرائط وجدي غنيم.

قراءات عامة:

١ – الجرائد والمجلات التي تعطى كماً معقولاً من المعلومات الهادفة والثقافة العامة مثل:

أ – جريدة آفاق عربية تصدر يوم الخميس.

ب – جريدة الأسبوع تصدر يوم الاثنين (مع التحفظ على بعض المقالات أو الصفحات مثل صفحة الفن).

* ما سبق تمثل القاعدة الأساسية للثقافة الإسلامية الصحيحة بعدها يمكنك اختيار ما تقرأ دون وقوع في خطأ الاختيار.

ونحن نرشح لك بعض الكتاب والعلماء الذين من المتوقع أن تتفاعل مع ما يكتبونه أو يقولونه في الكتب وتستفيد منهم خير إفادة:

١ – دكتور يوسف القرضاوي.

٢ –مجدي الهلالي.

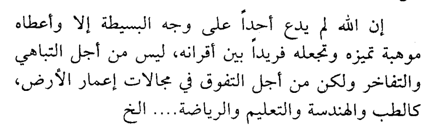
٣ – عمرو خالد (كتب وشرائط).

٤ – وجدي غنيم (شرائط).

***

كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي؟ (٣)

تنمية المواهب



هناك خطأ كبير يرتكبه المجتمع والمدرسة والأسرة في حق طالب الثانوي، وربما يشاركهم هذا الخطأ طالب الثانوي نفسه، هذا الخطأ هو:
قتل المواهب.

إن الله لم يدع أحداً على وجه البسيطة إلا وأعطاه موهبة تميزه وتجعله فريداً بين أقرانه، ليس من أجل التباهي والتفاخر ولكن من أجل التفوق في مجالات إعمار الأرض، كالطب والهندسة والتعليم والرياضة.... الخ

وهى المهمة التي كلف الله بها الإنسان أن يقوم بها على سطح الأرض، مهمة إعمار الأرض كإحدى الوسائل الرئيسية التي يتعبد بها الإنسان لله عز وجل، والفرق بين مجتمع متقدم كأمريكا وأوربا وبعض دول شرق آسيا كاليابان وبين غيرهم، أنهم لا يقدرون الموهبة فحسب بل إنهم يبحثون عنها بحثاً حثيثاً، في أطفالهم وشبابهم ونسائهم، فإن وجدوها استثمروها أفضل استثمار في بناء مجتمع يريد أن يصبح الأفضل في العالم، ويجد صاحب الموهبة نفسه محل اهتمام غير عادى ليس بسبب الإعجاب بموهبته ولكن بسبب رسالة واضحة، نحن نقدم لك الكثير في سبيل أن تقدم لنا أنت الكثير.

فإن لم يجدوا الموهبة في بلادهم لم يصيبهم اليأس ويعدموا الحيلة فيلجئوا إلى استيراد المواهب.

دولة مثل أمريكا.. - قتلت الملايين من الهنود الحمر وسرقت أرضهم وأقاموا عليها دولتهم - بدءوا في اجتذاب العقول من جميع أنحاء العالم، وهاجرت عقول كثيرة من بلادها المختلفة لتجد المال والشهرة والاحترام والتقدير فإذا سألوهم لماذا كل هذا... قالوا.. لأنه موهوب..

الدكتور أحمد زويل ، والدكتور مجدي يعقوب وعشرات غيرهم.

عقول مصرية بجنسيات أمريكية. وفى مجتمعات كسولة.... متواضعة الأحلام..

تنظر للموهبة على أنها مضيعة للوقت ومهلكة للمال، وعامل فشل دراسي مؤكد..

- فالمدرسة تنظر لرعاية المواهب على أنه درب من السذاجة.
- والأسرة تتمنى ألا يكون للولد أي موهبة حتى يتفرغ لمذاكرته فقط.

- والمجتمع يرعى مواهب محددة.. الرقص والغناء والتمثيل وكرة القدم..!!

يرعاها ثم يفسدها ويفسدنا بها.

أما المواهب العلمية فتموت، والمواهب الأدبية تضيع، والقدرات الخاصة كالقيادة والخطابة، فتذهب أدراج الرياح.

ثم نسأل بعدها عن التقدم !!

أنواع الموهوبين

ليست الموهبة فقط في خط جميل أو رسم لوحة جذابة، أو لعبة رياضية، إنما الموهبة لها مجالات عديدة ومتنوعة تسع الجميع.. فعلينا أن ندركها وليفكر كل طالب: يا ترى أي نوع من المواهب يحتضنه وكيف يمكن أن ينميه..

ما فائدة رعاية الموهبة ؟

أ - بالنسبة للطالب:

١) استخدامها حتماً في إحدى مجالات الحياة؛ مثل التعليم إذا كانت الموهبة خاصة بالجانب المعرفي، أو التدريب الرياضي إذا كانت خاصة بالمجال الرياضي، أو تنمية العلاقات الاجتماعية إذا كانت خاصة بالجانب الوجداني، أو الابتكاري إذا كانت خاصة بالجانب الحدسي (الغيبي).

٢) قد تكون الموهبة سبباً للرزق بعد التخرج مثل الخط أو التأليف أو الحرفية مثل التجارة أو السباكة أو الكهرباء.. إلخ، والكثير من الموهوبين غيروا مسار حياتهم، واختاروا طريق الموهبة بعد التخرج مثل: د. نبيل فاروق صاحب روايات رجل المستحيل، وقد كان طبيباً، والمؤلف أسامة أنور عكاشة غير مساره من مدرس إلى أشهر كاتب مسلسلات في مصر والعالم العربي.

٣) كلما كان الشخص موهوباً كلما كان قادراً على خدمة نفسه وأسرته والناس، فإذا كان ذلك في سبيل الله.. فهو يخدم دينه لا شك.

٤) الموهبة تزيد ثقة المرء بنفسه. وتشعره بالتميز بين زملائه، ولكن فليحذر الموهوب أن يصيبه الغرور فيتعالى على زملائه ويتكبر.

رعاية الإسلام للمواهب

رعاية النبي ﷺ للجوانب المعرفية والتخمينية للموهوب:

عن مصعب الأسلمي رضي الله عنه قال: (انطلق غلام منا فأتى النبي ﷺ فقال: إني أسالك سؤالاً: قال:ما هو:قال: أسألك ممن تشفع له يوم القيامة،قال: **«من دلك على هذا؟»**

قال:ما أمرني به أحد إلا نفسي، قال: «**فإنك ممن أشفع له يوم القيامة**» رواه الطبراني.

في هذا الحديث نلاحظ:

١- سؤال الغلام يمثل جانباً معرفياً يعكس خاصية من خصائص الموهوب.وهى كثرة التساؤلات وحب الاستطلاع والطلاقة اللغوية

٢- اختيار موضوع السؤال عن أمر غيبي (الشفاعة يوم القيامة وهو أمر تخميني) وهى خاصية من خصائص الموهوب.

٣- مدى الثقة والطمأنينة واليسر التي تحدث بها الغلام مع النبي.

٤- البيئة التربوية النفسية التي دفعت الغلام للتحاور مع النبي ﷺ (وهى بيئة نموذجية لرعاية الموهوب).

٥- استيعاب النبي للغلام وسعة صدره واستماعه له وهو أسلوب أمثل لرعاية الموهوب.

٦- ثقة الغلام بنفسه في إجابته للنبي ﷺ (شأن كل الموهوبين).

٧- مكافأة النبي ﷺ وتقديره للغلام (وهى إحدى وسائل رعاية الموهوب).

لقد أشاع النبي ﷺ مناخا تربويا أثر هذا النموذج من التحاور الذي يدل على موهبة الصبي وجوانب من عظمة رعاية النبي ﷺ للموهبة والتي تجلت أيضا في قوله ﷺ (غرامة الصبي في صغره. زيادة في عقله في كبره) رواه الترمذي.

أي شدة حركة الصبي في الصغر علامة من علامات الموهبة في الكبر.

(المزيد في كتاب «كشف المواهب ورعايته» تأليف أ.مجدي محمد هلال توزيع المصرية للنشر والتوزيع)

التوفيق بين رعاية الموهبة والدراسة:

تنقسم حياة الطالب خلال السنة إلى ٩ أشهر هي عمر السنة الدراسية، و٣ أشهر هي عمر الأجازة، وليس المطلوب أثناء السنة الدراسية رعاية الموهبة على حساب الدراسة، فالموهبة يجب أن تقف بجانب الدراسة جنباً إلى جنب لأنها جزء من كل تساعد وتغذى المجال الأكبر، إلى أن تنتهي الدراسة ويصبح الاختيار هنا ملك للشخص نفسه، والمطلوب تخصيص جزء من وقت الأسبوع لرعاية الموهبة في الدراسة.

وفى الأجازة سيزيد هذا الوقت بطبيعة الحال، بحيث يشعر الطالب أنه يضيف إلى موهبته شيئاً جديداً كل عام، وبعد سنوات الدراسة الطويلة يجد نفسه وقد تمكن من موهبته، ويحدد بعدها ما هي الطريقة السليمة التي يريد هو أن يستفيد بها من موهبته.

كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي؟ (٤)

تربية النفس على الإيثار والتضحية

- كل مصائب البشرية سببها أن الإنسان يريد أن يأخذ ولا يعطي، يريد أن يكنز المال ويحقق الشهرة والمجد ويستحوذ على السلطة وإصدار الأوامر.. يريد أن يحقق كل ما يريد على حساب ما يريد الآخرون...

من هنا ينشأ الصراع بين البشر.

وبين طلبة ثانوي بعضهم وبعض.

وبينهم وبين أسرهم..

وكمثال: فإن مشاكل الأسرة التي تحدث بين المراهق ووالديه وإخوته - سببها أن الطالب يريد ويريد ويريد.. ودون أن يفكر في أحد..

يريد زيادة المصروف وشراء ملابس غالية والاشتراك مع زملائه في دروس خصوصية لكل المواد، والخروج في جميع الرحلات مهما كانت مكلفة..

يريد كل ذلك دون أن يفكر في أن دخل والده محدود، وأنه يفكر طيلة الشهر في كيفية إنفاق مرتب بسيط على أسرة كاملة في ظل غلاء فاحش لا يعرف الرحمة وليست له قاعدة.

لا يفكر في أن والده يحتاج إلى من يساعده فيخفف عنه الأعباء المادية الرهيبة، بعدم الطلب كثيراً والاقتصاد عند الطلب.

الطالب يريد دائماً أن يدخل من الباب فيجد أمه وإخوته في انتظار لحظة وصوله لتلبية أوامره.. أريد طعاماً وأريد كوباً من الشاي، أريد كي الملابس، لماذا لم ترتب الحجرة من الصباح.

إنه لا يفكر أنه يجب حتى عدم إشعار أمه أنها خادمة، وعدم إشعار إخوته أنهم خلقوا فقط من أجله.

لم يفكر أن أمه أيضاً تحتاج إلى من يريحها قليلاً من عناء العمل، تحتاج إلى أن تنام عدداً كافياً من الساعات دون قلق، لم يفكر أن إخوته لهم نفس ظروفه تقريباً، فلماذا يخدمونه هم ولا يخدمهم هو..

إن الأنانية تولد الحروب...

لذا عالج الإسلام هذه المشكلة.. بعلاج ذلك المرض النفسي بأن يهاجمه بمضاد حيوي قوى اسمه الإيثار والتضحية.

والإيثار أن تقدم غيرك على نفسك في شيء تحتاجه.

والتضحية أن تقدم خدمة الآخر على حساب نفسك أو راحتك أو قدرتك المادية.

وكلاهما له أجل الثواب وأعظم الأجر عند الله.

وعملياً نقترح البنود الآتية:

١- معرفة الدخل الفعلي للأب شهرياً. ومحاولة حصر متطلبات كل فرد من الطعام والتعليم والدواء وخلافه. لمعرفة مقدرة الأب الفعلية. وإمكانية تحقيق ما أطلبه من الأب.

٢- الحفاظ على الملابس والأحذية حتى تكفى أطول فترة ممكنة في حالة جيدة.

٣- الاجتهاد في الدراسة لتقليص عدد الدروس الخصوصية التي تحتاجها.

٤- القيام بأعمال بسيطة تخفف عن الأم العبء قليلاً، مثل ترتيب الفراش، وعدم إلقاء القمامة في أي مكان بالحجرة، وعدم ذم الطعام.

٥- عند دخول المنزل، اعلم أنك فرد من أفراد البيت لك حقوقك نعم، ولكن عليك واجبات أيضاً، وليس هناك أدنى مبرر لكي يخدمك إخوتك، حاول أن تشعرهم بإحساسك بهم، مثل أن تكلف نفسك بتقديم خدمة يومية لإخوتك أو للأب أو للأم مهما كانت هذه الخدمة بسيطة، مثل إعداد الشاي أو إحضار الإفطار أو غسل الأطباق، حاول أن تعمل وستجد النتيجة داخل الأسرة مذهلة.

أعتقد أن مشاكل الأسرة ستختزل إلى النصف على الأقل، إذا كنت أنت مصدر المشاكل...

أما إذا كان غيرك مصدر المشاكل..

فانصحه بذلك..

- أخيراً..

التعود على الإيثار والتضحية ليس بالأمر السهل.. إنه يحتاج إلي:

١- الإرادة.

٢- كثرة العبادة.

٣- الدعاء.

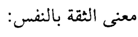
٤- مجاهدة النفس.

٥- وضع برنامج عملي.

كيف يرعى المراهق النمو الانفعالي؟ (٥)

الثقة بالنفس والفكاهة والمرح

أولا – الثقة بالنفس



معنى الثقة بالنفس:

الثقة تعنى الشعور بالقدرة على تنفيذ مهمة معينة.

بمعنى أن هناك طالباً قد يشعر بإمكانية تحقيقه درجة ٤٥/ ٥٠ مثلاً في مادة معينة دون قلق أو توتر... يقال إن هذا الشخص واثق من نفسه في مهمة أداء هذا الامتحان.

بينما طالب آخر يشعر بإمكانية حصوله على هذه الدرجة ولكن هذا الشعور مصحوب بقلق وتوتر ربما يعطلانه عن تحقيق الهدف المطلوب.

الشخص الأول لديه الإمكانية لإتمام العمل. ولديه الشعور بالاطمئنان لذلك.. يقال إن هذا الشخص واثق من نفسه (في هذا العمل).

الشخص الثاني..لديه الإمكانية لإتمام العمل، ولكن ليس لديه الشعور بالاطمئنان لذلك، يقال إن هذا الشخص غير واثق من نفسه.

وبالطبع.. لو أن هناك شخصاً ليس لديه الإمكانية من الأساس، فمن أين يتوفر له الشعور بالاطمئنان لإتمام العمل.

إذ الثقة هي شعور بالاطمئنان يضاف إلى القدرة التي يمتلكها الشخص أصلاً.

.. إذن.. من أين يأتي هذا الشعور بالاطمئنان..

فلنضرب مثالاً: نفرض أن طالباً يشعر بالخوف والقلق من امتحان في الرياضيات، ومصدر قلقه وتوتره أنه:

١- لا يعرف شكل الامتحان، وعدد الأسئلة.

٢- لا يستطيع تقدير سرعته في حل المسائل، ويخشى أن يمر الوقت دون الانتهاء من حل المسائل كاملة.

٣- لا يعرف من أي الأبواب ستأتي المسائل.

٤- لا يعرف الطريقة المثلى التي يكتب بها الحل في الامتحان.

كل هذه المسائل تفقده الشعور بالاطمئنان..

والحل أن نقول له: أكثر من حل امتحانات الرياضيات.

ومع كثرة حل الامتحانات سيجد نفسه تدرب على حلول المسائل التي كان يعاني منها.. فعرف شكل الامتحان، وقدر سرعته في حل المسائل، وقسم المسائل على الأبواب واكتشف طرق الحل المثلى من مراجعة مدرسة أو من مراجعة الحل في نهاية الكتاب.

وكلما زاد من حل الامتحانات.. كلما زاد اطمئنانه والوصول لهدفه وأصبح الامتحان المرتقب ما هو إلا نسخة (تقريباً) من امتحانات عديدة قام باجتياز عقبتها من قبل بنجاح، فقد اكتسب الثقة.

إذن تنمية الثقة تأتي بالتدريب على إتمام المهمة.

وكلما زادت مرات التدريب كلما زال القلق والتوتر واطمأن الشخص إلى نجاحه في المهمة مما يحميه من فقدان التركيز الناشئ عن التوتر أثناء تنفيذ المهمة.

قس على ذلك أي شيء وأي مهمة وأي عمل، إذا أردت أن تنجح فيه وتكتسب الثقة فيه درب نفسك كثيراً عليه لتعرف كل ثغراته.

و ربما يظلم الإنسان نفسه إذا حاول إنجاز مهمة دون التدريب عليها فربما يترتب عليها اقتناعه بأنه فاشل فلا يجرؤ على الدخول في مهمة أخرى وتكون النتيجة الفشل الذريع، أما بالتدريب فإن الإنسان قد وجد مفاتيح النجاح لأي مهمة فإذا به ينتقل من نجاح إلى نجاح...

نموا ثقتكم بأنفسكم تحصلوا على النجاح في كل شيء.. وأي شيء...

ثانياً- الفكاهة والمرح

يا ترى ما هو خيالك عن المسلم الملتزم.. ونحن هنا لا نتحدث عن الشكل من حيث الملبس والهيئة.. ولكننا نتحدث عن أسلوبه في الكلام والمشي والوقوف والتواصل مع الآخرين في الحديث والتعامل.

- قد ترسم في ذهنك صورة شخص ملتح مقضب الجبين حاد الملامح لا يبتسم يمشي مشية عسكرية..

- قد يصور لك ذهنك المسلم الملتزم شخصا هادئ الطباع مبتسما دائماً يوافق الجميع على آرائهم ولا يحب أن يغضب أحداً، مستكينا ضعيفاً سلبياً.

- وقد يراه آخر شخصاً زاهداً لا يهمه من أمر الدنيا شيء إلا المسجد، يتعبد فيه ويقرأ القرآن، لا يحب الحديث مع غيره ويرى أن ذكر الله أولى وأنفع.

- الحقيقة أن فكرتنا الخاطئة عن الإسلام هي التي تصور لنا أن المسلم ينبغي أن يكون له قالب غير مقبول لدى العامة من الناس، وأن سمته لن يقبله إلا من هو مثله، والحقيقة أيضاً أن الإسلام دين في غاية البساطة لم يطلب أبداً أن يكون الطالب أو المسلم الملتزم مكفهر الوجه مقطب الجبين أو مستكيناً ضعيفاً سلبياً أو منعزلاً لا يختلط بالناس.

لقد طلب الإسلام شكل وأسلوب المسلم في التعامل:

- أن يكون جاداً في أفكاره نعم، لكنه لطيف رقيق في تعامله مع الناس.

- وقور محترم نعم، لكن هذا لا يمنع أن يكون خفيف الظل يحب المرح والضحك في أوقاته المطلوبة.

- قوى الشخصية فلا يضعف لنصائح أصدقائه المحرمة، وفى نفس الوقت ودود محب لهم يخدمهم كلما استطاع.

- له تطلعات وطموح ومتفوق علمياً نعم، لكنه أمام زملائه بسيط متواضع يشعرهم كأنه واحد منهم.

إن الإسلام لا يعارض الفكاهة والمرح، لأن المرح يخفف عن النفس آلامها ويجعلها تتقبل الأمور الصعبة ببساطة.

والشخص المرح قادر على التغلب على مشاكله أكثر من الشخص المهموم الحزين ولقد كان الرسول ﷺ خفيف الظل يداعب الصحابة بكلمات تضحكهم رغم أنه كان يحمل هم البشرية كلها.

وأرى أن الشخص المرح سيكون الأكثر نجاحاً والأكثر وصولاً لأهدافه ولكن بالشروط الآتية:

١- أن يميز بين المرح والاستهتار، فالمرح ليس معناه أن أطلق النكات على كل شيء وأي شيء وأحول كل موقف إلى ضحكة، فهذا هو الفشل بعينه، إنما المقصود من المرح أن تأخذ الأمور الجادة بروح مرحة مرنة تتقبل صدمات الحياة ومشاكلها.

٢- المرح والفكاهة له وقته، وهذا الخطأ يقع فيه العديد من طلبة الثانوي، فكثيراً ما يستخدم الطالب مزحة في وقت لا يجوز أبداً أن يكون فيه مرح أو فكاهة مثل درس علم وخصوصاً في مسجد أو موقف جاد حزين لصديق أو مشكلة كبيرة تتطلب كلاماً جاداً سريعاً.

٣- لا تمزح إذا لم يقبل من أمامك مزاحك، فالإسلام يحافظ على شعور الآخرين.

٤- الأدب والوقار حتى في الفكاهة، فليس من المرح أن تمسك بعصا وتجرى بها وراء زميلك في الشارع أو في المدرسة أو أن ترفع صوت في الشارع بالضحكات المنكرة، أو أن تقوم بعمل مقالب سخيفة في زملائك، فهذه مواقف يصنعها مهرجون لا يعرفون الوقار ولا الاحترام.

***

مقال: الرسول والممازحة

أسوة حسنة حتى في الممازحة:

جمَّل الله حياتنا برسول الله ﷺ؛ فهو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وهديه ﷺ خير هدي، وفعله ﷺ خير فعل، حتى في مزاحه ترك لنا أثره الطيب، نقتفيه ونقتدي به، وهنا يأتي السؤال: كيف كان هديه ﷺ في الممازحة؟ هل كان يضاحك ويمازح؟ هل كان يداعب ويلاعب أو يبتسم ويمازح؟

لقد كان ﷺ يربي بالضحكة، ويهذب بالابتسامة، ويُقوِّم بالمزحة، ويدعو بالطرفة، فلضحكاته منافع، ولابتساماته مقاصد، ومن ممازحته عِبر، ولطُرَفه حِكَم وعظات.

فهذا علي رضي الله عنه حين دب خلاف بينه وبين فاطمة -رضي الله عنهما- يصالحه النبي ﷺ بالمزاح، يحكي لنا سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل (وقت القيلولة) عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: **«قم أبا تراب، قم أبا تراب»**.[١] فكان أبو تراب أحب الألفاظ إلى علي رضي الله عنه.

وهذا أسيد بن حضير يمازحه رسول الله ﷺ وهو يُحدِّث القوم ويضحكهم فيطعنه رسول الله ﷺ بأصبعه في خاصرته، فقال: أوجعتني، فقال: أصبرني[٢]. قال: اصطبر، قال: إن عليك قميصا وليس علي قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه[٣]. قال: إنما أردت هذا يا رسول الله[٤].

وعن عبد الحميد بن صيفي من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال: قدمت على رسول الله ﷺ بالهجرة وهو يأكل تمرا، فأقبلت آكل من التمر وبعيني رمد فقال: **«أتأكل التمر وبك رمد؟»** فقلت: إنما آكل على شقي الصحيح ليس به رمد، قال: فضحك رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الصلاة رقم (٤٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).
(٢) مَكِّني من القصاص.
(٣) ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.

ولما علم عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ لا يأنف من المزاح، ولا يغضب منه، بدأ رسول الله بالمزاح، يقول عوف: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فسلمت، فردّ وقال: أدخل. فقلت: أكلّي يا رسول الله؟ قال: كلك، فدخلت[١]. وإنما مزح عوف بن مالك بقوله: أكلّي يا رسول الله؟ لأن القبة كانت صغيرة.

ولما رأى النبي رجلا ذا بشرة حمراء مازحه قائلا: «**أنت أبو الورد**»، يقول أبو الورد قال: رآني رسول الله ﷺ ، فرآني رجلا أحمر، فقال: أنت أبو الورد[٢].

ومنهم رجل اسمه زاهر، يقول أنس رضي الله عنه : إن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام، كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله ﷺ إن أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ : إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه، قال: فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله ﷺ : «**من يشتري هذا العبد؟**» فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدا، قال: «**لكنك عند الله لست بكاسد**»، أو قال ﷺ : «**بل أنت عند الله غال**» [٣].

المصطفى يمازح النساء والأطفال:

وكما رأيناه ﷺ يمازح الرجال رأيناه يمازح النساء، وهذا من باب اهتمامه ورفقه بهن ﷺ . انظر إليه ﷺ وهو يلاطف عائشة -رضي الله عنها- ويمازحها، وهو يسابقها مرتين فتسبقه في الأولى ويسبقها في الثانية، فيقول لها: هذه بتلك، والحديث عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال لي: «**تعالي حتى أسابقك**»، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت؛ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال: «**تعالي حتى أسابقك**»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «**هذه بتلك**»[٤].

وانظر إليه وهو يمكنها من النظر إلى أهل الحبشة يلعبون بحرابهم، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين كتفه اليسرى وعينيه،

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٠٠)، وذكره الألباني في صحيح أبي داود (٤١٨١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه جبارة بن المغلس، وثقه ابن نمير ونسبه غير واحد إلى الكذب (٨/ ٥٦).

(٣) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في الشمائل المحمدية (٢٠٤).

(٤) رواه أحمد (٢٤١١٩ ، ٢٤١١٨) وقال محققو المسند: إسناده صحيح، ورواه أبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٠) عن عائشة، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٥٠٢).

ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو"[(١)].

ومن مداعبته ﷺ مع النساء، ما حكت عائشة -رضي الله عنها- أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ : **«إن الجنة لا يدخلها عجوز»** فذهب نبي الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ : **«إن ذلك كذلك؛ إن الله إذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكارا»** [(٢)].

وتأتيه أخرى فتقول: يا رسول الله، إن زوجي يدعوك، فيقول: ومن هو؟ **«أهو الذي بعينه بياض؟»** قالت: والله ما بعينه بياض، فقال ﷺ : **«بلى إن بعينه بياضا»**، فقالت: لا والله، فقال: **«ما من أحد إلا بعينه بياض»** [(٣)].

وما كانت مداعبته ﷺ ولا مزاحه للكبار دون الصغار، إنما هو للصغير كما هو للكبير، وللنساء كما هو للرجال. يقول أنس رضي الله عنه : إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير"[(٤)] ويداعب أنسا رضي الله عنه ويقول له: **«يا ذا الأذنين»** [(٥)].

ويرسل النبي ﷺ أنسا رضي الله عنه يوما.. ولنترك أنسا رضي الله عنه يقص علينا الخبر: يقول أنس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك. فقال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله ﷺ [(٦)].

---

(١) متفق عليه- رواه البخاري في العيدين (٤٩٣٨)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل وعبد بن حميد وغيرهم، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، وذكره الألباني في غاية المرام برقم (٣٧٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة، ورواه ابن الدنيا من حديث عبيدة بن سهم مع اختلاف.

(٤) رواه البخاري في الأدب برقم (٦١٢٩)، ومسلم في الآداب رقم (٣١٥٠).

(٥) رواه الترمذي وأبو داود، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٠٩).

(٦) رواه مسلم في الفضائل رقم (٢٣١٠).

ويُخرج لسانه للحسن والحسين صغارا مداعبا إياهما رضي الله عنهما، ويطأ ظهره لولديه الحسن والحسين ليركبا، ويدخل عليه أحد أصحابه فيقول: "نعم المركب ركبتما، فيقول: ونعم الفارسان هما"[١].

وفي رواية عند الطبراني: عن أبي هريرة قال: سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعا، حسنا أو حسينا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول: **«حُزُقَّة حُزُقَّة ارَقَّ عين بَقَّة»** فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له: **«افتح فاك»**، قال: ثم قبله، ثم قال: **«اللهم أحبه، فإني أحبه»**[٢].

وتأمل حاله ﷺ وهو يرى الحسن يصارع الحسين، فيجلس ويشاهد ويشجع.. عن جابر عن أبي جعفر قال: اصطرع الحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ: هو حسين، فقالت فاطمة: كأنه أحب إليك؟ قال: **«لا، ولكن جبريل يقول هو حسين»**.[٣]

وهذا عبد الله بن الحارث يقص علينا مشهدا عجيبا فيقول: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله، وكثيرا بني العباس ثم يقول: "من سبق إليّ فله كذا وكذا"، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم[٤].

وها هو ﷺ يمازح يتيمة كانت عند أم سلمة، لكنها لا تفهم مقصوده ﷺ فتحزن، ومن ذلك حديث أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم -وهي أم أنس- يتيمة، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: آنت هيه؟ **«لقد كبرت لا كبر سنك»**، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني أبدا، أو قالت: قرني، فخرجت أم سليم متعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي الله، أدعوت على يتيمتي؟ قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت أن لا تكبر سنها، أو أن لا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: **«يا أم سليم، أما تعلمين شرطي على ربي؟ إني اشترطت على ربي فقلت: 'إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها طهورا وزكاة وقربة يقربه بها يوم القيامة»**[٥].

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ١٧٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا. وأخرجه أبو يعلى عن ابن عمر. وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. ورواه البزار بسند ضعيف (٩/ ١٨١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٤٩). قال الهيثمي: رواه الطبراني رفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح (٩/ ١٧٦). وذكره الألباني في ضعيف الأدب (٤٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٨).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة، رقم (٢٦٠٣).

(٥) رواه مسلم، كتاب البر والصلة.

منهج نبوي في المزاح

إن العبادة الدائمة أو الذكر المتواصل أمل تهفو إليه النفوس الكبار، وتحوم حوله همم العظام، بيد أن النفس البشرية جبلت على الملل إن استمرت على أمر ثابت أو عمل متواصل، حتى ولو كان عبادة الله عز وجل، وفي الحديث: «**خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى (١) تملوا**»(٢).

والمتأمل للأحاديث السابقة والمواقف المتقدمة يدرك هدي النبي ﷺ في المداعبة والمزاح والترويح عن النفس حتى لا تمل، وقد بينها النبي ﷺ صراحة للصديق رضي الله عنه حين دخل الصديق يوم العيد فوجد جاريتين تغنيان في بيت النبي ﷺ فانتهرهما، فقال ﷺ : «**دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام العيد**»(٣). وفي رواية: «**حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة**»(٤).

والذي يظهر من هذا كله: أن المزاح ليس محرما شرعا، ولا ممنوعا عُرْفا، وكذلك الضحك؛ إنما الممنوع الإكثار الذي تضيع معه الحقوق، ويُخرج به من الصدق إلى الكذب، ولله در أنس حين وصف النبي ﷺ فقال: "كان رسول الله من أفكه الناس"(٥).

ولذا قال ﷺ : "لا تكثر من الضحك" فقد منع من الإكثار، ولم يمنع أصل الضحك؛ بل هو في حديث أبي ذر المتقدم قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا**»، فهو ﷺ لم يمنع الضحك، إنما دعا إلى التقليل منه.

لم يكن رسول الله ﷺ خارجا عن الفطر السوية في فعل من أفعاله، أو قول من أقواله، ولقد صدق الأعرابي حين سئل عن سبب إيمانه بمحمد ﷺ فقال: ما أمر بشيء واستقبحه العقل، ولا نهى عن شيء واستحسنه العقل.

ويحاول البعض أن يمنع الضحك بحجة هموم الدعوة، وهم الدين، بيد أن هذه حجة واهية، فلم يكن هناك، ولن يكون، من هر أكثر اهتماما بالدعوة من رسول الله ﷺ ، وليس هناك من تعددت لديه الواجبات كما تعددت لدى رسول الله ﷺ ، فلقد كان -بأبي هو وأمي- إماما للناس، ومعلما للخلق، ومفقها للدين، وحاكما بين الناس، وقاضيا بينهم، ومجيشا للجيوش، وباعثا للسرايا، كما كان أبا رحيما، وزوجا بارا، وأخًا ودودًا، وصديقا وفيًّا، ومع هذا كله فقد كان ﷺ ضحاكًا بسامًا، وتؤكد ذلك السيدة عائشة فتقول حين

---

(١) حتى هنا بمعنى الواو أي (وتملوا).

(٢) رواه البخاري في الصوم رقم (١٩٧٠)، ورواه مسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٥)، وهذا لفظ البخاري.

(٣) رواه البخاري في العيدين رقم (٩٤٩)، وسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

(٤) رواه أحمد (٢٤٨٥٥، ٢٥٩٦٢) عن عائشة، وقال محققو المسند: حديث قوي، وهذا سند حسن.

(٥) رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٦/ ٢٦٣)، وفي "المعجم الصغير" (٢/ ١١٢) من حديث أنس بن مالك، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٨).

سألتها عمرة قالت: سألت عائشة كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: ألين الناس، بساما ضحاكا[١] .

وفي رواية عند الترمذي في العلل: عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: كان ألين الناس وأكرم الناس، كان رجلا من رجالكم، إلا أنه كان ضحّاكًا بسّامًا. ويقول أبو أمامة: كان رسول الله ﷺ من أضحك الناس، وأطيبهم نفسا[٢].

وقد يظهر التعارض بين الأحاديث فيزيله قول الإمام السيوطي: كان من أضحك الناس لا ينافيه خبر أنه كان لا يضحك إلا تبسماً؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، فمن أخبر به أخبر عن أكثر أحواله، ولم يعرج على ذلك لندوره، أو كل راو روى بحسب ما شاهد، فالاختلاف باختلاف المواطن والأزمان، وقد يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتى تبدو نواجذه، وكان أخرى لا يضحك إلا تبسما[٣].

بل لقد كانت بعض المواقف تأخذ من رسول الله ﷺ كل المآخذ حتى يضحك ويستعلي به الضحك -ولكن ذلك على سبيل الندرة- فعن أبي أمامة قال: إن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه: «**هل أصبح أحد منكم اليوم صائمًا؟**» فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا يا رسول الله، ثم قال: «**هل عاد أحد منكم اليوم مريضا؟**» فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا يا رسول الله، ثم قال: «**هل تصدق أحد منكم اليوم صدقة؟**» فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا يا رسول الله؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى استعلى به الضحك، ثم قال: «**والذي نفسي بيده، ما جمعهن في يوم واحد إلا مؤمن، وإلا دخل بهن الجنة**» [٤].

ولربما ضحك ﷺ من حدث عامًا كاملا؛ فعن أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجرًا إلى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان فقال: أطعمني، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، وكان نعيمان رجلا مضحاكًا مزاحًا، فقال: لأغيظنك، فذهب إلى أناس جلبوا ظهرا [٥]، فقال: ابتاعوا [٦] مني غلامًا عربيا فارهًا، وهو ذو لسان، ولعله يقول: أنا حر، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي، فقالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص[٧]، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال للقوم: دونكم هو هذا.

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه. وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٨٦).
(٢) رواه الطبراني، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٧).
(٣) الجامع الصغير، السيوطي، ط دار طائر العلم، جدة، ص ٢٣٥.
(٤) رواه البيهقي في الكبرى والطبراني في الكبير. وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبيد الله بن زحر وفيه كلام، وقد وثق (٣/ ١٦٣).
(٥) إبلاً عليها متاع.
(٦) تشتروا.
(٧) القلوص من الإبل: الشابة، أو الباقية على السير.

فجاء القوم فقالوا: قد اشتريناك، قال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر. فقالوا: قد أخبرنا خبرك، وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه، فضحك منها النبي ﷺ وأصحابه حولاً"[١].

بيد أن هذا لم يكن هو الحال الدائم أو الصفة الملازمة، وهذا ما يؤكده حديث جابر حيث قال: "كان لا ينبعث في الضحك"[٢]. وكان لا ينبعث في الضحك أي لا يسترسل فيه.

ولله در صاحب كتاب "تأويل مختلف الحديث" حين قال: "فلو ترك رسول الله ﷺ طريق الطلاقة والهشاشة والدماثة إلى القطوب والعبوس والزماتة أخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح ﷺ ليمزحوا، ووقف على أصحاب الدركلة[٣] وهم يلعبون فقال: "خذوا يا بني أرفدة؛ ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة"[٤]. يريد ما يكون في العرسات لإعلان النكاح، وفي المآدب لإظهار السرور.

وقد درج الصالحون والأخيار على أخلاق رسول الله ﷺ في التبسم والطلاقة والمزاح بالكلام المجانب للقدح والشتم والكذب، فكان علي رضي الله عنه يكثر الدعابة.

***

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٤٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٥٦)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٥٠٩).
(٣) الدِّرْكِلَة بكسر الدال والكاف لعبة للعجم، وضرب من الرقص أيضا.
(٤) سبق تخريجه.

الطريق الخطأ.. قصة قصيرة

«نعم أنا معترف بأنني اعتديت على زميلي "عادل" بالضرب المبرح".



قالها "محمود" باستسلام غريب ، وحزن دفين ، مما أثار دهشة كل من حوله - مدير المدرسة الثانوية وثلاثة من مدرسي المدرسة - اجتمعوا في حجرة المدير. من أجل التحقيق مع "محمود" بتهمة أنه تعدى على زميله "عادل" بضرب مبرح حتى أغشي عليه وتم نقله بعدها إلى المستشفى بسبب شج في رأسه عالجه الطبيب بخمس غرز كاملة.

ولم ير أحد - لا المدرسين ولا المدير - (محمود) في هذه الحالة من قبل أبداً فهم يعرفونه جيدا ليس لأن (محمود) طالب متفوق ، كثيرا ما يحصد الجوائز في أرض الطابور ، أو لأنه طالب اجتماعي ونشيط دائم التنقل بين المدرسين ، ولكنهم يعرفونه لسبب آخر مختلف تماما. لأنه لا يكاد يمر أسبوع واحد إلا ويجد المدير نفسه أمام مشهد معروف: مدرس يقتاد (محمود) بعنف إلى حجرته ليجد حلا لهذا الشيء الذي ضل طريقه يوما إلى ساحات الملاكمة ليجد نفسه فجأة في مدرسة بها بشر يتبادلون الكلمات لا اللكمات!!

ودخول (محمود) من باب حجرة المدير كان يعني في أحيان كثيرة أن الكلمات قد انتهت والقرارات قد بدأت: (قرار بالفصل لمدة أسبوع).

وليس هذا لأن مدير المدرسة رجل متجني ظالم لا يعرف الحوار ولا يعترف بالحقوق.. إطلاقا.. فالسيد المدير شخصية معروفة بالتفاهم والإنصات للآخرين ورد الحقوق إلى أصحابها في حسم وقوة يزينها عدل ورحمة.

لكنه يعلم - مثلما يعلم الجميع - إن حالة (محمود) محكوم عليها منذ شهور ، حالة مل منها النقاش ونضب فيها بحر الحوار.

"الفصل لمدة أسبوع .. مع استدعاء ولي الأمر" هذه الجملة سمعها (محمود) كثيرا .. كثيرا جدا.. حتى ملها ، وكأنه يريد أن تتطور الجملة لتصبح "سجنا لمدة أسبوع".

ولربما يتردد في أذهانكم أن (محمود) سيخرج من المدرسة يحمل عارا على رأسه لطرده من ذلك المكان المقدس ، الذي خرج العلماء والأدباء والمفكرين .. إلخ.

هذا ما يتردد في أذهانكم .. أنتم!

أما في ذهن (محمود) وأمام الشلة الفاسدة .. هو يحمل نياشين النصر .. في معاركه وجولاته .

ولكن أي نصر .. وأي معركة؟! معركة الظهور .. الشهرة ولفت الأنظار . كل المدرسين يعلمون جيدا أن (محمود) مريض.. بمرض الظهور.

طالب ذكي.. ولكنه لا يحب التعليم ويجده ثقيلا مملا. ليس صوته عذبا كي يكون مطربا يصفق له الآلاف ويعشقه الملايين وليس ساحرا في لعب الكرة لينزع الآهات من قلوب الجماهير وليس... وليس .. ولكنه.. وسيم.. قوي البنيان نعمة أهداها الله إليه.. ما لبث أن حولها إلى حجر قذف بها كل من حوله من البشر.. ووضع له الشيطان الخطة.. الإيقاع بالفتيات.

في مجتمع ثانوي.. معرفة فتاة شيء له بريق خاص يضمن لك الظهور وسط أقرانك.. وسار (محمود) في الطريق.. ولم تكن فتاة واحدة بل اثنتان.. ثلاثة.. عشرة.. كل يوم فتاة جديدة.

وقصة جديدة.. ومشاجرة جديدة. نعم.. مشاجرات لا حصر لها.. خاضها (محمود) مع آخرين.. بسبب أنه يعاكس فتاة على قارعة الطريق.. أو أنه يريد أن يظهر قدراته أمام فتاة بعينها.

وفي كل مرة.. كان محمود يشعر بالفخر والزهو والقوة . لم يشعر بالضعف أبدا أو الاستسلام .. أو العجز. إلا .. في موقف واحد.. هزه من الداخل بقوة وبعنف ، يوم أوقفه (أحمد) وتسلل إلى قلبه بكلمات قليلة.. وبسيطة.. ومؤثرة.

"يا محمود .. لم يخلقنا الله أقوياء لنظلم الآخرين.. لم يخلقنا الله في هيئة جميلة حتى ننصب شباكنا حول الفتيات.. ونستدرجهن ليصبحن فتيات لا حياء لهن ولا دين لم يجعل الله لنا عينين جميلتين حتى نشوهما بنظراتنا المحرمة التي تنتهك حرمات غيرنا ونجلب بها غضب ربنا.

يا محمود.. النظرة سهم من سهام إبليس .. النظرة .. مجرد النظرة يا محمود".

وكان (أحمد) يقول و(محمود) يسمع .. ويستمع ويتأثر و.. يبكي.

ومكث بعدها محمود في بيته ثلاثة أيام كاملة ، أعطى فيها محمود العالم كله هدنة من المشكلات والمغامرات!!.

كان (محمود) يراجع ما سمعه .. ويراجع نفسه ، وفي أول ظهور له.. قابله الشيطان والشيطان هذا الذي قابله ليس ذلك الشيطان الذي لعنه الله وطرده من رحمته ولكنه شيطان

يراه محمود وكل زملائه يمشي على الأرض أمامهم ويكلمهم وينفخ في أذانهم ووجوههم.. إنه (عادل).

والكل يعلم أنه يلازم (محمود) دائما. وهو نصفه الثاني ومساعده في كل المعارك التي يخوضها.. بل ومشجعه عليها أيضا.. وبمجرد أن رآه سأله عن غيابه الثلاثة أيام السابقة.. وحكى له أن فلانة قد سألت عليه وفلاته قد أرسلت له معها خطابا.. و.

وتجمعت حوله (شلة) الفساد كاملة . وانهار (محمود) تماما ونسى كل ما قاله زميله (أحمد) بل نسى أحمد نفسه وظل (عادل) ينفخ في أذنه ويشعل فيه نيران شهواته.. ويؤقظ فيه أمراضه.. ثم لاحقه بأنه لديه مغامرة جديدة .. مع فتاة جديدة . فتاة رائعة .. لم ير مثلها قط. رآها بالأمس عند خروجها من المدرسة التجارية . رمقها بنظراته .. فبادلته النظرات. فهمها وفهمته.. واتفقا على لقاء بينهما .. و..

أخذ يحكي .. ويحكي .. ويحكي

حتى أصر (محمود) أن يذهبا معا ليرى هذه الفتاة ولم يتردد (عادل).. وفي اليوم التالي ذهبا معا إلى المدرسة التجارية. ووسط مئات الطالبات المتدفقة كشلال من باب المدرسة أشار عادل لـ (محمود) إلى واحدة. و.. كانت الصاعقة .. من بين المئات والمئات. اختار صديقه عادل فتاة يعرف محمود ملامحها جيدًا. بل يعرف اسمها . وسنها وأبوها وأمها. (إنها.. سميرة) أخته !!

ودارت الدنيا (بمحمود) وأصبح وجهه كجمرة مشتعلة وتحولت يداه إلى آلتين من الصلب تطرقان على رأس (عادل) وسط صراخ الفتيات حتى أغشى عليه . ولم يهدأ (محمود) بل التقط حجرا وهوى به على رأس (عادل) أحدث فيه قطعا غائرا قبل أن يتدخل ثلاثة من الرجال لإيقافه وإنقاذ (عادل) من موت محقق.

ولم يشعر محمود بلذة الانتصار هذه المرة ولا في أي يوم بعدها .

لقد ظل محمود يشعر بالهزيمة والندم .. والمرارة .

مرارة.. الطريق الخطأ.

***

أخي المشرف

إذا كان لديك..

١- مشكلة في وضع برنامج تريده أثناء عملك التنفيذي في مرحلة المراهقة.

٢- رأى فني في أي برنامج تم وضعه في هذا الدليل .

٣- فكرة جديدة تدعم بها الدليل وتساهم بها في تطويره في إصدارات أخرى.

راسلنا..

على البريد الإلكتروني :

Ahmedsalah1000@hotmail.com



الفهرس

ثانياً- تزكية النفس والرقائق

ثالثاً- الأخلاق

رابعاً- موضوعات فكرية

خامساً – موضوعات مرحلة المراهقة